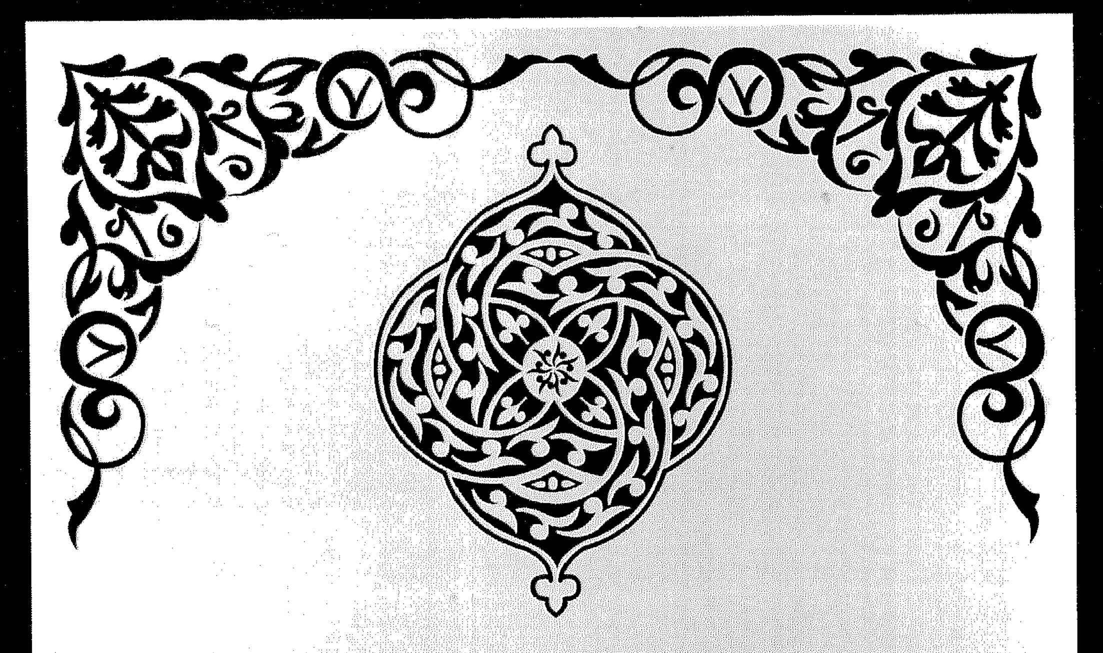


من المكتبة القرآنية

د. يوسف حسن نوفل

دار الشروق

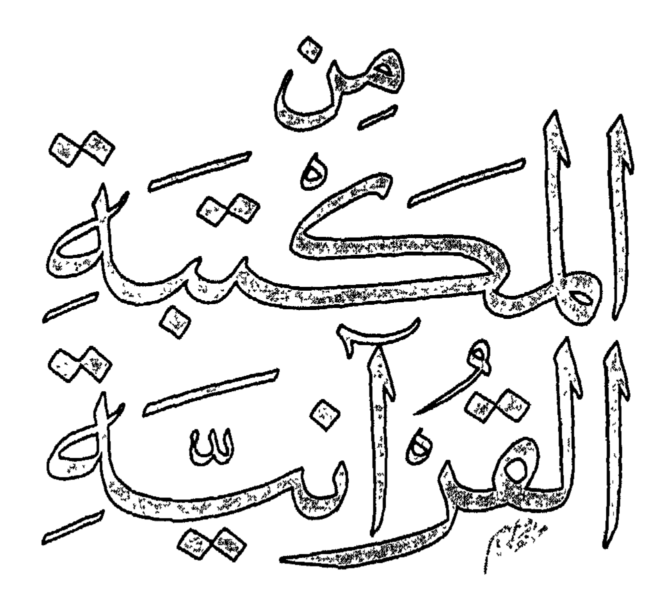

من
المكتبة
القرآنية

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

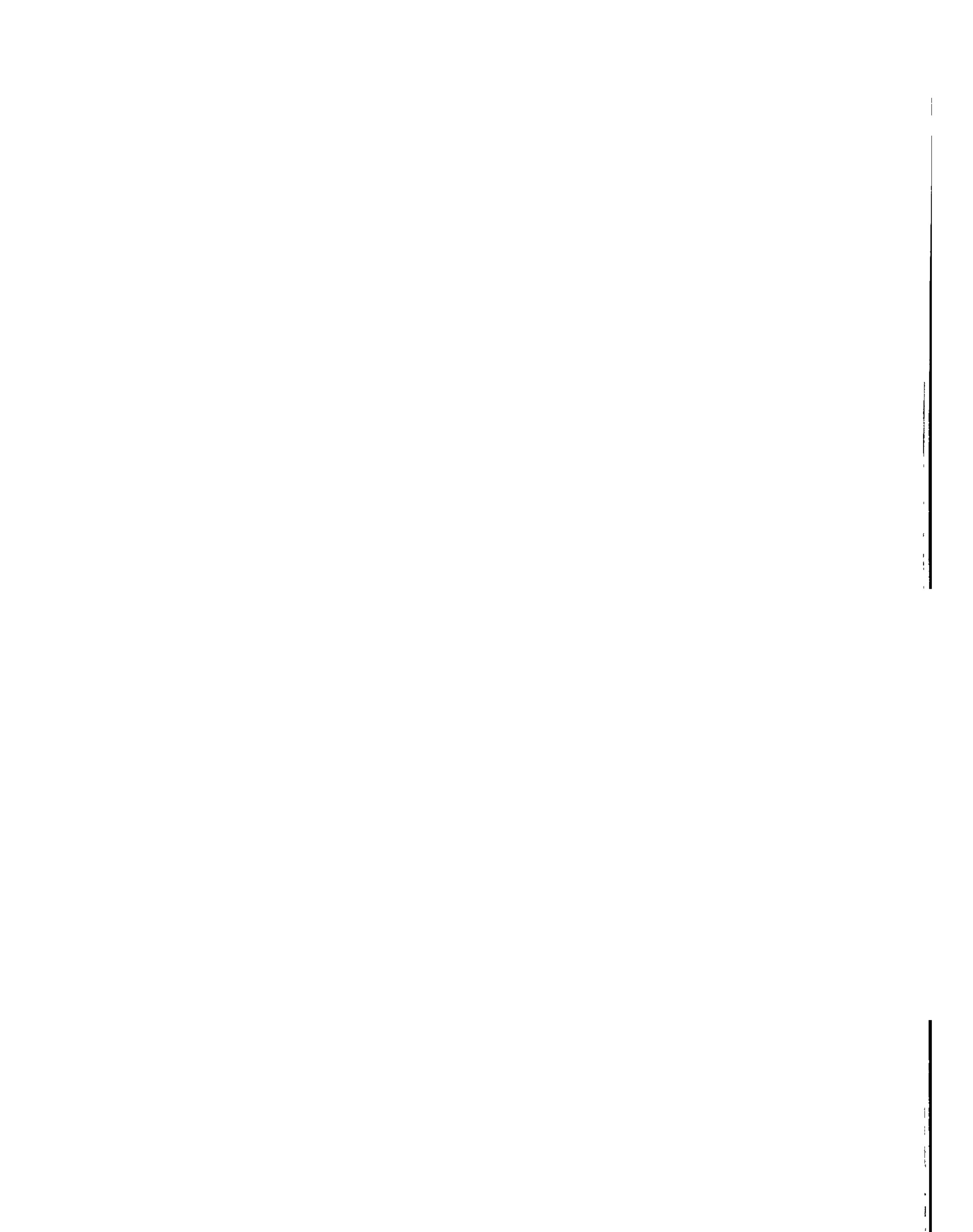
© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

د. يوسف حسن نوفل



دار الشروق



مقدمة

فى مجال الحديث عن الكتب والمكتبات، ينبغى أن نشير إلى أعرق كتاب إسلامى، كتاب الله تعالى، القرآن الكريم[1]، ثم الحديث الشريف. وقد ثبت أن العرب كانوا يكتبون على الرقوق، جمع رق؛ فقد ذكر رافع بن خديج حديثًا للرسول - ﷺ - ثم قال: «وهو مكتوب عندنا فى أديم خولانى»، وهى قبيلة يمنية اشتهرت بصناعة هذا الرق، كما كان القرآن الكريم مدونا تفاريق، قبل جمعه، فوق جلود، وعظام، وعُسُب، ولكن بعد جمعه رأى الصحابة كتابته فى الرق، وهو نوع من الجلود الرقيقة، وبقى القرآن على ذلك إلى أن ولّى الرشيد الخلافة.

لقد حفظ القرآن الكريم فى الصدور، وفى شهر رمضان كان الرسول - ﷺ - يراجعه فى معارضة جبريل - عليه السلام - كل عام ضمانًا للتوثيق، وأمنًا من وقوع نقص أو زيادة أو تحريف، وقد روجع مرتين عام وفاته، إلى جانب متابعة من النبى - ﷺ - لكتّاب الوحى، وحفظة القرآن الكريم؛ فقد كان الخط العربى القديم مرتبطًا بعدم شيوع الكتابة اعتمادًا على الذاكرة القوية لدى العرب.

---

(١) التنزيل العزيز، والكتاب، والفرقان، قرأه يقرؤه ويقرؤه بفتح الراء وضمها قرءًا وقراءة وقرآنا فهو مقروء، وسمى قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، وقرأت الشىء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وبعضهم كان لا يهمز الكلمة، وكل شىء جمعته فقد قرأته، وسمى القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران، وقارأه مقارأة وقراء بغيرها؛ دارسه، واستقرأه: طلب إليه أن يقرأ، ورجل قراء: حسن القراءة (لسان العرب مادة قرأ).

انظر: تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجانى، القاهرة، ١٩٣٥م، والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، القاهرة ١٢٧٨هـ، والبرهان فى علوم القرآن، ومقدمة كتاب المصاحف لأرثر جفرى، والظاهرة القرآنية، مالك بن نبى، ت عبد الصبور شاهين، بيروت ١٩٦١م، وحياة محمد، لمحمد حسين هيكل.

وسواء أقلنا إن الخط العربى دخل إلى بيئة قريش عن طريق المهاجرين الذين تعلموه من الحيرة الذين أخذوه بدورهم عن أهل الأنبار، أم أن رجلاً تعلمه من الأنبار وعلمه لبنى أمية وهم بدورهم علموه العرب، أم أن طريقًا آخر للخط وصل إلى قريش التى سادت لهجتها على اللهجات العربية المجاورة، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل تلك الإشارات التى تتكرر فى القرآن الكريم عن القراءة وما اشتق منها وهى نحو ٩٠ مرة، كما تتكرر كلمة الكتابة وما اشتق منها. وكان أول ما نزل من الوحى ﴿اقرأ﴾، وفيها تمجيد للقلم، وما يسطر، وأقسم الله تعالى بالقلم، وقد طلب المشركون من الرسول - ﷺ - كتابًا يقرءونه، أو صحفا منتشرة، ووصفوا الوحى بأنه أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا.

كما ذكر القرآن الكريم مواد كتابية هى:

القرطاس[(١)]، والمداد[(٢)]، والقلم[(٣)]، والصحف[(٤)]، والسّجل[(٥)]، والرّق[(٦)].

ويرتبط ذلك بقضية الإعجام أى تمييز الحروف المتشابهة بوضع نقط منعًا للبس، والشكل وهو وضع علامات تدل على حركات الحروف، وكانوا يسمونها نقطًا لأن علامة الحركة كانت تتغير بتغير وضع النقطة فوق الحرف أو أسفله أو من يمينه أو شماله.

---

(١) القرطاس بكسر القاف وضمها، وفتحها، والقرطس بفتحها أو كسرها من بردى مصر، صحيفة ثابتة يكتب بها، وجمعه قراطيس: ما يكتب فيه من ورق ونحوه، وردت الكلمة بالجمع فى الآية ٩١ من سورة الأنعام، وبالمفرد فى الآية ٧ من سورة الأنعام أى وردت فى القرآن الكريم مرة مفردة ومرة جمعا.

(٢) سائل يكتب به، ووردت مرة واحدة بالقرآن الكريم فى الآية ١٠٩ من سورة الكهف.

(٣) وردت فى القرآن الكريم أربع مرات، اثنتان بالجمع واثنتان بالمفرد فى الآيات: ٢٧ من سورة لقمان، ٤٤ من سورة آل عمران، ١ من سورة القلم، ٤ من سورة العلق، وهى - قديمًا - أعواد مسواة يكتب بها، كما تطلق على سهام يقترعون بها.

(٤) جمعها صحف وهى ما يكتب فيه من ورق ونحوه ويطلق على المكتوب فيه والكتب المنزلة، ووردت بالمعنيين وبمعنى كتب الأعمال ثمانى مرات فى الآيات: ١٣ من سورة عبس، و٢ من سورة البينة و٥٢ من سورة المدثر، و١٣٣ من سورة طه، و١٨ من سورة الأعلى، و١٠ من سورة التكوير، و١٩ من سورة الأعلى، و٣٦ من سورة النجم.

(٥) ما يكتب فيه من ورق ونحوه، ووردت مرة واحدة فى الآية ١٠٤ من سورة الأنبياء.

(٦) جلد رقيق يكتب عليه، والصحيفة البيضاء، وردت مرة واحدة فى الآية: ٣ من سورة الطور.

وقد كانت المصاحف الأولى - فى مسيرة صناعة الكتاب الإسلامى - مجردة من الإعجام، ولم يكن فى ذلك ما يمس القراءة لاعتمادهم على المشافهة، إلى أن بدأ التصحيف، وقد اكتشفت بردية يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢ هجرية زمن عمر بن الخطاب مكتوبة باللغتين العربية واليونانية وبعض حروفها منقوط معجم، وكذلك نقش وجد قرب الطائف ومؤرخ سنة ٥٨ هجرية على عهد معاوية بن أبى سفيان وأكثر حروفه معجم، وهذا الإعجام مختلف عن ذلك الإعجام الذى ابتدعه أبو الأسود الدؤلى، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر وغيرهم على اختلاف الروايات.

كان النبى - ﷺ - بتوقيف من جبريل (عليه السلام) يخبر كتبة الوحى ويدلهم على موضع كل آية، وترتيب كل سورة، على مدى ثلاث وعشرين سنة، وإذا ما انتهى كتاب الوحى من أمرهم سلموه إلى الرسول - ﷺ - ليودع فى بيته، والرجال يحفظون، وكان كتاب الوحى ينسخون لأنفسهم نسخًا، وكثيراً ما كان يجلس الرسول - ﷺ - إلى أصحابه يقرأ الآيات، ويخص عبد الله بن مسعود بذلك.

كانوا يكتبون على العسب، واللخاف، والرقاع، وقطع الأديم، وعظام الأكتاف العريضة من الحيوانات، وعلى الأضلاع.

وأشهر من عرف بالكتابة، بين يدى النبى - ﷺ -: على بن أبى طالب، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وأبو بكر بن أبى قحافة، ومعاوية بن أبى سفيان، وأبان بن سعيد، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم ولم ينقض عهد الرسول - ﷺ - إلا والقرآن كله مكتوب ومجموع ومرتب فى سور.

فلما انتقل الرسول - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى وعرض على أبى بكر (١١ - ١٣هـ = ٦٣٢ - ٦٣٤م) تدوين القرآن فى مصحف وجمعه من الرقاع رفض الفكرة أول أمره، وانشغل بحروب الردة، ثم استشهد فى حروب الردة كثير من الصحابة حفظة القرآن الكريم، هنا شرح الله قلب أبى بكر واستجاب لرأى عمر ابن الخطاب فى جمع القرآن، فعهد إلى زيد بن ثابت - رضى الله عنه - فى ذلك برغم صغر سنه؛

لأنه أشهر الحفاظ، وكان مداومًا على كتابة الوحى للرسول - ﷺ - وشهد العرضة الأخيرة للقرآن، ونصحه أن يستمع لقراءات خمس من الصحابة هم: على، وعثمان، وابن مسعود، وحذيفة، وابن عباس. ومنهج زيدبن ثابت فى هذا الجمع يستحق التأمل والدرس، بعد أن قال عمر (١٣ - ٢٣هـ = ٦٣٤ - ٦٤٤م) لأبى بكر - رضي الله عنه -:

«إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، إلا أن تجمعوه، وإنى لأرى أن تأمر بجمع القرآن».

وتردد أبو بكر، وقال: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله - ﷺ -؟

فقال عمر: هذا والله خير.

قال أبو بكر، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، وحين كلف زيد بن ثابت قال زيد: فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن، فماذا كان منهجه؟

* * *

القرآن الكريم أصدق الكتب والنصوص والمصادر بثقة سنده ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت ٤٢]، آمن بذلك المؤمنون وصدقه المنصفون أمثال: «لوبلوا»(١)، و«نولدكه»(٢).

إن جمع المصحف هو باكورة صناعة المكتبة الإسلامية وفق منهج علمى سديد سبق منهج المعاصرين، بانتقال هذه المكتبة الإسلامية من الذاكرة الواعية الحافظة، إلى الصحيفة الخالدة، وها قد عهد أبو بكر إلى زيد بن ثابت رضى الله عنه أشهر الصحابة إتقانًا لحفظ القرآن الكريم، ووعيا لحروفه، وأداءً لقراءاته المختلفة، وضبطًا لإعرابه ولغاته ومداومة لكتابة العرضة، وشهد العرضة الأخيرة والنبى - ﷺ - حى مع صفات ومزايا يذكرها له الخليفة والصحابة - رضي الله عنهم -.

---

(١) عن محمد عبد الله دراز، المدخل إلى القرآن الكريم، الكويت، ١٩٧٤م، ص ٤٠.

(٢) T. Noeldeke, Geschjichte des Quar, 1961, P. 16.

لقد فوضه أبو بكر - رضي الله عنه - فى اختيار من يعاونه ويسأله، وأودع تحت يديه ما تركه النبى - صلى الله عليه وسلم - عند زوجته السيدة عائشة - رضي الله عنها - وسأله أن يسمع جيداً لقراءات خمس من الصحابة غيره وغير عمر - رضي الله عنه - .

ومضى الصحابى زيد بن ثابت فى منهج علمى دقيق فى البحث والاستقصاء والإثبات والمراجعة، لجمع ما عند الصحابة من قرآن مكتوب على العسب واللخاف والرقاع، وجلس يدون ويراجع ويقرأ ما دون على الرجال، ويسمع ويستحفظ صدور المؤمنين ويتحرى فى كل لفظ وكل آية قبل أن يثبتها، ويعود إلى ما كان تحت يده مما كتب فى زمان النبى، ولا يترك آية حتى يتوثقها ويدقق أمرها ولفظها وضبطها على كثرة من الصحابة، ومضى فى منهجه هذا يلتزم التحرى والمتابعة والبحث والمراجعة والسماع للحفاظ حتى أتم جمع المصحف.

وإنما راعى ذلك كله مبالغة فى الضبط وزيادة فى الاحتياط حتى تكون الكتابة معاضدة للحفاظ ومؤازرة لهم، وهكذا حتى تم جمع المصحف فى صحائف واحدة فى قطعها ونوعها ونقشها وضبطها لأول مرة فى عهد أبى بكر الصديق - رضي الله عنه - بعد أن كان متفرقًا فى زمن النبى - صلى الله عليه وسلم - ، وما ثبت فى العرضة الأخيرة فى موضعه ومكانه وترتيبه، وأنه لم تنسخ تلاوته.

وكان لا يقبل شيئًا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقبل ما فى آخر سورة (براءة) مع أنه لم يجدها إلا عند أبى خزيمة لأن الجميع كانوا حافظين لها.

جُمع القرآن وكتب على هذا النحو وبجهد زيد بن ثابت، وبإشراف أبى بكر وعمر - رضي الله عنهما -، فقال على بن أبى طالب: «أعظم الناس فى المصاحف أجرًا أبو بكر - رحمة الله على أبى بكر - هو أول من صحف كتاب الله تعالى وجمعه». أخرجه ابن ماجه، وابن أبى داود فى مسنده.

قال الإمام أبو عبد الله المحاسبى:

«كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقًا فى الرقاع والأكتاف وغيرها، فأمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان

مجتمعة، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت النبى وفيها القرآن منتشراً جمعها زيد وربطها حتى لا يضيع منها شيء».

وظل القرآن فى بيت الخليفة الأول طيلة مدة خلافته القصيرة، ثم انتقلت النسخة التى سميت بعد ذلك بالمصحف الجامع، أو بالمصحف الأم، أو المصحف الإمام إلى عمر بن الخطاب فترة خلافته فاحتفظت بها حفصة بنت عمر وهى زوجة الرسول - ﷺ -، وبقيت عندها حتى طلبها عثمان بن عفان، بعد أن اتسعت الفتوح، وأخذ أهل كل إقليم من الأقاليم يأخذون عمن عاش بينهم من الصحابة ويقرءون بقراءته، فأهل الشام بقراءة أبى بن كعب، وأهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود، وآخرون بقراءة أبى موسى الأشعرى، وفى مصر بقراءة أبى الدرداء.. إلخ.

هنا ظهر اختلاف فى القراءات، والأصل واحد، وفتح ذلك أبوابًا من الفرقة والاختلاف والتشكيك، مما جعل حذيفة بن اليمان يقول لعثمان بن عفان: أدرك الناس يا ابن عفان، وشاركه الرأى بعض الحاضرين، فأجمعوا أمرهم على نسخ مصاحف بلغة قريش ولهجتها وقراءتها وضبطها وشكلها ترسل إلى كل عامل أو وال على البلدان ليكون هذا المصحف العثمانى المعتمد والمرجع للناس جميعًا، وأن يحرق ما عداه، مما هيأ لاجتماع الناس مرة أخرى على مصحف واحد، وكما ندب أبو بكر زيداً بن ثابت فى المهمة الأولى ندبه عثمان - رضي الله عنه - (٢٤ - ٣٥هـ = ٦٤٤ - ٦٥٦م)، أيضًا فى المرة الثانية وأضاف إليه كلاً من:

عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وكلهم أصحاب النبى - ﷺ -، واستطاع زيد بن ثابت أن يندب عدداً آخر من الصحابة كانوا ثمانية من المهاجرين والأنصار لتزداد المراجع، ويتم الاستيثاق، فارتفع عدد الرجال المشاركين إلى اثنى عشر رجلاً من الحفاظ والصحابة الأجلاء بإشراف عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب، لا يكتب شيء إلا إذا عُرض على الصحابة فى المسجد، مع استبعاد رواية الآحاد، وبذلك تم إجماع الصحابة والحفاظ وأهل الدين والرأى والمشورة على كتاب واحد نسخ منه عدد من المصاحف - قيل أربعة، وقيل خمسة، وقيل سبعة - أرسل بها عثمان إلى الأمصار الإسلامية:

(مكة، المدينة، الشام، اليمن، البحرين، البصرة، الكوفة)، ليجتمع عليها المسلمون.

ويذكر القلقشندى[1] كيف أن القدماء أخذوا يتأنقون فى كتابة المصاحف وتجميلها، وكيف ندبوا الخطاطين حسنى الخط لنسخها وزخرفتها.

ويذكر ابن النديم[2] أن أول من كتب المصاحف فى الصدر الأول بخط حسن هو: خالد بن أبى الهياج.

* * *

فى مجال رصد باكورة المكتبة القرآنية، وقفنا على تدوين القرآن الكريم وجمعه ونسخه، وعن هذه الخطوة المباركة تعددت خطوات المكتبة العربية والإسلامية، حيث دارت دراسات عديدة حول القرآن الكريم، وشكلت مكتبة ضخمة زاخرة غنية بالمؤلفات والدراسات حتى يومنا هذا، دراسات شملت المجالات الإنسانية، على نحو يصعب حصره، بل تصنيفه.

لقد قام علماء القرون الأولى بدراسات مستفيضة حول القرآن الكريم، وتنوعت هذه الدراسات لترسى قاعدة صناعة الكتاب الإسلامى وتعددت بين: النحو، واللغة، وآى القرآن وسوره، وأحرف القرآن، فأحكام القرآن، وتجديد القرآن، وتفسير القرآن، ورسم القرآن، وغريب القرآن، وفضائل القرآن، وقراءات القرآن، والمحكم والمتشابهه، ومعانى القرآن، والناسخ والمنسوخ، ولغات القرآن، والوجوه والنظائر.. إلخ.

وعدد هذه الكتب يفوق الحصر، وما تزال هذه المصادر هى عدة الدارسين والباحثين فى عصرنا، وقد صنع الدكتور على شواخ إسحاق كتابه (معجم مصنفات القرآن الكريم) جامعًا فيه ما دار حول القرآن الكريم من دراسات قديمة وحديثة.

---

(١) صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٧٥.

(٢) الفهرست ص ٩، ١٠.

من هذه الدراسات فى القرنين الرابع والخامس الهجريين :

رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابى (ت ٣٨٨هـ)، والنكت فى إعجاز القرآن للرمانى (ت ٣٨٦هـ)، والرسالة الشافية فى الإعجاز للجرجانى (ت ٤٧١هـ)، وإعجاز القرآن للقاضى عبد الجبار (ت ٤١٥هـ)، وإعجاز القرآن للباقلانى (ت٤٠٣هـ) . . إلخ.

على أن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يتصدر بجهده جهود من تناولوا الإعجاز القرآنى فى سلسلة الجهود الطيبة فى مجال المكتبة القرآنية وهم كثيرون؛ حيث نجد صاحب كشف الظنون يذكر فى كتابه :

«أن أبا عبد الله محمد بن يزيد الواسطى المتوفى فى سنة ٣٠٦هـ ألف كتابًا سماه (إعجاز القرآن)، وأن عبد القاهر الجرجانى شرح ذلك الكتاب شرحين : كبيرًا وصغيرًا».

وكان أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٦هـ) قد ألف إعجاز القرآن من قبله.

على أننا نجد فى المكتبة القرآنية إسهامات علماء أجلاء أثروا هذه المكتبة، فمنهم أبو بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣هـ، وقد تعددت مؤلفاته فى المكتبة القرآنية، حتى أحصى منها القاضى عياض عددًا قارب الخمسين فى كتابه (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك)، ثم ما رآه الباحثون المعاصرون من كتب مخطوطة تنسب له أيضًا، على أن أبرز كتبه وأشهرها فى هذا المجال هو كتاب (إعجاز القرآن)، وقدم شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١هـ) كتابيه الكبيرين : أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز. وفى بعض الطبعات فى عصرنا نجد هذا الكتاب بهامش كتاب الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١هـ).

ولم يقتصر مجال المكتبة القرآنية على البلاغة والفصاحة والإعجاز فحسب، بل شمل - أيضًا - تفسير القرآن الكريم حيث ضمت المكتبة مصنفات عدة تستمد مما أثر عن الرسول - ﷺ - وعن الصحابة وبخاصة أبى بن كعب، وعبد الله بن مسعود،

وعبد الله بن عباس - ﷺ - وغيرهم، وقد سجل ابن النديم فى (الفهرست) مصنفات كثيرة منها، وتعددت جهود المفسرين، وقال ابن حنبل: «بمصر صحيفة فى التفسير عن ابن عباس رواها ابن أبى طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً».

كما نشأت علوم كثيرة غير التفسير فى مجال المكتبة القرآنية وقد جمعها ابن النديم فى الفهرست وأحصاها، وذكر أهم من صنفوا فيها ومصنفاتهم مثل:

علوم نقطه وشكله، وأهم من ألفوا فيه: الخليل بن أحمد وهو أول من ابتكر الشكل فى العربية، وأخذه من صور حروف العلل الممدودة فالضمة واو صغيرة الصورة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوقه.

ومن هذه العلوم حول القرآن: علم الوقف والابتداء فى آياته، وممن كتبوا فيه: الفراء، وعلم غريبه وممن ألفوا فيه محمد بن سلام الجمحى، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وعلم لغاته وممن صنفوا فيه الأصمعى، وأبو زيد الأنصارى، وعلم معانيه وممن صنفوا فيه الفراء، وأبو عبيدة، وعلم قراءاته، وممن صنفوا فيه أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وعلم ناسخه ومنسوخه، وممن صنفوا فيه أحمد بن حنبل، وعلم أحكامه وممن صنفوا فيه الشافعى ويحيى بن أكثم صفى المأمون وقاضيه.

تدين البلاغة العربية فى نشأتها للقرآن الكريم الذى أعجز العرب بفصاحته، ولم يكن صعبًا على المسلمين الأول إدراك عناصر جماله وإعجازه، وإذا أعوزهم ذلك استفتوا الصحابة طيلة القرن الأول الهجرى وأوائل القرن الثانى، ولما كثر الاختلاط وضعفت السليقة بدأ التأليف والتفسير.

ولن نبالغ إن تابعنا من يؤكد ارتباط التفسير بالجهود البلاغية، ولهذا كان أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) فى كتابه: مجاز القرآن[1]، أول المفسرين، وإنه لم يكن على غرار تفسير الآيات كما نرى لدى المفسرين أمثال: الطبرى فى

---

(١) تحقيق محمد فؤاد سزكين ط ١ ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م ط٢ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠، الخانجى.

تفسيره المسمى : جامع البيان عن تأويل القرآن ـ تحقيق وتعليق محمود وأحمد شاكر ط ١ ، دار المعارف .

والقرطبى فى تفسيره : الجامع لأحكام القرآن ط ، كتاب الشعب ، والباقلانى فى إعجاز القرآن ، ت محمد عبد المنعم خفاجى ، ١٩٥١ ، والسيد أحمد صقر ١٩٥٥ ، والقاضى عبد الجبار (٤١٥هـ) تأويل مشكل القرآن عن المطاعن ، مصر ١٣٢٩هـ .

كما ألف ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) تأويل مشكل القرآن بعد أكثر من نصف قرن من أبى عبيدة ـ ت السيد أحمد صقر ، ط ٢ ، دار التراث ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ ، وقدّم الشيخ عبد القاهر الجرجانى : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز كما قدمنا .

والكرمانى ، البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، ت عبدالقادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، ١٩٧٧ .

وقد ارتبط التفسير[١] ـ أول أمره ـ بعلم الحديث ، وظهر فى كتبه ، كما وجد فى سيرة الرسول ـ ﷺ ـ ، واقترب المفسرون القدامى من القصاص ، واقترب بعضهم من الإسرائيليات .

وقد بدأ التفسير بالمأثور عن النبى ـ ﷺ ـ عند الصحابة المقربين كعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وعند القراء .

واتجه ابن عباس اتجاهًا منهجيًا فى التفسير مع ثقافته اللغوية والأدبية ولقبه الرسول ـ ﷺ ـ بترجمان القرآن .

ومن تفسير عبد الله بن عباس (ت ٦٨/ ٦٩هـ) أخذ كثير من الكتّاب كابن قتيبة ، والغزالى .

وكتب محمد بن السائب الكلبى (ت ١٤٦هـ) مهتمًا بالتاريخ .

كما كتب أبو الحسن البلخى . وفسر تلميذ مالك بن أنس أبو زكريا يحيى بن

---

(١) كتب بروكلمان مفصلاً فى كتابه تاريخ الأدب العربى جـ٤ ، نقله : السيد بكر ، ورمضان عبدالتواب ، دار المعارف ط ٢ سنة ١٩٧٧ ص٧ـ١٩ .

سلام التيمى البصرى، وأبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت ٢١١هـ) والحسن بن على بن محمد العسكرى (ت ٢٦٠هـ).

واشتهر فى القرن الثالث الهجرى: الفراء (معانى القرآن)، وابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن)، والزجاج (٣١١هـ) - (إعراب القرآن) والطبرى.

ومن المصادر القديمة عن التفاسير والمفسرين والقراءات: السبعة فى القراءات، لابن مجاهد، ت شوقى ضيف، دار المعارف ١٤٠٠هـ، وطبقات المفسرين، للداودى، القاهرة ١٩٧٢.

وغاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى، نشر جشتراسر، ط السعادة، القاهرة ١٩٣٣.

وغيث النفع فى القراءات السبع، على الثورى السفاقسى، ط العثمانية ١٣٠٤هـ، القاهرة.

ومعانى القرآن، للأخفش الأوسط، ت فايز فارس، العصرية الكويت ١٩٧٩.

ومعانى القرآن، للفراء، ت محمد على النجار وأحمد يوسف، دار الكتب ١٩٥٥ وأخرى ت عبد الفتاح شلبى، الهيئة العامة للكتاب.

ومعجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم، وأحمد مختار، جامعة الكويت.

ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للإمام شمس الدين الذهبى، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

والنشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى، ت محمد دهمان، دمشق.

ومن التفاسير:

أبو حيان التوحيدى - محمد بن يوسف، التفسير الكبير المعروف بتفسير البحر المحيط، دار الفكر العربى، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، ومطبعة القصة الحديثة، الرياض. د.ت ومطبعة السعادة ١٣٢٨هـ، وبتحقيق عبد الحى الفرماوى وآخرين،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط-١٤١٣هـ/ ١٩٩٣ والخازن، تفسير الخازن، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) ت ٦٧١هـ، دار الكتب ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥.

والرازى، التفسير الكبير، المشهور بمفاتيح الغيب، البهية، ١٩٣٨.

والزمخشرى، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، الحلبى، القاهرة ١٩٦٨، ودار الكتاب العربى، بيروت، والإسكافى (ت٤٣١هـ): درّة التنزيل وغرة التأويل، مصر ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.

وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق سيد صقر، القاهرة.

وأبو السعود-تفسيره المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، على هامش الرازى، مطبعة صبيح، القاهرة، د.ت، ودار إحياء التراث العربى، بيروت، د.ت، والنحاس (ت ٣٣٨هـ)، الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم، السعادة بمصر ١٣٢٣هـ.

ومحمود الألوسى، روح المعانى، دار إحياء التراث العربى، بيروت القاهرة (ت) محمد بن حزم، والناسخ والمنسوخ، على هامش الجلالين، دار التراث، القاهرة.

وابن النقيب، مقدمة تفسيره، ت زكريا سعيد، الخانجى القاهرة، ط١ ١٩٩٥.

ومن التفاسير:

جلال الدين الحلبى، وجلال الدين السيوطى، وحاشية عليه-تفسير الجلالين دار التراث، القاهرة، وحاشية الصاوى على الجلالين.

وابن الجوزى، زاد المسير فى علم التفسير، ط دمشق ١٩٦٤.

والطبرى، جامع البيان فى تأويل القرآن، دار الغد العربى، القاهرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦.

والفضل بن الحسن الطبرسى، مجمع البيان فى تفسير القرآن، تصحيح الحاج سيد الرسولى المحلاتى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

وإسماعيل بن كثير القرشى أبو الفدا (ت ٧٧٤هـ)، فضائل القرآن، المنار ١٣٤٧هـ.

وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة التراث الإسلامى، حلب ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠.

وابن كثير، مختصره، اختصار وتحقيق محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت.

ومن التفاسير الحديثة:

المصحف الميسر لعبد الجليل عيسى، دار الفكر، القاهرة، وبيروت ١٣٨١هـ.

وصفوة التفاسير لمحمد على الصابونى.

وفى مجال الفقه والنحو:

إعراب القرآن، للنحاس، ت زهير غازى زاهى القاهرة ١٩٧٦.

وإعراب القرآن، للزجاج (ت ٣١١هـ) حققه إبراهيم الإبيارى ٦٣/ ١٩٦٤.

وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، العكبرى، إبراهيم عطوة ١٩٦١.

وغريب القرآن للسجستانى، ت ٣٣٠هـ، مصر ١٣٢٥هـ - ١٣٧٥هـ.

والبيان فى غريب إعراب القرآن، لأبى البركات بن الأنبارى (٥٧٧هـ)، ت طه عبد الحميد والأستاذ السقا. ط دار الكاتب الحديث، القاهرة ١٩٦٩.

وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، للحسين بن أحمد (ابن خالويه) ت ٣٧٠هـ، دار الكتب ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، وما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، للمبرد (ت ٢٨٥هـ)، نشر الميمنى، السلفية، ١٣٥٠هـ.

ولغات القرآن لأبى حيان - مخطوط برقم ٧٤ المكتبة التيمورية، القاهرة، ومنه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة، وأخرى بالأسكوريال برقم ١٤١١/ ٢.

واللغات فى القرآن، أخبر به إسماعيل بن عمرو القارئ، الرسالة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

ولغات القرآن لمحمد بن المظفر المعروف بالوزان، مخطوطة بمكتبة شسترجتى برقم ٤٢٦٣، ومنه نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بجامعة الكويت، وأخرى بمكتبة القاهرة بدمشق، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، مصر ١٣٢٢هـ، و١٩٧١م.

واللغات فى القرآن برواية ابن حسنون المقرئ مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٢٧٣ ضمن مجموعة. وأخرى بتحقيق صلاح المنجد، ط٢ دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٢.

ولغات القبائل الواردة فى القرآن الكريم، لأبى عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، رواية عن الصحابى الجليل ابن عباس -ﷺ- شرح وتعليق وتحقيق عبد الحميد طلب، جامعة الكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤، وقد وردت على هامش الجلالين، انظر طبعة دار التراث، القاهرة:

والإتقان فى علوم القرآن للسيوطى (ت ٩١١هـ)، القاهرة ١٢٧٨هـ-١٣١٧هـ وسنة ١٩٦٧، ت محمد أبو الفضل إبراهيم.

وأحكام القرآن لأحمد بن على الرازى الحنفى الجصاص، (ت ٣٧٠هـ)، الآستانة ١٣٣٨هـ.

ومعانى القرآن، للأخفش الأوسط، ت هدى قراعة، الخانجى، القاهرة، ط١ ١٩٩٠، وهو تفسير نحوى.

ومعانى القرآن وإعرابه، الزجاج، ت عبد الجليل شلبى، بيروت، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج، ت إبراهيم الإبيارى، المؤسسة المصرية، ١٩٦٥.

والمفردات فى غريب القرآن، الأصفهانى، ت محمد سيد كيلانى، الحلبى.

من المكتبة اللغوية فى مجال القرآن الكريم ما قدمه محمد فؤاد عبد الباقى فى (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)[1]، ويذكر فى مقدمته اعتماده كتاب فلوجل وجعله أساسا لمعجمه بعد أن راجع مواده على المعاجم والتفاسير وعرضها

---

(١) الشعب د.ت، ويذكر أنه انتهى من تأليفه فى جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ/ أغسطس ١٩٣٨.

على أهل العلم مراجعة وتدقيقا، ثم بدأ عمله هذا متبعا فى الترتيب طريقة الزمخشرى فى الأساس، والفيومى فى المصباح، وغيرهما، الحرف الأول فالثانى فالثالث، بادئا بالفعل المجرد المبنى للمعلوم، ثم المبنى للمجهول ثم المزيد بالتضعيف فالمزيد بحرف. . إلخ. ثم باقى المشتقات، فباقى الأسماء. وهو يذكر اللفظة فى بابها، ثم الآية التى تضمنتها، فرقمها، فمكية السورة أو مدنيتها، فاسم السورة فرقمها مثل:

اللفظة	الآية	رقمها	السورة	رقمها
أبا	وفاكهة وأبا	٣١ ك	عبس	٨٠

وما قدمه محمد عبد الخالق عضيمة من (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) فى عمل علمى كبير، مطبعة السعادة، القاهرة.

ومن الجهود فى هذا المجال: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر ١٩٦٩ والمرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته لمحمد فارس بركات، ودمشق ١٩٥٧ ودليل الحيران فى الكشف عن آى القرآن للحاج صالح ناظم.

وفى مجال القراءات نلتقى بطائفة من الدراسات[١] منها:

غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى، ترجم فيها للقراء، نشره برجستراسر Bergstrasser، سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٦م وتلبيس إبليس لابن الجوزى، ناقداً مبالغات القراء، وإحياء علوم الدين للغزالى، كما قدم برجستراسر كتاب تاريخ القرآن.

ومن المؤلفين فى هذا المجال من القرن الرابع الهجرى:

السجستانى (ت٣١٦هـ)، وموسى بن خاقان أبو مزاحم، وأبو بكر النيسابورى، وأبو الطيب بن غلبون، وأبو القاسم عمر بن عبد الكافى وغيرهم.

---

(١) فصّل القول فى ذلك كارل بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى، جـ٤، نقله: السيد بكر، ورمضان عبد التواب، دار المعارف ط٢ ١٩٧٧ ص ١ - ٦ عن القراءات.

فبعد أن اجتمع المسلمون على مصحف عثمان - ﷺ - ظهرت عدة قراءات فى مكة والمدينة والبصرة والكوفة وغيرها، وفى هذا المجال يرد ذكر أبى عمرو بن العلاء، والكسائى فى البصرة والكوفة، وفى هذا المجال ظهر كتاب أبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) الذى رتب علم القراءات، وكتاب التيسير فى القراءات السبع، لعثمان بن سعيد أبو عمرو الدانى، ت٤٤٤هـ، نشره أوتوبرتسل سنة ١٩٣٠م.

وظهرت قراءة حفص فى الشرق، وقراءة نافع عن ورش فى الغرب، وعلى أساسها طبع القرآن بالحجر فى الجزائر سنة ١٩٠٥ (المكتبة الثعالبية).

كما كان للقراء فى بغداد منزلة خلف إمامهم أبى بكر مجاهد التميمى البصرى (ت ٣٢٤هـ) الذى كان مستشاراً للوزيرين: ابن عيسى وابن مقلة.

كما كانت جهود ابن مجاهد فى مقدمة تحديد القراءات السبعة المتواترة.

وكتب أبو العباس فى النصف الثانى للقرن الثالث الهجرى كتابا عن الوقف ردّ به على كتاب: المقاطع والمبادئ لأبى حاتم السجستانى.

كان أبو عمرو بن العلاء (ت ١٤٥/ ١٥٩هـ) أحد القراء السبعة المشهورين، قيل إنه أحرق ما جمعه من شعر حين بلغ الشيخوخة ولم يشتغل إلا بالقرآن، وكتب محمد بن محمد الدمشقى المعروف بابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ)، النشر فى القراءات العشر، التجارية ١٩٦٢.

ويطول بنا أمد الحديث لو مضينا مع الحصر، لكننا نكتفى ببعض الأمثلة، من ذلك:

منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء، للأشمونى، الحلبى، ط٢ سنة ١٩٧٣.
المحتسب فى القراءات لابن جنى، ت على النجدى وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٩.

النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى، ت محمد الضباع، التجارية.

إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، أحمد محمد الدمياطى تصحيح وتعليق على محمد الصباغ، المشهد الحسينى، القاهرة.

الحجة فى علل القراءات السبع ، أبو على الفارسى ، ت على النجدى وآخرين ، الهيئة العامة للكتاب .

القراءات الشاذة ، مختصر فى شوارد القرآن من كتاب البديع ، ابن خالويه برجستراسر ، القاهرة ١٩٣٤ .

وتصدى قراء ثقات لقراءات القرآن الكريم ، وكثرت جهود الفرق حول القرآن الكريم ، فالمعتزلة يفسرون ويستشهدون ويمثلون ، ويتأولون ، وفرق أخرى تتصدى لهم بالرد والمناقشة والتأويل .

وبذلك قامت نهضة مكتبة إسلامية كبرى حول القرآن الكريم بعلومه المختلفة المتنوعة مما خلف تراثًا ضخمًا يظهر أثره فى العصور التالية بمكتباتها وخزائنها ، مما يوجب علينا أن نقف أمام طائفة من تلك الآثار العلمية حول إقامة صرح المكتبة الإسلامية القرآنية وصناعة الكتاب الإسلامى ، إذ لا مفر من الإقرار بأن صناعة الكتاب الإسلامى تقوم أساسًا على دعائم القرآن الكريم وتستضىء بضوئه ، وتتنفس بشذاه ، وفيما يلى ، من مصادر ، نجد صورة حية لصناعة الكتاب الإسلامى حول القرآن .

الفصل الأول:
المكتبة القرآنية فى المصادر التراثية

١ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطى.

٢ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية.

٣ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى.

٤ ـ المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى.

٥ ـ التفسير الكبير المسمىّ «مفاتيح الغيب» لفخر الدين الرازى.

٦ ـ درة تعارض العقل والنقل لابن تيمية.

٧ ـ التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى.

٨ ـ أحكام القرآن لابن العربى.

٩ ـ معانى القرآن للأخفش.

١٠ ـ البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشىّ.

١١ ـ التبيان فى أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية.

١٢ ـ ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، وهى لكل من:

الرُّمانى، والخطابى، وعبد القاهر الجرجانى، حققها وعلق عليها د. محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، وطبعت رسالة الخطابى (بيان إعجاز القرآن) سنة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣.

١٣ ـ الإبانة عن أصول الديانة لإمام المتكلمين أبى الحسن على بن إسماعيل بن إسحاق.. الأشعرى.

١٤ ـ نُكت الأعراب فى غريب الإعراب فى القرآن الكريم للإمام الزمخشرى.

١٥ ـ أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد النيسابورى.

١٦ ـ درّة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافى.

١٧ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى.

١٨ ـ أسرار التكرار فى القرآن الكريم لتاج القراء محمود بن حمزة الكرمانى.

١٩ ـ تفسير ابن كثير لعماد الدين بن كثير.

٢٠ ـ نكت الانتصار لنقل القرآن للإمام أبى بكر الباقانى.

٢١ ـ فهم القرآن ومعانيه أو العقل وفهم القرآن للحارث بن أسد المحاسنى.

٢٢ ـ الأمثال فى القرآن الكريم لابن قيم الجوزية.

٢٣ ـ كتاب الغريبين غريب القرآن والحديث، لأبى عُبيد الهروى أحمد بن محمد.

٢٤ ـ حجة القراءات للإمام أبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة.

٢٥ ـ أسرار ترتيب القرآن، الحافظ جلال الدين السيوطى.

٢٦ ـ مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى.

٢٧ ـ معانى القرآن للفراء.

٢٨ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

١ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن:

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى بتحقيق على محمد البجاوى.

نشأ جلال الدين السيوطى بين طائفة كبيرة من شيوخ عصره، وظهرت مصنفاته الأصلية بدءًا من شرح الاستعاذة والبسملة، وتبحر فى سبعة علوم هى: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع ومن هذه السبعة:

أصول الفقه والجدل والتعريف، ثم الإنشاء والترسل والفرائض والقراءة وقد ألف ثلاثمائة كتاب، وعد له «بروكلمان» ٤١٥ مصنفًا.

حتى نصل إلى كتابه هذا الذى بين أيدنا وهو كتاب يبحث وجوه إعجاز القرآن كما يظهر من اسمه، وهو من كتبه القيمة التى تحيط بهذا الموضوع وتجمع كل ما قيل فيه.

وهو فى هذا الكتاب يجعل للإعجاز وجوهًا، ثم يذكر لكل وجه مَن ألف فيه وأسماء الكتب التى بحثت موضوعه وما ألف فيه حتى يحيط بما ظهر فى عصره وإن كان يقول بتواضع:

«وليس فى طاقة البشر الإحاطة، بأغراض الله فى كتابه، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده، فإذا علمت عجز الخلق عن تحصيل وجوه إعجازه فما فائدة ذكرها؟».

وهو فى مستهل كتابه يقول تحت عنوان إعجاز نظمه بعد أن بين مراتب تأليف الكلام وتنوعه إلى رسالة وخطابة وشعر وسجع، وأن الكلام لا يخرج عن ذلك، يقول: «ولكل من ذلك نظم مخصوص، والقرآن جامع لمحاسن الجميع على غير نظم شىء منها، يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو

سجع كما يصح أن يقال هو كلام، والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم».

ويمضى إلى وجوه إعجاز القرآن الكريم:

الوجه الأول: احتواؤه على علوم ومعارف مستنبطة منه لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد فى كلمات قليلة، وأحرف معدودة من طب، وهيئة، وهندسة، وجدل، وجبر، وصنائع وأسماء آلات.

أما الوجه الثانى فهو حفظه عن الزيادة والنقصان محروسًا عن التبديل والتغير بخلاف سائر الكتب.

ثم ينتقل إلى الوجه الثالث من وجوه إعجاز القرآن المتمثل فى: «حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحتها ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن، فجاء نطقه العجيب وأسلوبه الغريب مخالفًا لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذى جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له».

أما الوجه الرابع من وجوه إعجازه فيتمثل فى مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى، وهو هنا يتناول ما بين السور من مناسبة ويذكر أسباب الربط بين الآيات وحسن المطلب، ثم يتناول مطالع السور فيما سماه تناسب المقاطع والمطالع، ويتناول ترتيب المصحف، وافتتاح السور بالحروف المقطعة، ومعنى إنزال القرآن على سبعة أحرف.

أما الوجه الخامس من وجوه إعجاز القرآن فهو افتتاح السور وخواتمها وهو أن يتأنق فى أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع، وقد أتت فواتح السور على أحسن وجه وأكمله كالتحميدات وحروف النداء والهجاء وغيرها، ومن الابتداء: براعة الاستهلال، أما خواتم السور فهى كالفواتح فى الحسن، متضمنة المعانى البديعة على إيذان السامع بانتهاء الكلام، كما عرض لختم القرآن بالمعوذتين أو بما يطفئ الحسد.

الوجه السادس ما فى مشتبهات آياته ذلك أن القصة الواحدة ترد فى سور شتى وفواصل مختلفة تقدم وتؤخر، بزيادة أو بغيرها بتعريب أو بتنكير وغيرها.

والوجه السابع وهو ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات، وهى مما يجد له العاقل المتفهم علة مقنعة، وذكر قول الزركشى فى البرهان فى أن للاختلاف أسبابًا منها: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطورات شتى، أو لاختلاف الموضوع، أو لاختلافهما فى جهتى الفعل، أو لاختلافهما فى الحقيقة والمجاز، أو كوجود وجهين واعتبارين، ويسوق آيات عديدة مما استشكل فيها، ورد عليها.

والوجه الثامن وقوع ناسخه ومنسوخه، وما قيل فى النسخ ومعناه وأقسامه، ويستشهد لذلك بأمثلة من الآيات الكريمة.

والوجه التاسع انقسام القرآن إلى محكم ومتشابه فهو محكم أى لا يتطرق النقض إليه والاختلاف، ويشبه بعضه بعضًا فى الحق والصدق والإعجاز، وقد عرض لآراء العلماء فى ذلك وفى أنواع التشابه وعلة وروده.

والوجه العاشر هو اختلاف ألفاظه فى الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها، وهنا يسوق حديثًا عن القراءات السبع المتواترة عند الجمهور والمشهورة، ويبين ضرورة معرفة توجيه القراءات ويذكر جملة من التنبهات.

الوجه الحادى عشر تقويم بعض ألفاظه وتأخيرها فى مواضع، إما لاقتضاء السياق أو لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه أو التفنين فى الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب، ويبين أقسام التأخير وأسبابه وأسراره.

والوجه الثانى عشر إفادة حصره واختصاصه.

والوجه الثالث عشر احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم من الفرس والروم، وقال أحدهم: فى القرآن من اللغات خمسون لغة للعرب، ومن غير العرب من الفرس والروم والحبشة والبربر والسريانية والعبرانية والقبط.

والوجه الرابع عشر عموم بعض آياته وخصوص بعضها.

والوجه الخامس عشر ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبينة، ويذكر للإجمال أسبابًا هى: الاشتراك والحذف واختلاف مرجع الضمير، وغيرها.

والوجه السادس عشر الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه والمنطوق وما دل عليه

اللفظ فى محل النطق، والمفهوم: ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق، وهو قسمان: مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة.

والوجه السابع عشر: وجوه مخاطباته وهى ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلا للنبى - صلى الله عليه وسلم -، وقسم لا يصلح إلا لغيره، وقسم يصلح لهما، والوجه الثامن عشر ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن وما لم يقع فوجد على نحو ما أخبر القرآن الكريم.

والوجه التاسع عشر إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع، القديمة الداثرة.

والوجه العشرون روعته وهيبته، والوجوه الأخرى تيسيره تعالى حفظه وتقريبه على حفظته، وأن سامعه لا يمجه وقارئه لا يمله فتلذ له الأسماع وتشغف له القلوب.

الوجه الواحد والعشرون من وجوه إعجاز القرآن حيث الروعة التى تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه والهيبة التى تعترضهم عند تلاوته. اعترف بها جماعة قبل الإسلام وبعده، فمنهم من أسلم لها لأول وهلة، وآمن بالقرآن، ومنهم من كفر، فحكى فى الصحيح عن جبير بن مطعم، قال سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - يقرأ فى المغرب ﴿**والطور**﴾ فلما بلغ قوله تعالى: ﴿**المسيطرون**﴾ كاد قلبى أن يطير وفى رواية: وذلك أول ما دخل الإيمان قلبى.

وعن عتبة بن أبى ربيعة أنه كلم النبى - صلى الله عليه وسلم - فيما جاءه من خلاف قومه، فتلا عليهم صلى الله عليه وسلم فلما بلغ قوله تعالى: ﴿**صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**﴾ أمسك عتبة بيده على فى النبى - صلى الله عليه وسلم - أى فمه الشريف، وناشده الرحمة أن يكف، وفى رواية: فجعل النبى - صلى الله عليه وسلم - يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمداً عليهما حتى انتهى إلى آية السجدة من فصلت فسجدَ النّبى - صلى الله عليه وسلم - وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم، وقال: لقد كلمنى بكلام والله ما سمعت أذناى بمثله قط، فما دريت ما أقول له.

وروى أن ابن المقفع طلب معارضة القرآن الكريم وشرع فيه فمر بصبى يقرأ (**وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى**)، فرجع ومحا ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر.

أما الوجه الثالث والعشرون من وجوه إعجازه فهو وقوع الحقائق والمجاز فيه، لقد أنكر قوم المجاز فى القرآن وقالوا: إن المجاز أخو الكذب، وقد رد السيوطى إذ اتفق البلغاء أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وقد ذكر أمثلة لأنواع من المجاز فى القرآن الكريم.

ثم ذكر وجها من وجوه الإعجاز المتمثل فى وقوع الكناية والتعريض، لأن الكناية أبلغ من التصريح، ويذكر لذلك أمثلة لما فى القرآن من كنايات.

أما الوجه السادس والعشرون فهو إيجاز القرآن الكريم وإطنابه حسب المواضع وبين مستويات الخطاب من إيجاز وإطناب وبينهما المساواة، ثم يبين أقسام الإيجاز وكلام العلماء فى هذا كله، ويستشهد بآيات كريمة مثل آية: ﴿**خذ العفو**﴾ فى سورة الأعراف، فإنها جامعة لمكارم الأخلاق لأن فى أخذ العفو التساهل والتسامح فى الحقوق واللين والرفق فى الدعاء إلى الدين، وفى الأمر بالعرف كف الأذى وغض البصر وما شاكلها من المحرمات، وفى الإعراض الصبر والحلم والتؤدة، ومن ذلك سورة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ فإنها نهاية التنزيه، وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة، كذلك قوله تعالى: ﴿**وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى..**﴾ من سورة هود، ففيها أمر ونهى، وإخبار ونداء، ونعت وتسمية، وإهلاك وإبقاء، وإسعاد وإشقاء، وقصص من الأنبياء ما لو شرح ما اندرج فى هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والبيان لجفت الأقلام، وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف.

وفى العجائب للكرمانى: أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها فى فخامة ألفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها فى تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال.

ويمضى مع أمثلة عديدة من آيات القرآن الكريم مبينًا وجوه الإعجاز فيها.

أما الوجه السابع والعشرون فهو وقوع البدائع البليغة فى القرآن الكريم، وقد أنهاها بعضهم إلى مائتى نوع، وهى ألوان بديعية مثل: التورية أو الإيهام، والاستخدام، والالتفات، والإطراء، والانسجام، والإدماج، والافتنان، والاقتدار وائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى، والاستدراك والاستثناء، والاقتناص، والإبدال، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتفويف، والتقسيم، والتدبيج، والتجريد، والتعديد، والترديد، والتضمين، والجناس التام والناقص، والجمع، والجمع والتفريق، وجمع المؤتلف والمختلف، وحسن النسق، وعتاب المرء نفسه، والعكس، والفرائد وغير ذلك من ألوان بديعية.

ثم ينتقل إلى الوجه الثامن والعشرين من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو احتواؤه على الخبر والإنشاء، والقصد بالخبر إفادة المخاطب، وقد يرد بمعنى الأمر أو النهى أو الدعاء، ومن أقسامه على الأصح التعجب، وقال الزمخشرى: معنى التعجب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا عن شىء خارج عن نظائره وأشكاله.

ومن أقسام الخبر: الوعد والوعيد، ومن أقسام الخبر النفى بل هو شطر الكلام كله والفرق بينه وبين الجحد أن النافى إن كان صادقًا سمى كلامه نفيًا ولا يسمى حجة، وإن كان كذبًا سمى نفيًا وجحدا أيضًا فكل جحد نفى وليس كل نفى جحد.

ومن أقسام الإنشاء الاستفهام وهو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار، وقيل الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم فإذا سألت عنه ثانيًا كان استفهامًا، حكاه ابن فارس فى فقه اللغة. ومن أقسام الإنشاء: الأمر، والنهى والتمنى والترجى والنداء. وقد تحدث الزمخشرى عن ذلك:

«كرر فى القرآن النداء بيا أيها دون غيره، لأن فيه أوجها من التأكيد وأسبابا من المبالغة، منها ما فى «يا» من التأكيد والتنبيه وما فى «ها» من التنبيه وما فى التدرج من الإبهام فى (أى) إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة، والتأكيد». ا. هـ.

ومن أقسامه: القسم.

ثم ينتقل إلى الوجه التاسع والعشرين من وجوه إعجاز القرآن وهو إقسامه تعالى

فى مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها، وقد أفرده ابن قيم الجوزية فى مجلد سماه البيان. يقول السيوطى:

فإن قلت: ما معنى القسم منه تعالى؟ فإنه إنْ كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده.

وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمراً.

قال أبو القاسم القشيرى: «وذلك لأن الحكم يفصل باثنتين إما بالشهادة وإما بالقسم، فذكر تعالى فى كتابه النوعين حتى لا تبقى لهم حجة».

ويذكر السيوطى: ولا يكون القسم إلا باسم معظم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه فى القرآن فى سبعة مواضع، والباقى كله قسم بمخلوقاته كالتين، والصافات والليل والشمس والضحى. فإن قيل كيف أقسم بما خلق، وقد ورد النهى عن القسم بغير الله؟ قلت. أجيب عنه بأجوبة:

أحدها: إنه على حذف مضاف، أى ورب التين ورب الشمس. . إلخ.

الثانى: إن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون. الثالث: إن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يحبه وهو فوقه، والله تعالى ليس شىء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على أنه بارئ صانع. قال ابن أبى الأصبع فى أسرار الفواتح: «القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول من غير فاعل».

ثم يعرض لاشتمال القرآن على جميع أنواع البراهين والأدلة، وضرب الأمثال، وما فيه من آيات جامعة وأسماء الأشياء والملائكة وغيرها.

٢ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية:

قام بجمعه والتقديم له والتعليق عليه الدكتور محمد السيد الجليند، والكتاب لابن تيمية، يقول عنه الذهبى: «قد شرع فى تفسير القرآن فكان يورد من حفظه فى

المجلس نحو كراستين أو أكثر ، وبقى يفسر سورة نوح عدة سنين أمام الجمع بالمسجد» .

ويقول عنه : «قد برع فى التفسير وغاص فى دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر إلى مواضع الإشكال ميال ، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها» .

وفى كتاب الذهبى (التاريخ الكبير) يقول عنه : «أما التفسير فمسلم إليه وله فيه من استحضار الآيات من القرآن ، وتمت إقامة الدليل على المسألة ، قوة عجيبة ، وإذا رآه المقرئ تحير فيه ، ولفرط إمامته فى التفسير وعظم اطلاعه ، يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ، ويوهى أقوالاً عديدة ، وينصر قولاً واحدًا موافقًا لما دل عليه القرآن والحديث» .

وهو لم يفسر القرآن كله ، بل بعضه ، لأنه رأى أن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة ، ويقول : «ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ثم أسأل الله الفهم وأقول يا معلم آدم وإبراهيم علمنى» .

ومعنى هذا أنه شغل نفسه بتفسير أهم ما استشكل على المفسرين من القرآن الكريم ، ولهذا فإنه ليس بين أيدينا ما يدل على أنه وضع تفسيرا كاملاً للقرآن الكريم كله .

لقد جلس ابن تيمية مكان والده فى الجامع أمام الجميع لتفسير القرآن الكريم ، وغاص فى دقيق المعانى مستنداً إلى الدليل ناصراً طريقة السلف ، هذا إلى جانب عمله بالحديث ، ومحاربة البدع والشوائب وتجريم ما تعرض له من محن وما كابد من مشاق .

إننا حين نستعرض القضايا التى وردت على قلم ابن تيمية فى هذا الكتاب نجدها تتعدد ؛ إذ بدأها بالمقدمة الأولى - وقد سمى كتابه (مقدمات فى فهم القرآن) - ردّاً على ما يتلقى من أسئلة ، هذه المقدمة الأولى عنوانها فى حديث الرسول «أنزل القرآن على سبعة أحرف» ، وهو هنا يشرح المقصود بالأحرف السبعة فيتحدث عن القراءات ويوفيها حقها .

ثم ينتقل إلى ترتيب الآيات وكيف كان توقيفيّا ، وترتيب السور وكيف كان اجتهاديّا ، ويناقش : هل البسملة آية؟ .

ثم ننتقل معه إلى المقدمة الثانية ، فى تحزيب القرآن أى تقسيمه إلى أحزاب ، ويناقش الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه ، فيحصل القارئ فى اليوم الثانى مبتدئا بمعطوف .

أما المقدمة الثالثة فهى فى (أصح كتب التفسير) ، وقد رأى ابن تيمية أن أصح التفاسير تفسير محمد بن جرير الطبرى ، ثم يشير إلى أن أسلم التفاسير من البدعة والأحاديث الضعيفة : تفسير البغوى أبى محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوى الفقيه الشافعى والمحدث والمفسر المشهور ، وقد تأثر بالثعلبى فى تفسيره .

ثم يعرض للواحدى فى تفسيره ، ويتحدث عن تفسير الزمخشرى ويشير إلى أن به بعض البدع .

ثم يعرض لتفسير القرطبى ويقول إنه خير منه بكثير وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة وأبعد عن البدع . وإن كان كل من هذه الكتب لابد أن يشتمل على ما يُنقد . لكن يجب العدل بينها وإعطاء كل ذى حق حقه ، كما يذكر أن هناك تفاسير أخرى كثيرة .

أما المقدمة الرابعة فيتحدث فيها عن : قواعد كلية فى التفسير ، وفيها يتناول كيف أن السلف فهموا القرآن وبينوا معناه ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين لهم معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه .

وفى هذه المقدمة أيضًا يبين كيف أن السلف كان اختلافهم فى التفسير قليلاً ، وما صح عنهم من الخلاف راجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وجعل ذلك فى أصناف : أحدها : أن يعبر كل منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه ، والثانى : أن يذكر كل منهم الاسم العام لبعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للحدود فى عمومه وخصوصه ، والثالث : احتمال اللفظ للأمرين ، والرابع : استعمال الألفاظ المتقاربة . ثم يذكر الاختلاف فى التفسير وأسبابه ، وهو أنواع : إما أن يكون الاختلاف راجعًا للنقل ، فأهل المدينة أعلم الناس بالمغازى ، وأهل مكة أعلم الناس بالتفسير .

والنوع الثانى : سببه اختلاف طرق الاستدلال ، ثم يبين أحسن طرق التفسير ، وهى أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل فى مكان فإنه قد فُصّل فى موضع آخر ، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فبالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له . بل قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى : «كل ما حكم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو مما فهمه من القرآن» ا . هـ . ويضيف ابن تيمية : إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا إلى أقوال الصحابة ، والتابعين .

ويرى أن تفسير القرآن بالرأى حرام ، إذ توقف السلف عن التفسير بالرأى .

أما المقدمة الخامسة فعنوانها المتشابه والتأويل حيث يناقش الفرق بين التفسير والتأويل ، ومعانى التأويل الثلاثة ، مبيّنًا الصفات الإلهية ليست من المتشابه .

أما المقدمة السادسة فهى فى معجزات القرآن من تحدى أهل مكة ، وتحدى أهل المدينة ، ثم نظم القرآن وأسلوبه المعجز .

أما المقدمة السابعة فهى عن حكم ترجمة القرآن هل ترجمة مجرد اللفظ ، أم ترجمة المعنى وبيانه؟ هل يترجم القرآن من فى الصلاة؟ ويمضى على هذه الأسئلة فيجيب عنها إجابة وافية .

أما الجزء الخاص بدقائق التفسير الجامع لابن تيمية ، فيدور حول : أسماء القرآن وصفاته ، والآيات الدالة على اتباعه ، وتفسير سورة الفاتحة ، وفضلها ، والإنسان بين العبادة والاستعانة ، ومعنى الحمد لله ، وتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

ويقف الشيخ ابن تيمية عند دقائق تتضمنها سورة الفاتحة ، ثم يقف عند بعض ما أشكل على المفسرين ، فيتناول ضرب المثل ، وذكر القصص فإنها كلها أمثال هى أصول قياس واعتبار على نحو ما فى السور : (يوسف ، والحشر ، وآل عمران) ، والاعتبار هو القياس بعينه كما قال ابن عباس ، ثم يمضى مع آيات أخر يجلى الحقيقة فى تفسيرها أو مناقشة الآراء حولها بفهم وعمق وإتقان حتى نجد أنفسنا أمام جملة حقائق نوقشت مناقشة علمية رصينة هادئة أسهمت فى صنع الكتاب الإسلامى .

٣ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ:

يستهل المؤلف كتابه ببيان فائدة التفسير والتأويل وبيان الحاجة إلى هذا العلم وشرفه، أما معناهما فالتفسير تفصيل من الفسر وهو لغة البيان: والكشف، والقول بأنه مقلوب السفر مما لا سفر له وجه، ويطلق التفسير على التعرية والانطلاق يقال فسرت الفرس إذا عريته لينطلق ولعله يرجع لمعنى الكشف كما لا يخفى، بل كل تصاريف حروفه لا تخلو عن ذلك كما هو ظاهر لمن أمعن النظر، ووسموه بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات بذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح ما أبهم من القرآن ونحو ذلك، والتأويل من الأول وهو الرجوع. والقول بأنه من الإيالة وهى السياسة كأن المئوّل للكلام ساس الكلام، ووضع المعنى فيه موضعه ليس بشىء، واختلف فى الفرق بين التفسير والتأويل فى المعانى والجمل فى الكتب الإلهية خاصة.

وقيل التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية، وقيل غير ذلك، ويضيف الألوسى:

«وعندى أنه لو كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف فكل الأقوال فيه ما سمعتها وما لم تسمعها مخالفة للعرف اليوم، إذ قد تعارف من غير نكير أن التأويل إشارة قدسية ومعارف سبحانية، تنكشف من سجف العبارات للسّالكين، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك، وإن كان المراد الفرق بينهما بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقة».

ثم يبين ما يحتاجه التفسير من: علم اللغة، لأن به يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ولا يكفى اليسير؛ إذ قد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين، والمراد الآخر فمن لم يكن عالمًا بلغات العرب لا يحل له التفسير كما قاله مجاهد، وعن أحمد أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ما يعجبنى، وهو ليس بنص فى المنع عن بيان المدلول اللغوى للعارف كما لا يخفى.

والثانى مما يحتاجه المفسر : معرفة الأحكام التى لمتكلم العربية من جهة إفرادها وتركيبها ويؤخذ ذلك من علم النحو .

والعلم الثالث الذى يحتاجه المفسر علم المعانى والبيان والبديع ، ويعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثانى خواصها من حيث اختلافها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهو الركن الأقوم واللازم الأعظم فى هذا الشأن كما لا يخفى ذلك على من ذاق طعم العلوم ولو بطرف اللسان .

والعلم الرابع تعيين مبهم ، وتبين مجمل ، وسبب نزول ونسخ ، ويؤخذ ذلك من علم الحديث .

والعلم الخامس مما يحتاجه المفسر : معرفة الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتعبير ، ودلالة الأمر والنهى وما أشبه هذا ، وأخذوه من أصول الفقه .
والعلم السادس : الكلام فيما يجوز على الله وما يجب له وما يستحيل عليه والنظر فى النبوة ويؤخذ هذا من علم الكلام ، ولولاه يقع المفسر فى ورطات .

والعلم السابع : علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن . وبالقراءات ترجح بعض الوجوه المحتملة على بعضه .

وعَدَّ السيوطى مما يحتاج إليه المفسر علم التصريف وعلم الاشتقاق ، وأنا أظن أن المهارة ببعض ما ذكرنا يترتب عليها ما يترتب عليهما من الثمرة ، وعدَّ أيضًا علم الفقه ، ولم يعده غيره ولكل وجهة ، وعد علم الموهبة أيضًا من ذلك ، قال وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الإشارة بالحديث : «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم» .

ثم ينتقل إلى التفسير بالرأى فيقول : «فالشائع المنع عنه» ، واستدل عليه بما أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى من قوله صلى الله عليه وسلم : من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ، وهو يرى فى ذلك نظرا ، حتى يقول : «فلا ينبغى لمن له أدنى مُسكة من عقل . بل أدنى ذرة من إيمان أن ينكر اشتمال القرآن على بواطن يفيضها المبدئ الفياض على بواطن من شاء من عباده وياليت شعرى ماذا يصنع المنكر بقوله تعالى : ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾» .

ويتحدث عن الكلام فيقول:

«إن الإنسان له كلام بمعنى التكلم الذى هو مصدره وكلام بمعنى المتكلم به الذى هو الحاصل بالمصدر، ولفظ الكلام موضوع لغة للثانى قليلاً كان أو كثيراً حقيقة كان أو حكمًا، وقد يستعمل استعمال المصدر كما ذكره الرضى وكل من المعنيين إما لفظى أو نفسى، فالأول من اللفظى فعل الإنسان باللسان وما يساعده من المخارج، والثانى منه كيفية فى الصوت المحسوس، والأولى من النفسى فعل قلب الإنسان ونفسه الذى لم يبرز إلى الجوارح، والثانى كيفية فى النفس إذ لا صوت محسوسًا عادة فيها، وإنما هو صدى معنوى مخيَّل.

أما الكلام اللفظى بمعنييه فمحل وفاق، وأما النفسى فمعناه الأول تكلم الإنسان بكلمات ذهنية وألفاظ مخيلة، يرتبها فى الذهن على وجه إذا تلفظ بها بصوت محسوس كانت عين كلماته اللفظية، ومعناه الثانى هو هذه الكلمات الذهنية والألفاظ المخيلة المرتبة ترتيبًا ذهنيًا منطبقًا عليه الترتيب الخارجى.

والدليل على أن للنفس كلامًا بمعنيين: الكتاب والسنة، مثل: ﴿**أسرَّها يوسف فى نفسه**﴾، لما يدل على أن للنفس كلامًا بالمعنى المصدرى وقولاً بالمعنى الحاصل بالمصدر، وذلك من أسر، وسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قاله رجل: «إنى أحدث نفسى بالشىء لو تكلمت به لأحبطت أجرى» فسمى كلاما مع أنه محدث به نفسه مع أنه كلمات ذهنية.

وهو يعرض ذلك مقدمة لبحث قضية خلق القرآن التى أثيرت فى الفكر العربى القديم.

وينتقل إلى قضايا عديدة بهذا المنهج الذى مثلنا له بما تقدم، من تلك القضايا:

بيان الأحرف السبعة، التى نزل بها القرآن الكريم، وجمع القرآن وترتيبه، ووجه إعجاز القرآن.

ثم ينتقل بعد هذه القضايا إلى التفسير، فيفسر سورة الفاتحة، ثم ينتقل إلى سورة البقرة، وفى سورة البقرة يقف أمام قضاياها ووجوهها مفصلاً قصة موسى - عليه السلام - مع بنى إسرائيل ومع فرعون، والحديث عن أهل الكتاب ومواقفهم من يهود ونصارى، وقصة ابتلاء إبراهيم بكلمات.

ويتحدث عن تحويل القبلة وما أثاره اليهود من شبهات ويرد عليها ويفندها ويفيض فى حديثه عن القبلة .

ثم ينتقل إلى الشهيد وروحه وجسده ، وعالم البرزخ ، ثم ينتقل إلى مشروعية السعى بين الصفا والمروة ، وما يجوز للذمى ، ومشروعية القصاص ، ومشروعية العفو ، والوصية ، والفرض ، والصيام وحكمه على المسافر ، ومشروعية الجهاد ، وحكم التجارة ، والحج وشعائره ، وتوبيخ أهل الكتاب على طغيانهم ، ومشروعية القتال ، والقتال فى الأشهر الحرم ، والخمر والميسر ، والنكاح ، والحلف ، وبعض الأحكام المتصلة بالمرأة ، وبيان ما حصل لبنى إسرائيل بعد موسى وقبله من القتال فى سبيل الله وما يتعلق بذلك ، والكلام على التابوت وتعريفه ، واختلاف الروايات فى المراد به ، وبيان أن أقربها أنه صندوق التوراة ، وابتلاء الله تعالى لبنى إسرائيل بالنهر ليظهر للعيان الصادق والكاذب منهم ، وبيان أن ما قصه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حكاية داود وجالوت أن الرسول قص ذلك مما ليس فى كتاب من غير مطالعة كتاب ولا اجتماع بأحد يخبره بذلك مما يؤكد نبوته .

وهكذا يمضى الألوسى فى كتابه روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى بمنهج واضح فى التفسير والبيان .

٤ ـ المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى تحقيق محمد سيد كيلانى:

والراغب الأصفهانى أحد أئمة أهل السنة . يذهب فى كتابه لتفسير جامع لما ورد فى القرآن الكريم من الكلمات الصعبة ، وقد رتبه حسب الحروف الهجائية كما هو الحال فى المعجمات اللغوية ، مما يسهل مهمة الباحث فى الوصول إلى مراده دون تعب .

يقول فى مقدمة كتابه : «إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتحصيل معانى مفردات ألفاظ القرآن فى كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه ، وليس ذلك نافعًا فى علم

القرآن فقط، بل هو نافع فى كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هو لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها عماد الفقهاء والحكماء فى أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرغ هذا من الشعراء والبلغاء نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة».

وهو يبين منهجه فى كتابه قائلاً:

«وقد استخرت الله تعالى فى إملاء كتاب مستوف فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجى فتقدم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم معتبراً فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد، والإشارة فيه إلى المناسبات التى بين الألفاظ المستعادات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع فى هذا الكتاب، وأحيل بالقوانين الدالة على تحقيق مناسبات الألفاظ على الرسالة التى عملتها مختصة بهذا الباب».

وهو يخبر عن نيته على إصدار كتاب آخر يقول: «وأتبع هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى ونسأ فى الأجل، بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته، نحو ذكره القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة، وذكره تعالى فى عقب قصة: ﴿**إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾، وفى أخرى: ﴿**لقوم يتفكرون**﴾، وفى أخرى ﴿**لقوم يعلمون**﴾، وفى أخرى: ﴿**لقوم يفقهون**﴾، وفى أخرى: ﴿**لأولى الأبصار**﴾، وفى أخرى: ﴿**لذى حجر**﴾، وفى أخرى: ﴿**لأولى النهى**﴾، ونحو ذلك مما يعده من لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد».

ونقف الآن مع بعض هذه المفردات، ونتعرف على طريقة الراغب الأصفهانى فى شرح المفردات القرآنية، والرجوع إلى جذور المادة اللغوية، وشرحها وتفسيرها.

وفاكهة وأبّا:

الأب المرعى المتهيئ للرعى والجز، من قولهم أبَّ لكذا أى تهيأ أبا وإبابة وإبابا وأب إلى وطنه إذا نزع إلى وطنه نزوعًا تهيأ لقصده، وكذا أب لسيفه إذا تهيأ لسله.

أبق: أبق العبد يأبق إباقا وأبق يأبق إذا هرب، وعبد آبق وجمعه أبّاق.

تأجرنى: يقال أجر زيد عمرًا بأجرة أجرا أعطاه الشىء، بأجرة، وأجر عمرو زيدًا أعطاه أجرة، والاستئجار طلب الشىء بالأجرة.

آدم: أبو البشر: قيل سمى بذلك لكون جسده من أديم الأرض، وقيل لسمرة فى لونه يقال رجل آدم نحو أسمر، وقيل سمى بذلك لكونه من عناصر مختلفة، وقوى متفرقة، يقال جعلت فلانًا أدمة أهلى: خلطته بهم، وقيل سمى بذلك لما طيب به من الروح المنفوخ فيه، ومن قولهم الإدام أى ما يطيب من الطعام لتفضيل آدم على غيره.

الإرم: علم، يبنى من الحجارة وجمعه آرام، وقيل للحجارة أرم ومنه قبل للمتغيظ يحرق الأرم، وإرم ذات العماد إشارة إلى أعمدة مرفوعة مزخرفة وما بها أرم وأريم أى أحد.

أز: تؤزهم أزا أى ترجعهم إرجاع القدر إذا أزت أى اشتد غليانها وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل.

أصر: عقد الشىء وحبسه بقهره يقال أصرته فهو مأصور والمأصر والمأصر محبس السفينة، وأصرهم: أى الأمور التى تثبطهم وتقيدهم عن الخيرات وعنَ الوصول إلى الثوابات، وقيل ثقلا، والآصر: العهد المؤكد.

أفّ: أصل الأف كل مستعذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجرى مجراها.

أفل، الأفول: الأوب غيبوبة النيرات كالقمر والنجوم.

أوّاب: الأوب: ضرب من الرجوع وذلك أن الأواب لا يقال إلا فى الحيوان الذى له إرادة والرجوع يقال فيه وفى غيره، والأواب كالتواب وهو الراجع إلى الله تعالى بترك المعاصى وفعل الطاعات، ومنه قيل للتوبة أوبة.

أواه: أى مكثر التأوه. وكل كلام يدل على حزن يقال له التأوه، ويعبر بالأواه عمن يظهر الخشية من الله تعالى: ﴿أواه منيب﴾ أى المؤمن الراعى وأصله راجع إلى ما تقدم.

بسر: البسر الاستعجال بالشيء قبل أوانه، وبسر أى أظهر العبوس قبل أوانه وفى غير وقته.

البضاعة: قطعة وافرة من المال تقتنى للتجارة يقال أبضع بضاعة وابتضعها وأصلها البضع أى جملة من اللحم تبضع أى تقطع يقال بضّعته وبضعته فابتضع وتبضع كقولك قطعته وقطّعته فانقطع وتقطع.

بكة: هى مكة، وقيل بطن مكة، وقيل هذا اسم المسجد، وقيل هى البيت، وقيل حيث الطواف، وسمى بذلك من التباك أى الازدحام لأن الناس يزدحمون فيه للطواف، وقيل سميت مكة بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم.

التبّ: والتباب الاستمرار فى الخسران يقال تبًا له وتب له وتبّبْتُهُ إذا قلت له ذلك وتضمن الاستمرار.

التابوت: قيل كان شيئا منحوتا من الخشب فيه حكمة، وقيل عبارة عن القلب والسكينة وعما فيه من العلم، وسمى القلب سفط العلم وبيت الحكمة وتابوته ووعاءه وصندوقه.

مثبور: الثبور الهلاك والفساد، المثابر على الإتيان أى المواظب من قولهم ثابرت.

الجبّ: بئر لم تطور وتسميته بذلك إما لكونه محفوراً فى جيوب أى فى أرض غليظ، وإما لأنه قد جب والجب قطع الشيء من أصله كجّب النخل.

حرضًا: الحرض ما لا يعتد به ولا خير فيه ولذلك يقال لمن أشرف على الهلاك يحرض، قال الشاعر:

إنى امرؤ نابنى هم فأحرضنى

حصحص الحق: أى وضح ذلك بانكشاف ما يقهره.

حنيذ: أى مشوى بين حجرين وإنما يفعل ذلك لتصبب عنه اللزوجة التى فيه وهو من قولهم حنذت الفرس استحضرته شوطًا أو شوطين.

الحنف: ميل من الضلال إلى الاستقامة والجنيف ميل من الاستقامة إلى الضلال، والحنيف المائل إلى ذلك، وتحنف فلان أى تحرى طريق الاستقامة، وسمت العرب كل من حج أو اختتن: حنيفا تنبيها على أنه دين إبراهيم -عليه السلام-.

وهكذا يمضى الراغب الأصفهانى فى معجمه هذا متتبعًا معظم مفردات القرآن الكريم يعرضها ويشرحها ويفسرها تفسير إحاطة وشمول ليفيد منها قارئ القرآن الكريم وقاصد تفسيره وفهمه، إسهامًا فى صناعة الكتاب الإسلامى.

٥ ـ التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب لأبى عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشى الشافعى الطبرستانى الأصل الملقب بفخر الدين الرازى.

كان علماء الأصول إذا نقلوا عنه قالوا: وقال الإمام، أو عن الإمام، وإذا قالوا: الإمام بدون ذكر اسم بعده لم يريدوا غيره فى كل عباراتهم وكتبهم.

ولد فى الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث أو أربع أو خمس وأربعين وخمسمائة من الهجرة، ثم تلقى التعليم عن أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الرى صاحب الإمام البغوى، وكان الفخر ينعت بابن خطيب الرى نسبة إلى أبيه، فلما مات أبوه قصد الكمال السمعانى ثم عاد إلى الرى واشتغل بالعلوم الحكمية، كما اشتغل بأمر الفقه. وقد اشتغل فى علم الأصول على أبيه ضياء الدين عمر، وتعددت شيوخه وتنوعوا. حتى صار من علماء عصره فقها، ولغة، ومنطقًا، ومذاهب كلامية وحكمية، يقول عنه ابن خلكان: إن كتبه ممتعة، وقد انتشرت تصانيفه فى البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة.

من كتبه التفسير الكبير الذى بين أيدينا (مفاتيح الغيب)، وكتاب تفسير الفاتحة، واشتمل على آلاف المسائل. وكتاب التفسير الصغير واسمه (أسرار التنزيل وأنوار التأويل) وكتاب المحصول وقد طبع بالسعودية، وكتب أخرى عديدة، وأتم منها قبل موته ما زاد على ٦٥ كتابا، ومات دون أن يتم نحو ثمانية كتب، وكان إذا ركب

مشى نحو الثلاثمائة مشتغل بطلب العلم معه، وإذا جلس للتدريس أطاف به جماعة من كبار تلاميذه.

وقد ندم على اشتغاله بعلم الكلام، وروى عنه قوله: «لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى غليلا ولا تشفى عليلا، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن».

وهو شاعر ومن شعره:

نهـــاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

إن الفخر الرازى يرى أن فى سورة الفاتحة عشرة آلاف مسألة ولا يقبل من استبعد هذا رأيا مما ذهبه إليه.

وهو حين يبدأ بالبسملة يقول: «فيه نوعان من البحث، النوع الأول: قد اشتهر عند العلماء أن لله تعالى ألفا وواحدا من الأسماء المقدسة المطهرة، وهى موجودة فى الكتاب والسنة، ولا شك أن البحث عن كل واحد من تلك الأسماء مسألة شريفة علمية، وأيضًا فالعلم بالاسم لا يحصل إذا كان مسبوقًا بالعلم بالمسمى، وفى البحث عن ثبوت تلك المسميات، وعن الدلائل الدالة على ثبوتها، وعن أجوبة الشبهات التى تذكر فى نفيها مسائل كثيرة ومجموعها يزيد على الألوف.

النوع الثانى من مباحث هذه الآية: ما يتصل بمفردات الآية وحروفها، ثم ما يشرع فيها، وهو يزيد على عشرة آلاف مسألة. ثم ينتقل لمعنى ﴿**العالمين**﴾ وهى عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، وهى ثلاثة أقسام: المتحيزات، والمفارقات والصفات.

أما المتحيزات فهى: إما بسائط أو مركبات.

أما البسائط فهى: الأفلاك والكواكب والأمهات.

أما المركبات فهى: المواليد الثلاثة.

واعلم أنه لم يقم دليل على أنه لا جسم إلا هذه الأقسام الثلاثة، وذلك لأنه ثبت

بالدليل أنه حصل خارج العالم خلاء لا نهاية له، وثبت بالدليل أنه تعالى قادر على جميع الممكنات.

ومعلوم أن البحث عن هذه الأقسام التى ذكرناها للمتحيزات اشتمل على ألوف ألوف من المسائل، بل الإنسان لو ترك لكل وأراد أن يحيط علمه بعجائب المعادن المستولدة فى أرحام الجبال من الفلزات والأحجار الصافية وأنواع الكباريت والزرانيخ والأملاح وأن يصرف عجائب أحوال النبات مع ما فيها من الأزهار والأنوار والثمار، وعجائب أقسام الحيوانات من البهائم والوحوش والطيور والحشرات، لنفد عمره فى أقل القليل من هذه المطالب ولا ينتهى إلى غورها».

ثم يقف عند ﴿الرحمن الرحيم﴾ فيقول:

فاعلم أن الرحمة عبارة عن التخليص من أنواع الآفات وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات، أما التخليص عن أقسام الآفات فلا يمكن معرفته إلا بعد معرفة أقسام الآفات، وهى كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن شاء أن يقف على قليل منها فليطالع كتب الطب حتى يقف عقله على أقسام الأسقام التى يمكن تولدها فى كل واحد من الأعضاء والأجزاء، ثم يتأمل فى أنه تعالى كيف هدى عقول الخلق إلى معرفة أقسام الأغذية والأدوية من المعادن والنبات والحيوان، فإنه إذا خاض فى هذا الباب وجده بحراً لا ساحل له. ثم مضى مع المسائل المستنبطة من سورة الفاتحة.

ففى قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾:

اعلم أن الإنسان كالمسافر فى هذه الدنيا وسفره كالفرسخ وشهوره كالأميال وأنفاسه كالخطوات، ومقصده إلى عالم أخراه، لأن هناك يحصل الفوز بالباقيات الصالحات، وإشارة إلى مسائل المعاد والحشر والشر، وهى قسمان: عقلى محض، وسمعى.

وهكذا يمضى مع آيات سور الفاتحة، ثم ينتقل إلى المعانى المستنبطة من أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن مباحثها العقلية:

الاستعاذة، وما هيتها، وأركانها، واللطائف المستفادة من الاستعاذة وهكذا يمضى الجزء الأول وعدد صفحاته مائتان وتسعون صفحة مع تفسير سورة الفاتحة فقط.

فهو بعد أن ينتهى من تفسير الاستعاذة، يفسر البسملة وما يعلق بها قراءة وكتابة، ومباحث الاسم العقلية والفعلية، والأسماء الدالة على الصفات الحقيقية، والأسماء الدالة على كيفية الوجود، وأقسام الصفات الحقيقية، والأسماء الدالة على الذات.. إلخ. حتى ينتهى من سورة الفاتحة كما قدمنا فى ٢٩٠ صفحة.

ثم يبدأ فى سورة البقرة، فيتناول قضاياها، ومن بينها ضرب الأمثال، وهو من الأمور المستحسنة فى العقول ويدل على وجوه، أحدها إطباق العرب والعجم على ذلك، أما العرب فذلك مشهور عندهم وقد تمثلوا بأحقر الأشياء فقالوا فى التمثيل بالذرة: أجمع من ذرة، وأضبط من ذرة، وأخفى من ذرة، وفى التمثيل بالذباب، ألح من الذباب، وأخطأ من الذباب، وأطيش من الذباب، وأشبه من الذباب بالذباب، وكذا فى الجرادة والفراشة والبعوضة مما قاله العرب، ومما جاء فى كتاب (كليلة ودمنة) مما يتصل بالأشياء الهينة البسيطة، فظهر أن الله تعالى ضرب الأمثال بهذه الأشياء الحقيرة. وأما العقل فلأن من طبع الخيال المحاكاة والتشبه فإذا ذكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن مع منازعة الخيال، وإذا ذكر معه الشبْه أدركه العقل مع معاونة الخيال، ولا شك أن الثانى يكون أكمل وأيضًا فنحن نرى أن الإنسان يذكر معنى ولا يلوح به كما ينبغى، فإذا ذكر المثال اتضح وصار هينا مكشوفا، فإذا أراد الله أن يقبح عبادتهم الأصنام وعُدُولُهم عن الرحمن صلح أن يضرب المثل بالذباب ليبين أن قدر مضرتها لا يندفع بهذه الأصنام، ويضرب المثل لبيت العنكبوت ليبين أن عبادتها أوهن من ذلك وفى مثل ذلك كل ما كان المضروب به المثل أضعف كان المثل أقوى وأوضح.

وهكذا يمضى الفخر الرازى فى تفسيره الفريد المتميز بسمة خاصة هى الاهتمام بالطبيعة والكائنات والحقائق العلمية والنظرة التجريبية.

٦ ـ درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبدالحليم. تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

طبع هذا الكتاب على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ضمن سلسلة عنوانها مكتبة ابن تيمية.

وأهمية هذا الكتاب ترجع إلى أمور عدة منها:

موضوعه الخصب الذى يمس جانبًا مهمًا من جوانب العقيدة الإسلامية وصلة ذلك بمصدرى التشريع الإسلامى، وهما: القرآن الكريم، والحديث الشريف.

ومنها أن مؤلفه هو شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية الذى جاهد فى سبيل شريعة الله سبحانه وتعالى، والذى كافح الطوائف المنحرفة عن المنهج الحق فبين زيف تفكيرها، وخطأ فكرها، وكان لذلك أثره أنْ عودى من أصحاب الآراء المنحرفة، وكان من أثر ذلك ضياع مؤلفاته أو تشويهها من بين ما ضاع من المكتبة الإسلامية فكان من الواجب إحياء هذه الكتب، ومن بينها هذا الكتاب الذى قال عنه تلميذه ابن قيم الجوزية: «إنه كتاب لم يطرق العالم له نظيراً فى بابه».

وتبدأ قصة ظهور هذا الكتاب منذ سنة ١٣٢٢هـ حيث طبع قسم منه على هامش كتاب «منهاج السنة النبوية»، ثم طبع قسم أصغر منه مرة أخرى سنة ١٣٧٠هـ، وكان طبع الكتاب فى المرتين ناقصًا.

حتى قام الدكتور محمد رشاد سالم بإعداد بحثه للدكتوراه وموضوعه «موافقة العقل للنقل عند ابن تيمية» وذلك سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م) فصور مخطوطات الكتاب، وتبين له أن ما طبع منه ـ فى المرتين ـ لا يعدو أن يكون ثلث حجم الكتاب فى أساسه فبدأ ينجز تحقيق أجزائه منذ سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

هذا الكتاب الذى بين أيدينا هو ثانى كتب ابن تيمية بعد كتابه (منهاج السنة النبوية).

يبدأ ابن تيمية كتابه ـ بعد الخطبة ـ بما يلى:

«قول القائل: إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو

النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات فإما أن يجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يرادا جميعا، وإما أن يقدم السمع، وهو محال، لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحًا فى العقل الذى هو أصل النقل، والقدح فى أصل الشىء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحًا فى النقل والعقل جميعًا، فوجب تقديم العقل ثم النقل إما أن يتأول، وإما أن يعوض، وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما».

وقد تنوعت موضوعات الكتاب، فمنها مسألة العلو، وحديثه عن «الجهة» و«الفوقية»، وموضوع إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، وطريقة معرفته سبحانه، وقد عقد مقارنات بين أقوال الفلاسفة الكبار من أمثال: الغزالى، وابن رشد فى نقده إياه، وبين وجه الصواب فى كل منهما.

ومن أهم الموضوعات ما تناوله فى الجزء الرابع حول موضوع المعرفة الفطرية، وقد عرض لحديث الرسول ـ ﷺ ـ: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه»، ولقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (سورة الروم: الآية ٣٠)، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (سورة الأعراف: الآية ١٧٢).

وقد ناقش آراء العلماء فى هذا ورجح الرأى القائل بأن الفطرة هى الإسلام، ودلل على ذلك بأدلة عقلية من الكتاب والسنة وأخرى عقلية محضة.

وتتعدد موضوعات الكتاب حول مصادر التشريع الإسلامى، ونختار منها بعض القضايا مثل:

تنزيه القرآن الكريم لله تعالى عن الشركاء، والمسائل التى نهى عنها الكتاب والسنة وهى: القول على الله بدون علم كما دلت على ذلك الآية ٣٣ من سورة الأعراف، والآية ٣٦ من سورة الإسراء.

ومنها: أن يقال على الله غير الحق كما دلت على ذلك الآية ١٦٩ من سورة

الأعراف، والآية ١٧١ من سورة النساء. ومنها: الجدل بغير علم كما دلت عليه الآية ٦٦ من سورة آل عمران. ومنها الجدل بالباطل كما دلت عليه الآية ٥ من سورة غافر، ومنها الجدل فى آياته كما دلت عليه الآيات العديدة فى سور شتى، وكذلك التفرق والاختلاف . . إلخ.

ومن قضايا الكتاب رده على المبتدعة فى استعمالهم ألفاظ الكتاب والسنة واللغة ويقصدون بها معانى أخر، ثم يذكر معنى لفظ التوحيد فى الكتاب والسنة وكيفية مخالفته لما يقصده المبتدعة، ويبين نوعى الألفاظ، والكلام عن الرؤية، ومعنى الاستواء على العرش، ويعرض لآرائهم حول قصة إبراهيم -عليه السلام-.

ويذكر قول بعضهم من أن لفظ القرآن باق على عمومه، ولكن ما سكت عنه لفظ القرآن من الشروط والموانع بُيِّنَ فى نصوص أخرى.

وهكذا يقولون فى قوله تعالى: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ (سورة المائدة: آية ٣٨)، وأمثال ذلك من عمومات القرآن وظواهره، لا يقولون: إن ظاهر اللفظ متروك ولكن يقولون: ما سكت عنه اللفظ بُيِّنَ فى نصوص أخرى، ويقولون: فرق بين ما يعمه اللفظ، وبين ما سكت عنه من أحوال: ما عمّه فإن اللفظ مطلق فى ذلك لا عام له.

وإذا كان فى كلام الله ورسوله كلام مجمل أو ظاهر قد فسر معناه وبينه كلام آخر متصل به أو منفصل عنه، لم يكن فى هذا خروج عن كلام الله ورسوله، ولا عيب فى ذلك ولا نقص.

ويبين ابن تيمية أن الألفاظ نوعان:

نوع مذكور فى كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل الإجماع، فهذا يجب اعتبار معناه، وتعليق الحكم به، فإن كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح، وإن كان ذمّا استحق الذم، وإن أثبت شيئًا وجب إثباته وإن نفى شيئًا وجب نفيه، لأن كلام الله حق، وكلام رسول الله حق وأهل الإجماع حق، وهذا كقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

السَّلامُ الْمُؤْمِنُ﴾ (سورة الحشر الآيات: ٢٢ـ٢٣)، ونحو ذلك من أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (سورة الشورى: الآية ١١) وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢, ٢٣) ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الأنعام الآية: ١٠٣) وأمثال ذلك مما ذكره الله تعالى ورسوله ـ ﷺ ـ فهذا كله حق.

٧ ـ التبيان فى إعراب القرآن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦هـ تحقيق على محمد البجاوى:

هو الشيخ الإمام محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى.

يظل هذا النحوى الضرير العكبرى الأصل البغدادى المولد والدار، أحد العلماء الجامعين بين النحو والفقه على مذهب أحمد بن حنبل.

ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ببغداد، وقرأ بالروايات على أبى الحسن البطائحى ولازم الفراء وكان ثقة صدوقًا، ودينًا متواضعًا وروى عن مشايخ زمانه وكان جماعة لفنون العلم والمصنفات.

من كتبه: التبيان فى شرح الديوان، أى ديوان المتنبى، وشرح الإيضاح، وشرح اللمع، وإعراب شعر الحماسة، وإعراب الحديث.

والكتاب الذى بين أيدينا، وهو: التبيان فى إعراب القرآن، قد كانت له طبعات سابقة مستقلة، أو على هوامش كتب أخرى ولكن لم تحقق واحدة منها.

ويظل القرآن قبلة المؤمنين ومحفوظًا فى صدورهم، وإمامهم لذا أقبل عليه المسلمون يدرسونه، منهم من يفسره ومنهم من يبحث جانبا منه كإعرابه، أو تفسير مشكله، أو تكرار آياته، أو ناسخه ومنسوخه، أو استخلاص أحكامه، أو قراءاته، أو إعجازه، أو نحوه، أو أشباهه؛ مما ساعد على نهضة صناعة الكتاب الإسلامى.

وهكذا اهتم العلماء بالقرآن الكريم فى كل قرن، وقديما قالوا: الإعراب فرع

المعنى، وقد نشأ الفن الإعرابى مع النحو، واستعان به المفسرون فى توضيح الآيات فى كتبهم المفسرة ثم أخذ يستقل شيئًا فشيئًا، حتى صار غرضًا مستقلاً.

ومن العلماء من اقتصر على مشكله، ومنهم من عرض لإعراب غريبه كابن الأنبارى فى: البيان فى إعراب غريب القرآن، ومنهم من أعربه كله كالعكبرى.

وقد سبق العكبرى: قطرب أبو على محمد بن المستنير، ثم أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى، وأبو العباس محمد يزيد المبرد، وأبو العباس يحيى - ثعلب، وأبو جعفر النحاس، وابن خالويه، وأبو الحسن الحوفى وغيرهم.

أما الكتاب الذى بين أيدينا فهو خير هذه الكتب. لقد أراد مؤلفه أن يكون مرجعًا لهذا الفن الإعرابى فى القرآن الكريم فجعله شاملاً أعرب فيه آيات القرآن الكريم كلها، وكان من ميزات هذا الكتاب، أنه أعرب جميع آيات القرآن الكريم، ففيه يذكر آيات السورة على ترتيبها فى المصحف، ثم يبدأ فى إعرابها آية آية، بترتيبها القرآنى لا يترك منها إلا النادر القليل مما سبق له إعراب مثله.

أنه أورد أهم وجوه القراءات وبين وجه إعرابها، فكان بذلك مرجعًا فى القراءات أيضًا.

أنه لم يشغله البحث فى الإعراب، والقراءات عن المعنى، فهو يذكر معنى الآية والكلمة والجملة فى معظم الأحيان، ويبين وجوه المعانى فى القراءات التى ترد فى الآية.

إنه يستشهد بالشعر العربى ليؤيد رأيه ويطمئن قارئه.

ويذكر القواعد النحوية العامة التى يعتمد عليها فى الإعراب ويؤيد رأيه بآراء من سبقه من النحويين.

كما يذكر أئمة النحو والتفسير الذين ينقل عنهم شأن العلماء الذين يذكرون مراجعهم التى كانت لهم نبراسًا ومنارًا.

ويعرض لمسائل مهمة تفيد الباحث، مثل: الحروف التى افتتحت بها بعض السور، وأصل «مهما».

وهكذا نرى أن الكتاب كتاب إعراب، ونحو، وقراءات، وتفسير.

لقد طبع هذا الكتاب طبعة باسم (إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه القراءات وإعراب القرآن)، ولا يرى المحقق وجهًا لهذه التسمية وهو ما أوافقه عليه، ولم يذكر مرجع هذه النسخة من قبل.

أما اسمه في المخطوطات فهو في نسختين فيها: التبيان في إعراب القرآن، وفي نسخة: إعراب القرآن ومعرب القراءات، وقد ذكر الزركلي في الأعلام، الاسمين معًا:

التبيان في إعراب القرآن، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن.

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب:

«الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه، ووفقنا على الجليل من حكمه وأحكامه وآدابه، وألهمنا تدبر معانيه، ووجوه إعرابه، وعرفنا تفنن أساليبه، من حقيقه ومجازه، وإيجازه وإسهامه، أحمده على الاعتصام بأمتن أسبابه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، شهادة مؤمن بيوم حسابه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبرز في لسنه وفصل خطابه، ناظم حبل الحق بعد انقضابه، وجامع شمس الدين بعد انشعابه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، ما استطار برق في أرجاء سحابه، واضطرب بحر بآذيه (موجه) وعبابه.

أما بعد: فإن أولى ما عنى باغي العلم بمراعاته، وأحق ما صرف العناية إلى معاناته ما كان من العلوم أصلاً لغيره منها، وحاكمًا عليها ولها فيما ينشأ من الاختلاف عنها، وذلك هو القرآن المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو المعجز الباقي على الأبد، والمودع أسرار المعاني التي لا تنفد، وحبل الله المتين، وحجته على الخلق أجمعين.

فأول مبدوء به من ذلك تلقف ألفاظه عن حفاظه، ثم تلقي معانيه ممن يعانيه، وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه، ويتوصل به إلى تبين أغراضه ومغزاه،

معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه، والنظر فى وجوه القراءات المنقولة عن الأئمة الأثبات.

والكتب المؤلفة فى هذا العلم كثيرة جدًا، مختلفة، ترتيبًا وحدًا، فمنها المختصر حجمًا وعلمًا، ومنها المطول بكثرة إعراب الظواهر، وخلط الإعراب بالمعانى، وقلما تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم، فلما وجدتها على ما وصفت، أحببت أن أملى كتابًا يصغر حجمه، ويكبر علمه، اقتصر فيه على ذكر الإعراب ووجوه القراءات، فأتيت به على ذلك، والله أسأل أن يوفقنى فيه لإصابة الصواب، وحسن القصد به بمنّه وكرمه» ا. هـ.

وبعد المقدمة يمضى مع الاستعاذة والبسملة فيعربهما، ثم يمضى مع آيات القرآن الكريم على نحو يحيط بآراء الكوفيين والبصريين، وعلى شكل يوضح المعنى ويشرحه مما يفيد قارئ القرآن ودارسه على حد سواء، إذ يقوم الإعراب بإضاءة معانى الآية الكريمة، وتقريبها للأفهام، وجعلها فى متناول إدراك القارئ والراغب فى تفسير القرآن الكريم.

٨ ـ أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى المولود سنة ثمان وستين وأربعمائة، والمتوفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، تحقيق على محمد البجاوى:

يعرض المؤلف فى هذا الكتاب لآيات الأحكام مرتبة حسب مجيئها فى سور القرآن الكريم، وهو يعقب على كل آية، بما يستخلص منها من أحكام، رابطًا آيات القرآن الكريم بعضها ببعض، ويورد الأحاديث المؤيدة للأحكام، ويوثقها أو يجرح المحدثين بها.

والمؤلف هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربى المعافرى الإشبيلى المالكى، وكنيته أبو بكر.

أما أبوه فهو أبو محمد من فقهاء أشبيلية ورؤسائها، وقد عاد إلى الأندلس وهو يحمل علمًا كثيرًا لم يأت أحد بمثله ممن كانت لهم رحلة إلى المشرق، وكان متبحرًا

فى العلم متنوع المعارف، قوى الذهن، يجمع إلى ذلك العلم والأدب والكرم، وقد جلس للوعظ والتفسير، ورُحل إليه للسماع من علمه الغزير.

ألف كتبًا عديدة على رأسها هذا الكتاب ومنها: كتاب المسالك فى شرح موطأ مالك، والقبس على موطأ مالك وغيرها من الكتب التى بلغت خمسة عشر كتابًا تتنوع وتتشعب.

وقد استُقضى ببلده فكان قاضيًا صارمًا شديدًا، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم، يدرسه لطلابه، وقد كان أديبًا شاعرًا، سليم المنطق حسبما ظهر فى جلساته ومناظراته وتآليفه.

أما الكتاب الذى بين أيدينا، وهو كتاب أحكام القرآن، فهو من خير كتبه، وهو يحرص فيه - كما قدمنا - على إيراد آيات الأحكام مرتبة فى كل سورة، ثم يشرحها، ويستخرج ما فيها من أحكام، وهو يعتمد على اللغة وعلى الحديث، وعلى ما كان من أفعال النبى - ﷺ - وصحابته - ﷺ - ، ويوازن بين المذاهب ويؤيد رأيه بالحجة الدامغة، والمنطق القوى، وقد رجع إليه العلماء، واستندوا إلى آرائه، بل إن القرطبى ينقل فقرات منه، ويحتج بآرائه، ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتاب (الجامع لأحكام القرآن) من هذا الاستشهاد، بل إنه يحاكيه فى أن يذكر الآية ويقول: فيها مسألة أو مسألتان أو أكثر.

ونقف الآن أمام تناوله للبسملة فى مطلع كتابه، يقول بعد ذكر الآية الأولى من الفاتحة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فيها مسألتان:

المسألة الأولى: قوله تعالى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اتفق الناس على أنها آية من كتاب الله تعالى من سورة النمل، واختلفوا فى كونها فى أول كل سورة، فقال مالك وأبو حنيفة: ليست فى أوائل السور بآية، وإنما هى استفتاح ليعلم بها مبتدؤها.

وقال الشافعى: هى آية فى أول الفاتحة، قولاً واحدًا، وهل تكون آية فى أول كل سورة؟ اختلف قوله فى ذلك؛ فأما القدر الذى يتعلق بالخلاف من قسم التوحيد والنظر فى القرآن وطريق إثباته قرآنا، ووجه اختلاف المسلمين فى هذه الآية منه -

فقد استوفيناه فى كتب الأصول، وأشرنا إلى بيانه فى مسائل الخلاف، ووددنا أن الشافعى لم يتكلم فى هذه المسألة، فكل مسألة له فيها إشكال عظيم، ونرجو أن الناظر فى كلامنا فيها سيمحى عن قلبه ما عسى أن يكون قد سدل من إشكال به.

وفائدة الخلاف فى ذلك الذى يتعلق بالأحكام أن قراءة الفاتحة شرط فى صحة الصلاة عندنا وعند الشافعى، خلافًا لأبى حنيفة حيث يقول: إنها مستحبة، فتدخل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فى الوجوب عمَّن يراه، أو فى الاستحباب، (كذلك). ويكفيك أنها ليست بقرآن للاختلاف فيها، والقرآن لا يختلف فيه، فإن إنكار القرآن كفر.

فإن قيل: ولو لم تكن قرآنا لكان مدخلها فى القرآن كافراً.

قلنا: الاختلاف فيها يمنع من أن تكون آية، ويمنع من تكفير من يعدها من القرآن؛ فإن قيل: فهل تجب قراءتها فى الصلاة؟ قلنا: لا تجب، فإن أنس بن مالك - رضى الله عنه - روى أنه صلى خلف رسول الله - ﷺ - وأبى بكر وعمر، فلم يكن أحد منهم يقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؛ ونحوه عن عبد الله بن مغفل.

فإن قيل: الصحيح من حديث أنس؛ فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين.

وقد قال الشافعى: معناه أنهم كانوا لا يقرءون شيئًا قبل الفاتحة.

قلنا: وهذا يكون تأويلاً لا يليق بالشافعى لعظيم فقهه، وأنس وابن مغفل؛ إنما قالا هذا ردًا على من يرى قراءة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

فإن قيل: فقد روى جماعة قراءتها، وقد تولى الدارقطنى جميع ذلك فى جزء صححه.

قلنا: لسنا ننكر الرواية، لكن مذهبنا يترجح بأن أحاديثنا وإن كانت أقل فإنها أصح وبوجه عظيم وهو المعقول فى مسائل كثيرة من الشريعة، وذلك أن مسجد رسول الله - ﷺ - بالمدينة انقضت عليه العصور، ومرت عليه الأزمنة من لدن زمان رسول الله - ﷺ - إلى زمان مالك، ولم يقرأ أحد قط فيه

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، اتباعًا للسنة؛ بيد أن أصحابنا استحبوا قراءتها فى النفل، وعليه تحمل الآثار الواردة فى قراءتها.

المسألة الثانية: ثبت عن النبى - ﷺ - أنه قال: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، فنصفها لى، ونصفها لعبدى، ولعبدى ما سأل: يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله تعالى: حمدنى عبدى. يقول العبد: الرحمن الرحيم. يقول الله تعالى: أثنى على عبدى، يقول العبد: مالك يوم الدين. يقول الله تعالى: مجدنى عبدى. يقول العبد: إياك نعبد وإياك نستعين. يقول الله تعالى: فهذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل. يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. يقول الله تعالى: فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل». فقد تولى سبحانه قسمة القرآن بينه وبين العبد بهذه الصفة، فلا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب.

وهذا دليل قوى، مع أنه ثبت فى الصحيح عن النبى - ﷺ - أنه قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فهى خداج.

وهكذا يبدو منهج المؤلف فى كتابه، حيث يعرض القضية من أطراف وجوهها عرضًا أمينًا دقيقًا، حتى ليحيط بالقضية إحاطة شاملة دون نقصان، وهو فى سبيل ذلك يعرض آراء الفقهاء رأيًا رأيًا حتى يستكمل الحديث عن المسألة كاملا.

ومنهجه هذا قد أثر فى كثيرين من بعده منهم القرطبى كما قدمنا حيث يذكر المسائل فى الآية، ويذكر آراء العلماء فيها كما نرى فى تفسيره الشهير.

٩ ـ معانى القرآن للأخفش: دراسة وتحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد. هو سعيد بن مسعدة البلخى المجاشعى.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الأولى فى دراسة القرآن الكريم، فهو ومجاز القرآن لأبى عبيدة، ومعانى القرآن للفراء من كتب المعانى التى أثرت المكتبة العربية.

ألف الأخفش كتابه هذا بعد اتصاله بالكسائى ببغداد، وقد ثارت تساؤلات فى عصر هذا الكتاب عن التشابه بينه وبين كتاب أبى عبيدة، يقول أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى : «كان الأخفش قد أخذ كتاب أبى عبيدة فى القرآن فأسقط منه شيئًا وزاد شيئًا وأبدل منه شيئًا».

قال أبو حاتم : «فقلت له : أى شىء هذا الذى تصنع؟ مَن أعرف بالغريب؟ أنت أو أبو عبيدة؟ فقال : أبو عبيدة. قلت : هذا الذى تصنع ليس بشىء. قال : الكتاب لمن أصلحه وليس لمن أفسده، قال أبو حاتم فلم يلتفت إلى كتابه وصار مطروحًا».

وقد ألف الأخفش مجموعة من الكتب على رأسها هذا الكتاب الذى بين أيدينا (تفسير معانى القرآن)، كما ألف إلى جانبه ثمانية عشر كتابًا فى النحو، والاشتقاق والعروض والقوافى، ومعانى الشعر، والأصوات وغيرها.

ومع مضمون الكتاب نمضى فنرى تناوله للأصوات اللغوية على عدد الآيات فى القرآن الكريم فيصف مخارجها ويبين مواضع وبيان صفاتها تقاربًا وتباعدًا وجهرًا وهمسًا وإطباقًا وانفتاحًا، والأصوات المتناولة.

وهو أحيانًا يصف مخارج الأصوات ويعين مواضعها فى الجهاز الصوتى كقوله : «التاء تدغم أحيانًا فى الدال لأن مخرجها قريب من مخرجها فلما أدغمت فيها حولت فجعلت دالاً مثلها، فأدغمت التاء فى الدال لأن التاء قريبة المخرج من الدال، فمخرج الدال بطرف اللسان وأطراف الثنيتين، ومخرج التاء بطرف اللسان وأصول الثنيتين فكل ما قرب مخرجه فافعل به هذا».

وفى معرض آخر يقول : «وقال تعالى : ﴿هل ثوب﴾ وإن شئت أدغمت وإن شئت لم تدغم، لأن اللام مخرجها بطرف اللسان قريب من أصول الثنايا، والثاء بطرف اللسان وأطراف الثنايا، إلا أن اللام بالشق الأيمن أدخل فى الفم، وهى قريبة المخرج منها، وبذلك قيل ﴿بل تؤثرون﴾ فأدغمت اللام فى التاء لأن مخرج التاء والثاء قريب من مخرج اللام».

وهو فى بعض الأحيان يصف مخارج الأصوات ويطلق على الأصوات صفات لها من مجهور ومهموس.

وقد أفاد من لغات العرب ومما يحدث فى الأصوات من تأثير وتأثر، إذ يمثل كلام العرب أساسًا مهمًا من أسس الكتاب، لأنه الكلام الذى يقاس به غيره وتعتمد عليه فى معرفة القصيد والبحور فيما نحا نحوه واتخذ سمته، ولأن القرآن الكريم من كلام العرب فالإحاطة بجوانبه لا تتم إلا بالإحاطة بكلام العرب وتبين خصائصه ومناهجه.

وكان من عادة العرب أن يرحلوا للبادية لمشافهة الأعرب الفصحاء، وهذا ما نراه فى كتب الفقه وفى جمهور النحويين واللغويين، ومن هنا كانت أهمية السماع عن العرب، وهذا هو ما التزم به الأخفش؛ إذ يلجأ للاستشهاد بكلام العرب سماعًا عنهم مثل قوله: «قد سمعت من العرب من ينشد هذا البيت بغير لام:

فيبك على المنجاب أضياف قفرة   سروا وأسارى لم تفك قيودها

يريد فليبك بحذف اللام.

وقوله: «وسمعت العرب تقول: «أرسل إبله أبابيل» يريدون جماعات فلم يتكلم له بواحدة».

ومثل قوله عن الآية الكريمة ﴿أساطير الأولين﴾:

فبعضهم يزعم أن واحده «أسطورة»، وبعضهم إسطارة، ولا أراه إلا من الجمع الذى ليس له واحد نحو: عبابيد، ومذاكير، وأبابيل، وقال بعضهم: واحد الأبابيل إبيّل وقال بعضه: إبّول مثل عجّول.

وحين يذكر ما سمعه مباشرة يذكر ما يفيد ذلك، أو يذكر إذا كان غير مباشر كسماعه عن يونس بن حبيب فى قوله: وزعم يونس أنه سمع أعرابيًا فصيحًا يقول كذا.

وهكذا يسجل لنا الأخفش كثيراً من لغات العرب فى وجوه القراءات ويشير إلى مصدر اللغة. مثل: لغة أسد، ولغة بكر بن وائل، ولغة تميم، ولغة بنى الحارث بن كعب، ولغة بنى العنبر، ولغة قيس، ولغة أهل اليمن.

وقد أفاده اطلاعه على لغات العرب فى مجالات متعددة من البحث القرآنى فى

المذكر والمؤنث، والفعل المجرد والمزيد، وفى الهمزة وأحكامها وفى فوائد صرفية أخرى، وفى النحو والإعراب.

وهو ينظر إلى هذه اللغات فى مستويات مختلفة، منها ما يصفه بالجودة، أو بالكثرة، أو بأنها أوضح الوجهين، أو يذكر منها ما يحسن، أو لا يشتهر، أو لا يكثر ولا يكاد يعرف، أو ما هو شاذ، أو قليل، أو الوجهين معًا، ومنها ما ينعت بالقلة والرداءة والإنكار، أو القبح والإنكار، أو الرداءة وحدها.

ويكثر عنده الشاهد الشعرى، وإن لم يذكر اسم الشاعر فى كثير من الأحيان.

وواضح أن الأخفش كان يرتجل الكتاب تأليفًا، أو يؤلفه ارتجالاً حين كان يمليه، وقد لاحظ محقق الكتاب الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد ذلك فى مواضع مختلفة من تكرار، أو اضطراب، أو اقتضاب فى الكتاب.

وقد تجلى علم الأخفش بالقراءات فيما أورده فى كتابه هذا، لذا فقد جعل للقراءات ركنًا مهمًا فى كتابه، ومن القراءات ما رواه ولم يروه غيره، بما يعنى تفرده بالإشارة إلى القراءة وحده، كما أنه يلتزم ضوابط القراءات ويقيس ذلك بكتاب المصحف، أو لغات العرب أو أساليب كلام العرب.

كما أنه كان يختار من القراءات التى يعرضها، ويعلل لاختياره فى كثير من الحالات.

وأن الكتاب حافل بذكر الشخصيات والجماعات العلمية كأبى زيد الأنصارى، وأبى عبد الله، وأبى عبيدة معمر بن المثنى، والحسن البصرى.

وقد أثر الكتاب فى كثير من الكتب التى جاءت بعده، حيث نقلوا عنه أو رجعوا إليه فى مجال الدراسة القرآنية، وبذلك تتجلى قيمته العلمية فى مجال الدراسات اللغوية والتفسيرية والبلاغية.

١٠ ـ البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧، والحلبى ١٩٧٢.

هو من علماء القرن الثامن الهجرى (ت ٧٩٤هـ)، نبغ فى الاجتهاد، والفقه،

والحديث، وأصول الدين، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة بالقاهرة، وتفقه بمذهب الشافعى، وحفظ كتاب المنهاج فى الفروع للنووى وصار يعرف بالمنهاجى نسبة إلى هذا الكتاب.

ثم قصد إلى حلب حيث أخذ عنه الأذرعى الفقه والأصول، ثم إلى دمشق حيث تلقى عن الحافظ ابن الكثير، ثم عاد إلى القاهرة جامعًا العلم والمعرفة، تأهبًا للفتيا والتدريس، والتصنيف، ولهذا بلغت مؤلفاته عددًا كبيرًا فى وقت قصير، ومن بين هذه المؤلفات كتابه الذى بين أيدينا (البرهان فى علوم القرآن) جامعًا فيه آراء العلماء المحققين حول القرآن الكريم، صنفه فى سبعة وأربعين نوعًا، يدور كل نوع منها حول موضوع خاص من علوم القرآن ومباحثه، وكل موضوع منها يستحق أن يكون مبحثًا مستقلاً بذاته. وقد توفى سنة ٧٩٤هـ بمصر.

وهو فى منهجه حريص على أن يؤرخ لكل موضوع، ويحقق الكتب التى ألفت فيه، ويشير إلى العلماء الذين تدارسوه فأسبغ الفصول، وجمع أشتات المسائل، وضم أقوال المفسرين والمحدثين إلى مباحث الفقهاء والأصوليين إلى قضايا المتكلمين وأصحاب الجدل إلى مسائل العربية وآراء أرباب الفصاحة والبيان.

ولم يكن هذا الكتاب معروفًا لدى الباحثين ولا دارسى العلم، فيما عدا القليل منهم، حتى جاء جلال الدين السيوطى ووضع كتابه (الإتقان فى علوم القرآن)، فأشار فى مقدمة كتابه هذا إلى ذلك الكتاب القيم للزركشى، ومنهجه، وجعله مصدراً من مصادره التى اعتمد عليها، ورجع إليه فى كثير من قضاياه رجوعًا مقتضبًا مختصراً.

ويقول فى مقدمته بعد الحمد والثناء على الله سبحانه ورسوله - ﷺ -:

«أما بعد فإن أولى ما أعملت فيه القرائح، وعلقت به الأنظار اللوامح الفحص عن أسرار التنزيل، والكشف عن حقائق التأويل، الذى تقوم به المعالم، وتثبت الدعائم، فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور».

ثم يقول عن كتابه :

هذا، وكـم فيه من مزايـا وفى زوايـاه مـن خبايـا
ويُطمع الحبـر فى التقاضى فيكشـف الخبـر عن قضايا

كما يصفه بأنه :

أندى على الأكباد من قطر الندى وألذ فى الأجفان من سنة الكرى

ثم يمضى فى بيان الغرض من كتابه ، والهدف من تأليفه ، ويبين منهجه :

«ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر ، ومعانيه لا تستقصى وجبت العناية بالقدر الممكن ، ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فاستخرت الله تعالى ، ولله الحمد ، فى وضع كتاب فى ذلك جامع لما تكلم الناس فى فنونه ، وخاضوا فى نكته وعيونه ، وضمنته من المعانى الأنيقة ، والحكم الرشيقة ، ما يهز القلوب طربا ، ويبهر العقول عجبًا ، ليكون مفتاحًا لأبوابه ، وعنوانًا على كتابه ، معينًا للمفسر على حقائقه ، ومطلعًا على بعض أسراره ووقائعه ، والله المخلص المعين ، وعليه أتوكل ، وبه أستعين ، وسميته : (البرهان فى علوم القرآن) وهذه فهرست أنواعه .

الأولى : معرفة سبب النزول .

والثانى : معرفة المناسبات بين الآيات .

والثالث : معرفة الفواصل .

والرابع : معرفة الوجوه والنظائر .

والخامس : علم المتشابه .

والسادس : علم المبهمات .

والسابع : فى أسرار الفواتح .

والثامن : فى خواتم السور .

والتاسع : فى معرفة المكى والمدنى .

والعاشر : معرفة أول مانزل .

والحادى عشر : معرفة عن كم لغة أنزل .

والثانى عشر : فى كيفية إنزاله .

والثالث عشر : فى بيان من حفظه من الصحابة .

والرابع عشر : معرفة تقسيمه .

والخامس عشر : معرفة أسمائه .

والسادس عشر : معرفة ما وقع فيه من غير لغة الصحابة .

والسابع عشر : معرفة ما فيه من لغة العرب .

والثامن عشر : معرفة غريبه .

والتاسع عشر : معرفة التصريف .

والعشرون : معرفة الأحكام .

والحادى والعشرون : معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح .

والثانى والعشرون : معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص .

والثالث والعشرون : معرفة توجيه القراءات .

والرابع والعشرون : معرفة الوقف والابتداء .

والخامس والعشرون : علم رسوم الخط .

والسادس والعشرون : معرفة فضائله .

والسابع والعشرون : معرفة خواصه .

والثامن والعشرون : هل فى القرآن شىء أفضل من شىء؟ .

والتاسع والعشرون : فى آداب تلاوته .

ثم تتوالى الفصول كما يلى :

٣٠ ـ فى آية هل يجوز فى التأليف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن الكريم؟ .

٣١ ـ معرفة الأمثال الكائنة فيه .

٣٢ ـ معرفة أحكامه .

٣٣ ـ فى معرفة جدله .

٣٤ ـ معرفة ناسخه ومنسوخه .

٣٥ ـ معرفة توهم المختلف .

٣٦ ـ معرفة المحكم والمتشابه .

٣٧ ـ فى حكم الآيات المتشابهات الواردة فى الصفات .

٣٨ ـ معرفة إعجازه .

٣٩ ـ معرفة وجوب تواتره .

٤٠ ـ فى بيان معاضدة السنة للكتاب .

٤١ ـ معرفة تفسيره .

٤٢ ـ معرفة وجوب المخاطبات .

٤٣ ـ بيان حقيقته ومجازه .

٤٤ ـ فى الكناية والتصريف .

٤٥ ـ فى أقسام معنى الكلام .

٤٦ ـ فى ذكر ما يتيسر من أساليب الكلام .

٤٧ ـ فى معرفة الأدوات .

وقد أنهى مقدمته بقوله : «واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد

الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره، ثم لم يحكم أمره، ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله، والرمز إلى بعض فصوله، فإن الصناعة طويلة والعمر قصير وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير؟.

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم في العين فضل ولكن ناظر العين»

وهكذا يمضى الكتاب محيطًا شاملاً لعلوم القرآن الكريم مع وضوح حرص المؤلف على الشعر والاستشهاد به.

١١ ـ التبيان فى أقسام القرآن للعلامة ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ:

يدور هذا الكتاب حول قضايا مهمة مما يتصل بالقرآن الكريم، ونستعرض، فى البداية، أهم فصول هذا الكتاب، وهى: ما يقسم الله به، وما يقسم عليه، وإقسامه تعالى على صفة الإنسان وعلى الجزاء، من ذلك قوله تعالى: ﴿**لا أقسم بيوم القيامة**﴾ ﴿**والشمس وضحاها**﴾ وغيرهما.

ثم ينتقل المؤلف إلى سرِّ ذكره تعالى قصة ثمود، ثم يعرض لتفسير بعض الآيات الكريمة مما ورد القسم فيها فى القرآن الكريم، مع بيان المقسم عليه فى كل، وهكذا يفْرد المؤلف لموضوع القسم فى القرآن الكريم فصولاً متتابعة، يسهب فيها القول ويفصل.

وهو ينتهز فرصة إيراد المقسوم به، ثم يفصل القول عنه مثل: الضحى، والليل، والعاديات، والعصر، والسماء ذات البروج، والسماء والطارق، والشفق، والليل وما وسق، والخنس، والنازعات، ويوم القيامة، والقمر، والليل، وما تبصرون، وتنزيل العزيز العليم، ورب المشارق، والقلم وما يسطرون، ومواقع النجوم، والمقسم عليه وهو القرآن الكريم ووصفه وصفة الكتاب المكنون، واللوح المحفوظ، وأنه لا يدرك القرآن إلا القلوب الطاهرة، ثم يستمر مع سائر ألوان القسم فى القرآن الكريم مثل: النجم إذا هوى، والطور وكتاب مسطور، والذاريات ذرواً إلى: فالمقسمات أمرا، والقرآن المجيد، والصافات صفا.

وهو يتخذ من مدخل الحديث عن الآية وما فيها من قسم طريقا إلى مناقشة القضايا المتصلة بالقسم والمقسم به، من ذلك عقده الفصول الشيقة حول موضوعات تتصل بما تقدم مثل:

صفات القرآن وأنه ذكر عام وخاص، وجمع الله لأوليائه بين جمال الظاهر والباطن، وتضمن سورة القيامة إثبات قدرته تعالى على ما لا يفعله وتضمينها التأني والتثبت فى طلب العلم وإثبات النبوة والمعاد بالعقل، وقدرته تعالى على تبديل الخلق بخير منهم وتبديل أمثالهم واستبداله قوما غيرهم ووجه الجمع بين هذه الأنواع. وتهديده، سبحانه، المشركين بعد إقامة الحجة عليهم بقوله: ﴿**فذرهم يخوضوا ويلعبوا**﴾.

ثم يمضى مع بيان السر فى الإقسام بالقلم ومراتب الأقلام، وقلم القدر وقلم الوحى، وقلم التوقيع عن الله عز وجل، وقلم طب الأبدان، وقلم التوقيع عن الملوك ونوّابهم، وقلم الحساب، وقلم الحكم الذي تثبت به الحقوق، وقلم الشهادة، وقلم التعبير، وقلم تواريخ العالم، وقلم اللغة، وقلم الرد على المبطلين، وهو القلم الجامع، وهو يعقد فصولاً عمّا لا يدرك من القرآن إلا بالقلوب الطاهرة، وتوبيخه تعالى المشركين لوضعهم الأذهان، فى غير موضعها، وأحوال القيامة الصغرى، وطبقات الناس عند الحشر، وصفات معلم الوحى، ورؤية الرسول - ﷺ - جبريل (عليه السلام) ورؤيته مرة ثانية عند سدرة المنتهى، وأنواع الاستطراد وأمثلته من الكتاب العزيز، ونعيم أرباب العلوم النافعة، ومن كمال نعيمهم إلحاق ذرياتهم بهم، والكلام على السحاب وجهة دلالته على قدرة الله، وجزاء من خلص من الفتنة بالتقوى، وأحب القيام إلى الله، وآياته تعالى فى الآفاق وفى الأنفس، واختلاف الآيات فى أجناسها وصفاتها ومنافعها، والسر فى تبصير الله تعالى العباد بأنفسهم، والعينين ووظيفتهما، والأذنين وسر شقهما فى جانب الوجه، والأنف وسر نصبه فى وسط الوجه قائمًا ومعتدلا، والفم وأنه من العجائب واللسان والصلة بينه وبين القلب، وسر خلقه تعالى اللسان عضواً لا عصب فيه ولا عظم، والأسنان والشفتين ووظيفتهما، وسر جعل الفم أكثر الأعضاء رطوبة وفائدة اللعاب، والعبرة من حال الشعر ومنابته، والحاجبين وأنهما وقاية العين مع الحسن والزينة، وشعر اللحية وأنه زينة ووقار، وشعر الأنف والإبط

ومنافعه، وحكمة الرب تعالى فى إخلاء الكفين والجبهة من الشعر، وحال الإنسان من مبدئه إلى نهايته، ثم يعقد فصولا تتصل بتكوين الجنين فى بطن أمه منذ أولى مراحل إرادة الله سبحانه وتعالى، وأطوار ذلك النمو، ثم يعرض لبعض وظائف أعضاء الجسم كالمرارة والطحال والكبد، والقلب والعروق.

ثم ينظر للأعضاء على أنها أعضاء رئيسة والسر فى استحقاقها الرئاسة، وأعضاء مرءوسة، وأعضاء ليست برئيسة ولا مرءوسة، ثم يتحدث عن العظام، والرأس والعين، والأذنين، والأنف، ثم يبين أن القلب ملك البدن ومعدن الحرارة الغريزية، وأن الصدر معدن العلم والحلم ثم يبين جنود القلب وأبوابه وطرقه، وإلمام الشيطان بالقلب وكيف تدفعه.

ونقف مع نص من نصوص الكتاب يقول:

«وذكر فى هذه السورة ثمود، دون غيرهم من الأمم المكذبة فقال شيخنا: هذا - والله أعلم - من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإنه لم يكن فى الأمم المكذبة أخف ذنبا وعذابا منهم، إذ لم يذكر عنهم من الذنوب ما ذكر عن عاد، ومدين، وقوم لوط، وغيرهم. ولهذا لما ذكرهم وعادا قال ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت ١٥، ١٦) وكذلك إذا ذكرهم مع الأمم المكذبة لم يذكر عنهم ما ذكر عن أولئك من التجبر والتكبر، والأعمال السيئة، كاللواط، وبخس المكيال والميزان، والفساد فى الأرض، كما فى سورة هود والشعراء وغيرهما، فكان فى قوم لوط - مع الشرك - إتيان الفاحشة التى لم يسبقوا إليها. وفى قوم عاد - مع الشرك - التجبر والتكبر والتوسع فى الدنيا، وشدة البطش، وقولهم ﴿من أشد منا قوة؟﴾ وفى أصحاب مدين - مع الشرك - الظلم فى الأموال وفي قوم فرعون - مع الشرك - الفساد فى الأرض والعلو. وكان عذاب كل أمة بحسب ذنوبهم وجرائمهم. فعذب قوم عاد بالريح الشديدة العاتية، التى لا يقوم لها شىء. وعذب قوم لوط بأنواع من العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم. فجمع لهم بين الهلاك والرجم بالحجارة من السماء، وطمس الأبصار،

وقلب ديارهم عليهم. بأن جعل عاليها سافلها، والخسف بهم إلى أسفل سافلين. وعذب قوم شعيب بالنار التى أحرقتهم وأحرقت تلك الأموال التى اكتسبوها بالظلم والعدوان. وأما ثمود فأهلكوا بالصيحة فماتوا فى الحال. فإذا كان عذاب هؤلاء - وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التى جعلها الله آية لهم - فمن انتهك محارم الله واستخف بأوامره ونواهيه، وعقر عباده، وسفك دماءهم، كان أشد عذابا. ومن اعتبر أحوال العالم قديما وحديثا، وما يعاقب به من سعى فى الأرض بالفساد، وسفك الدماء بغير حق، وأقام الفتن واستهان بحرمات الله، علم أن النجاة فى الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون.

(قلت) وقد يظهر فى تخصيص ثمود هاهنا بالذكر، دون غيرهم، معنى آخر، وهو أنهم ردوا الهدى بعد ما تيقنوه وكانوا مستبصرين به، قد ثلجت له صدورهم، واستيقظت له أنفسهم، فاختاروا عليه العمي والضلالة، كما قال تعالى فى وصفهم ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ (فصلت: ١٧) وقال ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أى موجبة لهم التبصرة واليقين، وإن كان جميع الأمم المهلكة هذا شأنهم. فإن الله لم يهلك أمة إلا بعد قيام الحجة عليها، لكن خصت ثمود من ذلك الهدى والبصيرة بمزيد. ولهذا لما قرنهم بقوم عاد قال ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ ثم قال ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ (فصلت: ١٥، ١٧) ولهذا أمكن عادا المكابرة، وأن يقولوا لنبيهم ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ (هود: ٥٣) ولم يمكن ذلك ثمود، وقد رأوا البينة عيانا، وصارت لهم بمنزلة رؤية الشمس والقمر، فردوا الهدى بعد تيقنه والبصيرة التامة، فكان فى تخصيصهم بالذكر تحذير لكل من عرف الحق ولم يتبعه. وهذا داء أكثر الهالكين، وهو أعم الأدواء وأغلبها على أهل الأرض. والله أعلم».

١٢ ـ ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن:

وهى لكل من: الرماني: وهو أبو الحسن على بن عيسى الذى ولد سنة ٢٩٦هـ بمدينة سامرا ببغداد، وقد كان محبًا للعلم، ولقب بالنحوى المتكلم شيخ العربية ت٣٨٦هـ. والخطابى: وهو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى

البستى ولد سنة ٣١٩هـ، وتوفى ٣٨٨هـ روى عنه الكثيرون، وهو أديب لغوى.
وعبد القاهر الجرجانى: وهو أبو بكر عبد القاهر الجرجانى بن عبد الرحمن الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى وتوفي على الراجح سنة ٤٧١هـ، وهو شيخ البلاغيين. حققها وعلق عليها محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام.

وتأتى أهمية هذه الرسائل فى أنها تنتسب إلى القرآن الكريم، إذ يمثل القرن الرابع الهجرى مرحلة خصبة فى تاريخ الثقافة العربية عامة، والدراسات القرآنية بوجه خاص، حيث نشطت الدراسات فى هذا المجال، ومن ذلك على سبيل المثال: إعجاز القرآن لأبى عبيدة، ومعانى القرآن للفراء، وبيان مشكل القرآن لابن قتيبة وغيرها من الدراسات التى أثرت المكتبة القرآنية.

أما الرسالة الأولى فهى (بيان إعجاز القرآن) للخطابى، وفيها يقرر أن الناس قديما وحديثًا ذهبوا فى الموضوع كل مذهب من القول ولم يصدروا عن رأى. ويناقش فكرة الصّرفة، وفكرة تضمن القرآن للأخبار المستقبلة، ثم ينتقل إلى موضوع البلاغة، ويعيب على القائلين بها اعتمادهم على التقليد وعدم تحقيقهم. وقصور كلامهم عن الإقناع، ويعالج الموضوع على طريقته فيذكر الأقسام الثلاثة للكلام المحمود، ويقرر أن بلاغات القرآن قد أخذت من كل قسم، من هذه حصة، ومن كل نوع شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الخامة والعذوبة، وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين لذلك كان اجتماعهما فى نظم القرآن فضيلةً خص بها يسرها اللطيف الخبير لتكون آية بينة لنبيه، وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله، لأن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة وأوضاعها، ولا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جمع النظوم التى بها ائتلافها وارتباطها بعضها ببعض.

وإنما صار القرآن معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعانى من توحيد وتحليل وتحريم... إلخ.

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق، أمر تعجز عنه قوى البشر.

وعمود البلاغة التى تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التى

تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل، ومن هنا كَلَّ القوم وجبنوا عن معارضة القرآن لما قد كان يئودهم ويتصعدهم منه.

ويفند الخطابي بعض ما أورده المعترضون من شبه ضد أسلوب القرآن.

ومن الطريف، كما يلاحظ محققا الرسالة، ما أورده من تحليل النصوص تحليلاً فنيا، وقد أثبت في رسالته وجها آخر للإعجاز ذهب عنه الناس - كما يقول - وذلك صنيع القرآن بالقلوب، وتأثيره في النفوس، ويلاحظ أن هذه هي الفكرة التي ألهمت البلاغيين بعض بحوثهم.

أما الرسالة الثانية فهي (النكت في إعجاز القرآن) للرّماني، وهي تأخذ شكل جواب عن سؤال وجه للمؤلف عن: (ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج)، وهذا الجواب يتلخص في أن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات هي: ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجز.

ويوجه المؤلف همه من هذه الجهات السبع إلى البلاغة فيذكر أنها على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، وبعد أن يشرح معنى كل واحدة من هذه يحصر البلاغة في عشرة أقسام أو أبواب هي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.

وهو يمضي شارحًا هذه القضايا بابًا بابًا معرفًا الموضوع ومقسمًا إياه مع الاستشهاد بالقرآن الكريم، ويقل استشهاده ببيت من الشعر أو قول مأثور من النثر إلا ما استلزمته الموازنة بين الآية وما في معناها من كلام العرب.

وهو يعرض ذلك بأسلوب موضوعي منطقي، ويغلب عليه الطابع الكلامي في العرض.

أما الرسالة الثالثة فهي (الرسالة الشافية في الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني) وفيها

يتناول فكرة الإعجاز حيث يقرر عجز العرب المعاصرين للرسول ـ ﷺ ـ دون المتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمانه، وعلى هذا الأصل ينتقل عبد القاهر إلى النظر فى دلائل أحوال العرب وأحوالهم حين تلى عليهم القرآن وتحدوا فيه.

أما الأحوال فدلالتها من حيث كان المتعارف من عادات الناس ألا يسلّموا لخصومهم الفضيلة وهم يجدون سبيلاً إلى دفعها، وهو فى سبيل ذلك يستشهد بالشعر المعروف عند العرب.

ويذكر لذلك أقوالاً مأثورة عن العرب منها حديث ابن المغيرة، وحديث عتبة بن ربيعة، وحديث أبى ذر.

وينتهى إلى أن القرآن معجز ناقض للعادة وأنه فى معنى قلب العصا حيةً، وإحياء الموتى فى ظهور الحجة على الخلق كافة.

وهو فى سبيل ذلك يذكر أمثلة أدبية بليغة، وذلك من أجل إثبات حقيقة الإعجاز فى القرآن الكريم، ويذكر ذلك إيجازاً لأنه فصله تفصيلا فى كتابه (دلائل الإعجاز).

ونقف أمام نص من نصوص عبد القاهر فى (الرسالة الشافية فى الإعجاز)، يقول: «ومما يُحيل أن يكون التحدى قد كان إلى ما ذكروه، ومع الشرط الذى توهموه، أن العرب قد كانت تعارض المعارضة ما هى وما شرطها فلو كان النبى ـ ﷺ ـ قد عدل بهم فى تحديه لهم إلى مالا يطالب بمثله، لكان ينبغى أن يقولوا: إنك قد ظلمتنا وشرطت فى معارضة الذى جئت به مالا يشترط، أو ما ليس بواجب أن يشترط وهو أن يكون النظم الذى تعارض به فى أنسب معانى هذا الذى تحديت إلى معارضته، فدع عنا هذا الشرط ثم اطلب فإنا نريك حينئذ مما قاله الأولون، وقلناه وما نقوله فى المستأنف ما يوازى نظم ما جئت به فى الشرف والفضل ويضاهيه، ولا يقصر عنه، وفى هذا كفاية لمن كانت له أذن تعى وقلب يعقل».

وينهى رسالته تلك بقوله:

«قد تم الذى أردته فى جواب سؤالهم، وبان بطلانه، بما لا يبقى معه، إن شاء الله، لناظر، إذا هو نصح نفسه وأذكى حسه، ونظر نظر من يريد الدين،

ويرجو مما عند الله ويريده فيما يقول ويعمل وجهه تقدس اسمه، وإليه تعالى نرغب في أن يجعلنا ممن هذه صفته».

وهكذا نجد في هذه الرسائل الثلاث ما يبين وجوه إعجاز القرآن الكريم ويرد على مزاعم الزاعمين وافتراءاتهم إزاء وجوه التحدى العظيم للقرآن الكريم، وذلك على أيدى ثلاثة من كبار البلاغيين العرب وهم من هم في حقل البلاغة العربية.

١٣ ـ «الإبانة عن أصول الديانة» لإمام المتكلمين أبى الحسن على بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة من الهجرة سنة ٣٢٤هـ.

ولد الإمام أبو موسى الأشعرى سنة ٢٦٠هـ، وقد أخذ الحديث عن جماعة من علماء بغداد، وأخذ علم الكلام عن أبى على الجبائى شيخ المعتزلة، وتبحر في علم الكلام والاعتزال، ثم سأل الله أن يهديه الطريق المستقيم، فترك الاعتزال، فخرج إلى الناس في الجامع بالبصرة فصعد إلى المنبر بعد صلاة الجمعة وقال:

«معاشر الناس إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأنى نظرت فتكافأتْ عندى الأدلة، ولم يترجح عندى حق على باطل ولا باطل على حق فاستهديت الله تبارك وتعالى فهدانى إلى ما أودعته في كتبى هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده، كما انخلعت من ثوبى هذا»، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به، ودفع الكتب إلى الناس، وبذلك استقر أمره ـ بعد أن كان معتزليًا ـ على عقيدة السلف التى جاء بها القرآن الكريم وسنة النبى ـ ﷺ ـ.

وقد تنوعت فصول الكتاب بين العناوين التالية:

باب في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة، باب في إبانة قول أهل الحق والسنة، باب الكلام في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة، باب الأدلة على رؤية الخلق ربهم بالأبصار، باب في الرؤية، باب الكلام في أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق، زعم المعتزلة أن كلام الله مخلوق حل في شجرة ودليل بطلان قولهم، ما يلزم الجهمية من قولهم بأن كلام الله مخلوق، والرد على الجهمية

وإلزامهم، باب ما ذكر عن الرواية فى القرآن، باب الكلام على من وقف فى القرآن وقال لا أقول إنه مخلوق ولا أقول إنه غير مخلوق، باب ذكر الاستواء على العرش، تفسير الاستواء هو مذهب المعتزلة والجهمية والحرورية وسرد الآيات القرآنية الواردة فى ذلك، باب الكلام فى الوجه والعينين والبصر واليدين وإثبات ذلك لله عز وجل من الكتاب والسنة وهو مذهب السلف أهل السنة والجماعة.

باب الرد على الجهمية فى نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته وإيراد الأسئلة والجواب عنها مفصلاً.

باب الكلام فى الإرادة والرد على المعتزلة وإيراد أسئلة والجواب عنها، باب الكلام فى تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجويز. مسألة فى الاستطاعة وإيراد الأسئلة والجواب عنها، مسألة فى التكلف، وإيلام الأطفال، والمعتزلة، والختم، والاستثناء، والآجال، والأرزاق، والهدى، والضلال، وذكر الروايات فى القدر، والكلام فى الشفاعة والخروج من النار، والكلام فى الحوض، وفى عذاب القبر، وفى إمامة أبى بكر الصديق - رضي الله عنه -.

وفى فصل عقده فى هذا الموضوع يبين كيف أثنى الله سبحانه وتعالى على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق القرآن الكريم بمدح المهاجرين والأنصار فى مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان.

وقد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم، ومدحهم على إمامة أبى بكر الصديق - رضي الله عنه -، وسموه خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة فى جميع الخصال التى يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وفقه الرأى وسياسة الأمة وغير ذلك.

ثم يذكر دليلا آخر من القرآن الكريم على إمامة الصديق - رضي الله عنه - وقد دل الله على إمامة أبى بكر فى سورة براءة فقال للقاعدين عن نصرة نبيه - عليه السلام - والمتخلفين عن الخروج معه ما يفيد التأنيب والتقريع والإبعاد، وإعراضهم عن الدعوة،

فمنعهم عن الخروج مع نبيه - عليه السلام - وجعل خروجهم معه تبديلاً لكلامه فوجب بذلك أن الداعى الذى يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه - ﷺ -، وقد قال الناس هم فارس، وقالوا أهل اليمامة، فقد قاتلهم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ودعا إلى قتالهم، وإن كانوا الروم فقد قاتلهم الصديق أيضا، وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا فى أيام أبى بكر وقاتلهم عمر من بعده، وفرغ منهم وإذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبى بكر، كما وجبت إمامة عمر لأنه العاقد له على الإمامة، فقد دل القرآن الكريم على إمامة الصديق والفاروق - رضي الله عنهما -، وإذا وجبت إمامة أبى بكر بعد رسول الله - ﷺ - وجب أنه أفضل المسلمين - رضي الله عنه -.

ودليل آخر هو الإجماع على إمامة أبى بكر الصديق - رضي الله عنه - ومما يدل على إمامة الصديق - رضي الله عنه - أن المسلمين جميعا تابعوه وانقادوا لإمامته وقالوا له يا خليفة رسول الله، ورأينا عليا والعباس - رضي الله عنهما - بايعاه - رضي الله عنه - وأقرا له بالإمامة.

فوجب أن يكون إمامًا بعد النبى - ﷺ - بإجماع المسلمين، ولا يجوز لقائل أن يقول بغير ذلك.

وفى حديثه عن (الوجه والعينين والبصر واليدين)، يذكر قول الله تعالى: ﴿**كل شىء هالك إلا وجهه**﴾، وقوله تعالى: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾، فأخبر أن له وجهًا لا يفنى ولا يلحقه الهلاك وقال عز وجل: ﴿**تجرى بأعيننا**﴾، وقال: ﴿**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**﴾ فأخبر عز وجل أن له وجها وعينا لا يكيّف ولا يُحد، وقال عز وجل: ﴿**فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾، وقال: ﴿**ولتصنع على عينى**﴾، وقال: ﴿**وكان الله سميعا بصيراً**﴾، وقال لموسى وهارون: ﴿**إننى معكما أسمع وأرى**﴾؛ فأخبر عن سمعه وبصره ورؤيته، ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، ووافقوا النصارى لأن النصارى لم تثبت الله سميعًا بصيراً إلا على معنى أنه عالم وكذلك قالت الجهمية، ففى الحقيقة قول الجهمية إنهم قالوا نقول إن الله عالم ولا نقول سميع بصير على غير معنى عالم وكذلك قول النصارى.

وقالت الجهمية إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر، وقد رد عليهم الأشعرى قائلا: ليس يجوز فى لسان العرب ولا فى عادة أهل الخطاب أن يقول

القائل عملت كذا بيدى ويعنى به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجرى مفهوما فى كلامها ومعقولا فى خطابها، وكان لا يجوز فى لسان أهل البيان أن يقول القائل فعلت بيدى ويعنى النعمة بطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدى النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل لى عليه يد بمعنى لى عليه نعمة.

والمتأمل لهذا الكتاب يجد حرص الإمام الأشعرى على تجلية الحقيقة وبيانها، والدفاع عن القرآن الكريم ضد وهم الواهمين، وأباطيل الضالين؛ وبخاصة تلك الفرق التى شاعت وانتشرت فى عصره، وقد فنّد آراءهم وحججهم ودفعها، ورد عليها بمنطق مبين، وأدلة واضحة، وحجج دامغة قوية جزاه الله خير الجزاء.

١٤ ـ نُكت الأعراب فى غريب الإعراب فى القرآن الكريم للإمام جار الله أبى القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشرى.

سمى جار الله لأنه جاور فى مكة زمانا، وقد ولد فى «زمخشر» فى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة هجرية، وعاش يثرى المكتبة العربية بوجه عام، والمكتبة القرآنية بوجه خاص حتى توفى سنة خمسمائة وثمانية وثلاثين من الهجرة أى سنة ألف ومائة وأربعة وأربعين ميلادية.

بلغت مصنفاته المطبوعة واحدا وعشرين مصنفًا أبرزها وفى مقدمتها «الكشاف» واسمه كاملا: «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل»، ثم أساس البلاغة، هذا المعجم اللغوى، ومقدمة الأدب، والمفصل وكتب عديدة حتى نصل إلى كتابه الذى بين أيدينا وهو كتاب: نكت الأعراب فى غريب الإعراب، وزاد بعض علماء التراجم وكتب الطبقات: فى القرآن الكريم، وقال بعضهم: فى غريب القرآن.

وكلمة (نكت) من الكلمات التى جرت كثيراً على لسان أبى القاسم الزمخشرى فى بعض مصنفاته، وهى بزنة (فُعَل) بضم ففتح جمع نكتة (فعلة) بضم فسكون، والنكتة كما ورد فى المعاجم فى مادة نكت فى مثل: اللسان، والجمهرة، وأساس البلاغة: «هى كل نقطة من بياض فى سواد، أو سواد فى

بياض» ، قال الزمخشرى فى الأساس : «نقول : هو كالنكتة البيضاء فى الثوب الأسود، ومن المجاز : جاء بنكتة ، وبنكت فى كلامه ، والنكت» ، كما يقول عنها الشريف الجرجانى :

«ونكت الكلام أسراره ولطائفه ، لحصولها بالفكرة التى لا يخلو صاحبها عن نكت فى الأرض بنحو الإصبع ، بل لحصولها بالحالة الفكرية الشبيهة بالنكت» .

يقول الزمخشرى :

«فأمليت عليهم مسألة فى الفواتح ، وطائفة من الكلام فى حقائق سورة البقرة ، وكان كلامًا مبسوطًا كثير السؤال والجواب ، طويل الذيول والأذناب ، وإنما حاولت التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم منارا ينتحونه ومثالاً يحتذونه» .

كما قال قبل ذلك فى مقدمة الكشاف :

«إن طبقات العلماء تتساوى وتتدانى فى متن كل علم ، وعمود كل صناعة ، ولكنهم يتباينون ، ويتفاضلون فى إدراك ما فى العلوم والصناعات من محاسن النكت ، ولطائف المعانى ، وغوامض الأسرار» .

بل إن الكلمة تركت أثرها فيمن تُلمذ على علم الزمخشرى ، وإن لم يدركه فى زمانه ، فها هو ذا العالم الجليل نظام الدين النيسابورى المتوفى سنة (٧٢٥هـ) يرددها كثيراً فى فقار تفسيره الضخم «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» بقوله : والنكتة فيه كذا . .

أما عن أقسام الكتاب فنقول : إن أبا القاسم قد قسم كتابه ، دون ذكر المقدمة التى يبدو أنها سقطت من المخطوطة ، أو ارتحل إلى مكان آخر قبل أن يكتبها ـ أقول : قسمه إلى نكت تحمل عنواناتها أسماء السور . فبدأ بنكت سورة الفاتحة ، ثم نكت سورة البقرة ، ثم نكت سورة آل عمران ، ثم نكت سورة النساء . . وهكذا حتى وصل إلى آخر موضوع عالجه ، وهو نكت سورة الإخلاص .

وإن اعتبرنا نكت كل سورة بمثابة الفصل ، أمكننا أن نقول : إن الكتاب قد وقع فى ثمانية وستين فصلاً .

ومن هذا الإحصاء ندرك أنه ترك ستا وأربعين سورة لم يتعرض لشيء فيها، فأبو القاسم لم يقصد بكتابه هذا تفسيراً حتى يأتي على جميع سور القرآن الكريم المائة والأربع عشرة، بل كان يقصد نكتا معينة في غريب الإعراب الوظيفي مطبقًا ذلك على أغلب سور القرآن الكريم.

وقد سار الزمخشري بانتظام في علاج نكت السور القرآنية ابتداء من سورة الفاتحة ثم استمر حتى نهاية سورة لقمان، أي أنه سار يتتبع السور حتى منتصف الجزء الحادي والعشرين من المصحف الشريف، ثم ترك سورة السجدة، وانتقل إلى الأحزاب، واستمر حتى سورة يس، وتجاوز كلا من: الصافات، وسورة ص، والزمر، وغافر، وفصلت، والشورى، حتى وصل إلى سورة الزخرف فعالج نكتها، ونكت السورة التالية لها حتى سورة الطور، ثم تجاوز سورتي النجم والقمر، وعالج نكت سورتي الرحمن والواقعة، وتجاوز بعد الواقعة السور الآتية: الحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، ثم عرج على نكت سورة (المنافقون)، وترك سورة التغابن، وانتقل إلى سورة الطلاق، واستمر بعدها معالجًا سور: الجن، المزمل، والمدثر. ثم عالج نكت سورتي القيامة والإنسان، وتجاوز سورتي المرسلات والنبأ، ثم عالج النازعات، وتجاوز: عبس والتكوير، ثم عالج الانفطار، وتجاوز المطففين، وعالج الانشقاق، وتجاوز سور البروج والطارق والأعلى، ثم عالج الغاشية، وتجاوز كلا من سورتي الفجر والبلد، متنقلا إلى سور: الشمس، والليل، والضحى، ثم تجاوز سورتي الشرح، والتين وعالج سورة العلق، ثم تجاوز سورتي القدر، والبينة، وانتقل إلى الزلزلة، وتجاوز كلا من: العاديات، والقارعة، والتكاثر، والعصر، والهمزة، والفيل، وقريش، ثم عالج سورة الماعون (أرأيت). وترك كلا من سور: الكوثر، و«الكافرون»، والنصر، والمسد. وعالج أخيراً نكت سورة الإخلاص، وتوقف عندها، فلم يعالج سورتي الفلق، والناس.

منهج الزمخشري في تصنيف نكت الإعراب:

اشتهر الزمخشري باتباع المنهج التعليمي في بعض كتبه باستخدام الحوار التعليمي، بطرح سؤال ثم الإجابة عنه، ونسوق لذلك مثالاً واحدًا لنكتة من بين

(نكت الأعراب) وقد زاد عددها عن خمسمائة نكتة، يقول فى حديثه عن غريب إعراب سورة الرعد فى تعليقه على الآية ٤١ . يقول :

«فإن قلت: ما محل قوله «لا معقب لحكمه»؟ قلت: هو جملة محلها النصب كأنه قيل: والله يحكم نافذًا حكمه، كما تقول: جاءنى زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة، تريد حاسرًا».

وقد انتخب من سور القرآن الكريم موضوعات على هيئة نكت، يطول حديثه فيها أو يقصر، حسب ما يقتضيه المعنى، وهو يجمع بين الاهتمام اللغوى، والنحوى والصرفى، والبلاغى، والفقهى، والتفسيرى، ولم يشمل جميع سور القرآن الكريم - كما قدمنا - بل اهتم اهتمامًا كبيرًا بطوال السور الأولى حتى وصل إلى السورة الحادية والثلاثين وهى سورة لقمان التى تقع فى منتصف الجزء الحادى والعشرين، ثم مضى بعد ذلك على طريقة ينتخب فيها، فلم يعالج جميع الآيات بل اختار منها.

ففى سورة البقرة مثلا يختار اثنتين وعشرين نكتة من بين ست وثمان ومائتى آية تضمنتها هذه السورة الكريمة، كما أنه فى سورة آل عمران يختار عشرين نكتة من بين مائتى آية.

١٥ ـ أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٨ هـ:

يذكر المؤلف فى مقدمة كتابه كيف أن القرآن الكريم ظل الرسول - ﷺ - يتلقاه عن ربه على مدى سنوات حياته، أنزل عليه بمكة فى ثمانى سنين، قبل أن يهاجر، وبالمدينة عشر سنين، وحفظ الله هذا التنزيل، وقال عليه الصلاة والسلام :

«اتقوا الحديث إلا ما علمتم، فإنه من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار».

ولهذا يرى المؤلف أن يبدأ كتابه بالقول فى مبادئ الوحى، وكيفية نزول القرآن، وتعهد جبريل إياه بالنزول، ثم بيان سبب نزول كل آية رُوى لها سبب.

ثم يبدأ بالحديث عن أول ما نزل من القرآن الكريم فيما يروى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد، الليالى ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذ منى فنطق الثالثة حتى بلغ منى الجهد فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾ فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة، فقال: زملونى زملونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة مالى؟ وأخبرها الخبر، فقالت له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق» رواه البخارى ومسلم.

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن آخر ما نزل من القرآن الكريم ويذكر جملة ما يذكر فى هذا المقام، بعد ذلك يحدثنا عن آية التسمية، وبيان نزولها، عن ابن عباس أنه قال؛ أول ما نزل به جبريل على النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: يا محمد استعذ ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم، وعن ابن عباس أيضا قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه (بسم الله الرحمن الرحيم)، وعن عبد الله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: «نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة».

وينتقل المؤلف إلى الحديث عن القول فى سورة الفاتحة، وهكذا تبدأ مسيرة الكتاب فيتحدث عن سبب نزول السور بدءًا من البقرة متبعًا ترتيب سور المصحف حتى يصل إلى المعوذتين.

منهجه فى بيان أسباب التنزيل:

أول ما يلحظ علي منهج أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى فى كتاب (أسباب النزول) أنه يحرص على بيان سلسلة الإسناد بدءًا بجملة (أخبرنا)،

أو (حدثنا)، ثم يبدأ الحديث عن السورة ذاكراً أسماء من روى عنهم الخبر مع الحرص على ذكر سلسلة الإسناد.

فهو فى البقرة - مثلا - يذكر عمن ذكرهم أنها: أول سورة أنزلت بالمدينة ثم ينتقل إلى آياتها. وهو يشير إلى الناحية الموضوعية فى النزول كأن يذكر فى سورة البقرة - مثلا - قائلا: «أربع آيات من أول هذه السورة نزلت فى المؤمنين، وآيتان بعدها نزلت فى الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت فى المنافقين».

وفى بيان أسباب النزول يبين لنا جانبا مهما من جوانب القصة القرآنية غير المروية والمستنبطة من سياق النص ومناسبته مثلما نجد فى سبب نزول قوله تعالى: ﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا**﴾، ذلك أن الكلبى يذكر عن أبى صالح عن ابن عباس: نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله - ﷺ - فقال عبد الله بن أبى، انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فذهب فأخذ بيد أبى بكر فقال: مرحبًا بالصديق سيد بنى تيم، وشيخ الإسلام، وثانى رسول الله فى الغار، الباذل نفسه وماله. ثم أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال: مرحبًا بسيد بن عدى بن كعب، الفاروق القوى فى دين الله، الباذل نفسه وماله، ثم أخذ بيد على فقال: مرحبا بابن عم رسول الله سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا: فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتمونى فعلت؟، فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه خيرا»، فرجع المسلمون إلى رسول الله - ﷺ - وأخبروه بذلك فأنزل الله هذه الآية.

وعن سبب نزول قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا**﴾.. الآية، يورد بعد الإسناد عن مجاهد قال: لما قص سلمان على النبى - ﷺ - قصة أصحاب الدير قال: هم فى النار، قال سلمان: فأظلمت على الأرض، فنزلت الآية إلى قوله: يحزنون، فقال سلمان: فكأنما كشف عنى جبل.

وفى تتبع أسباب النزول ما يبين لنا مواقف الصحابة - ﷺ - وما قدموه للإسلام عن سخاء وتبرع مثلما نرى فى أسباب نزول قوله تعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله**﴾ حيث تبرع عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال عثمان: عليّ جهاز من لا جهاز له فى غزوة تبوك فجهز المسلمين بألف بعير.

وفى متابعة سبب نزول سورة (عبس) ما يبين لنا جانبا من مسيرة الدعوة الإسلامية، حيث نزلت فى ابن أم مكتوم، ذلك أنه أتى النبى - ﷺ - ومعه عتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وعباس بن عبد المطلب، وأُبى وأمية بن خلف، يدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم فقام ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله علمنى مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدرى أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية فى وجه رسول الله - ﷺ - لقطعه كلامه وقال فى نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد، فعبس رسول الله - ﷺ -، وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، فكان رسول الله - ﷺ - يكرمه. وإذا رآه يقول: مرحبًا بمن عاتبنى فيه ربى، ويفيض المؤلف فى بيان أسباب النزول، ومنها سبب نزول سورة الكهف حسب كل آية فيها، ومنها ما يتصل بالآية **﴿ويسألونك عن ذى القرنين﴾** قال قتادة: إن اليهود سألوا نبى الله - ﷺ - عن ذى القرنين فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأنهم أيضًا كما قال لهم رسول الله - ﷺ - **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾** قالوا كيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيرا فنزلت: **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى﴾**.

وهكذا يمضى هذا الكتاب فى تفسير كثير من آيات الله سبحانه وتعالى وسوره، بما يكشف عنه من أسباب النزول وبيان الموقف الذى سيقت فيه الآية حتى يصل معناها إلى قلب المؤمن وصولاً تامًا بإذن الله تعالى.

١٦ - درة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافى برواية ابن أبى الفرج الأردستانى:

أما المؤلف فهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافى، عالم اللغة والأدب كان معاصرا للوزير الأديب الصاحب بن عباد، وله مؤلفات عديدة يهمنا منها الآن هذا الكتاب الذى قدم له الراوى، بخطبة الكتاب قائلا:

«هذه المسائل بيان الآيات المتشابهات لفظًا بأعلام نصبت عليها فى المعنى» ثم

يذكر الراوى ابن أبى الفرج خطبة الكتاب كما أملاها مؤلفه، يقول بعد الحمد والصلاة على النبى - ﷺ -:

«أما بعد فاعلموا حملة الكتاب المتين الحكيم، وحفظة القرآن المبين الكريم، وفقكم الله تعالى لحق علمه بعد حق تلاوته، وأذاقكم من لذة قراءته، وبرد شراب معرفته، ما يشغف قلوبكم بحلاوته، إنى مذ خصنى الله بإكرامه وعنايته، وشرفنى بإقراء كلامه ودرايته، تدعونى دواع قوية يبعثها نظر وروية، فى الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة»، ثم يبين كيف أنه صار المبهم المتشابه، وتكرار المتكرر تبيانًا.

وبعد خطبة الكتاب يورد حديثه فى هذا الموضوع الذى اختاره حسب ترتيب السور فى المصحف بادئًا بسورة البقرة، فآل عمران، فالنساء، فالمائدة، فالأنعام حتى يصل إلى سورة الناس.

منهجـــه:

أما منهجه فيبدأ بالسورة ويمضى مع آياتها آية آية، يذكر الآية ويفرق بينها وبين غيرها من الآيات فى السورة وفى غيرها من سور القرآن الكريم، فهو فى حديثه عن آيات فى سورة البقرة يورد ما يتشابه مع كل آية من هذه الآيات فى سور أخرى، كتلك الآية التى تخاطب آدم - عليه السلام -، وتأمره أن يأكل هو وزوجه من الجنة، فإنها كما تكون الآية رقم ٣٥ فى سورة البقرة، فإنها تكون الآية رقم ١٩ فى سورة الأعراف، ثم يعلق على ذلك بقوله: «لما قال، عز من قائل، لإبليس: اخرج منها مذمومًا مدحورا، فكأنما قال لآدم: ادخل أنت وزوجك الجنة، فقال اسكن، يعنى ادخل ساكنا، ليوافق الدخول الخروج، ويكون أحد الخطابين لهما قبل الدخول والآخر بعده مبالغة فى (الأعذار) وتوكيداً للإنذار، وتحقيقا لقوله عز وجل: **﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾**.

وفى الآية التى تشير إلى نجاة بنى إسرائيل من فرعون وهى الآية رقم ٤٩ بالبقرة، نراه يورد شبيهتها فى سورة إبراهيم رقم ٦ ويعلق على ذلك بقوله:

«فأدخل الواو فى قوله ويذبحون أبناءكم فى سورة إبراهيم وحذفها منه فى سورة

البقرة، جعل يذبحون بدلاً من قوله يسومونكم سوء العذاب، كالقول فى ذلك أنه إذا جعل يذبحون بدلا من يسومونكم سوء العذاب، لم يحتج إلى الواو، وإذا جعل يسومونكم سوء العذاب عبارة عن ضروب من المكروه هى غير ذبح الأبناء، لم يكن الثانى إلا بالواو، وفى الموضوعين يحتمل الوجهين، إلا أن الفائدة التى يجوز أن تكون خصصت لها الآية فى سورة إبراهيم بالعطف بالواو، وهى أنها وقعت هنا فى خبر قد ضُمِّن خبراً متعلقا به».

وهو يحرص فى منهجه هذا على أن يرقم ما أورده من الآيات أرقامًا حسب إيراده لها فى كتابه، كأن يقول: الآية الأولى أو الثانية.. إلخ حتى ينتهى من مناقشة آيات السورة ثم ينتقل إلى سورة أخرى ويبدأ فى تسلسل جديد.

ويصل إلى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية رقم ١٢٦ **﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنا﴾**، وهى الآية رقم ٣٥ من سورة إبراهيم، وفيها يقول عز من قائل: **﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا﴾**، ويعلق على ذلك قائلا: «للسائل أن يسأل فيقول: لم كان فى هذه السورة بلد، نكرة، وفى سورة إبراهيم معرفة؟. والجواب عن ذلك من وجهين: أحدهما: أن يقال الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلدا، فكأنه قال اجعل هذا الوادى بلدًا آمنا؛ لأن الله تعالى حكى عنه أنه قال: **﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم﴾** بعد قوله: اجعل هذا الوادى بلدًا، ووجه الكلام فيه تنكير الذى هو مفعول ثان وهذا مفعول أول، والدعوة الثانية وقعت وقد جعل بلدًا، فكأنه قال: اجعل هذا المكان الذى صيرته كما أردت ومصرته كما سألت ذا أمن على من أوى إليه، فيكون البلد على هذا عطف بيان على مذهب سيبويه، وصفة على مذهب أبى العباس المبرد، وآمنا مفعولا ثانيا، فعرف حين عرف بالبلدية، ونكر حين كان مكانا من الأمكنة غير مشهور بالتميز عنها بخصوصية من عمارة وسكنى الناس.

والجواب الثانى أن تكون الدعوتان واقعتين بعدما صار المكان بلدًا، وإنما طلب من الله أن يجعله آمنا، والقائل يقول: اجعل ولدك هذا ولدًا أديبًا، وهو ليس يأمره بأن يجعله ولدًا لأن ذلك ليس إليه، وإنما يأمره بتأديبه، فكأنه قال اجعله بهذه الصفة، وهذا كما يقول: كن رجلا موصوفا بالسخاء وليس يأمره أن يكون رجلا،

وإنما يأمره بما جعله وصفًا له من السخاء. فذكر الموصوف وأتبعه الصفة وهو كما تقول: كان اليوم يوما حاراً فتجعل يومًا خبر كان وحارا صفة له، ولم تقصد أن تخبر عن اليوم بأنه كان يوما لأنه يصير خبرا غير مفيد، وإنما القصد أن تخبر عن اليوم بالحر، فكان الأصل أن تقول: كان اليوم حاراً وأعدت لفظ يوم لتجمع بين الصفة والموصوف فكأنك قلت: كان هذا اليوم من الأيام الحارة».

وإنما أوردنا هذا التعليق لأبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافى فى كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز) - أوردنا هذا الكلام برغم طوله، أولاً لإتمام الفائدة عن شيء ذكرناه فأتحنا لعلم هذا الرجل أن يصل إلى أسماعنا جميعا، وثانيا: لنبين منهج الرجل فى كتابه، وحرصه على التقصى والدقة فى بيان أسرار القرآن الكريم، وأسرار بلاغته وإعجازه، مما خفى عن الكثيرين، لنرى أن الآية الكريمة فى القرآن لكل حرف فيها دوره ووظيفته فى مسيرة مقدسة جليلة هى الإعجاز القرآنى العظيم، وهذا ما رأيناه فى كتاب يضم ٥٤٣ صفحة من القطع الكبير.

رحم الله مؤلفه وجزاه خير الجزاء.

١٧ - (الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى):

كان القرطبى من عباد الله الصالحين الزاهدين فى الدنيا، وقد ألف كتابه هذا فى التفسير وأسماه (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآى الفرقان)، وهو من أعظم التفاسير وأشهرها، وقد أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضا عنها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب، والناسخ والمنسوخ.

وإلى جانب كتابه هذا الذى بين أيدينا الآن له كتب أخرى منها: كتاب (الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى)، وكتاب (التذكار فى أفضل الأذكار) وضعه على طريقة التبيان للنووى، لكنه أتمه، وله كتاب (التذكرة بأمور الآخرة)، وكتاب (شرح التقصى) وكتاب (قمع الحرص بالزهد والقناعة، ورد ذلّ السؤال بالكتب والشفاعة) وله أرجوزة جمع فيها أسماء النبى - ﷺ - وقد توفى سنة ٦٧١هـ.

والمطلع على هذا التفسير يرى مبلغ ما بذله القرطبى فيه من جهد، وقدرة على البحث، وإلمام بأصول علوم الشريعة وفروعها من لغة وأدب وبلاغة، ويظهر ذلك فى استنباطاته للأحكام الشرعية من نصوص الآيات الكريمة، حتى ليكاد يسد مسدّ كتب الفقه، كذلك ما يلحظ فى استشهاده بكثير من النصوص الأدبية، من لغة العرب شعرها ونثرها.

وإن كان قد اشترط على نفسه فى مقدمة كتابه ما يلى:

«أضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا ما لابد منه، ولا غنى عنه للتبيين».

وقد لاحظ مصحح الكتاب - بحق - أن القرطبى خالف منهجه هذا فى بعض المواضع، وذلك فى أمثلة يذكرها، هى نقلة عن كعب الأحبار فيما يتصل بإبليس، وحديثه مع الحوت الذى يحمل الأرض، وأمثال ذلك مما يتصل بالرعد، وكلب أصحاب الكهف فى لونه واسمه، إذ يأخذ عليه مصحح الكتاب - بحق - أنه فى ذلك جارى من سبقه من المفسرين الذين ينقلون عن الإسرائيليات ولا يتحرون الدقة فى المعلومات الكونية، ويلتمس له عذراً فى ذلك فى أنه تابع ثقافة عصره السائدة آنذاك، وطرق المؤلفين المتبعة وقتها.

ومن الحق أن نذكر لمصحح هذا التفسير، وإن شئنا قلنا: لمحققه أحمد عبد العليم البردونى، أن نذكر له تعليقاته وهوامشه السديدة الدقيقة المعينة على الفهم، على الرغم من أنه لم يصدر صفحة الغلاف باسمه كما يصنع سائر المحققين فى زماننا.

وقد صنع القرطبى مقدمة لتفسيره تصدرت الجزء الأول، وهى مقدمة طويلة ضافية وافية تتبين فيها بلاغة القرآن الكريم وفصاحته، وما فيه من أحكام ومواعظ وقصص وأمثال وقص للغيب من الأخبار ثم يقول: «ولما كان كتاب الله هو الكفيل بجمع علوم الشرع الذى استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض ورأيت أن أشتغل به مدى عمرى، وأستفرغ فيه منِّتى (أى قوتى) بأن أكتب فيه تعليقا وجيزا، يتضمن نكتا من التفسير واللغات والإعراب والقراءات والرد على أهل التوبيخ والضلالات وأحاديث كثيرة شاهدة لما تذكره من الأحكام ونزول

الآيات جامعا بين معانيها ومبينا ما أشكل منها بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف».

ثم يبين منهجه فى الكتاب بقوله: «وشرطى فى هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيرا ما يجيء الحديث فى كتب الفقه والتفسير مبهمًا لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث فيبقى منه لا خبرة له بذلك حائرًا لا يعرف الصحيح من السقيم» ثم يقدم فصولاً موجزة تحمل هذه العناوين:

باب ذكر جمل من فضائل القرآن، والترغيب فيه، وفضل طالبه، وقارئه ومستمعه والعامل به، وباب كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى وما يكره منها وما يحرم، واختلاف الناس فى ذلك، وباب تحذير أهل القرآن والعلم من الرياء وغيره، وباب ما ينبغى لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه، وباب ما جاء فى إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه، وثواب من قرأ القرآن مُعْربا، وباب ما جاء فى فضل تفسير القرآن وأهله، وباب ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته، وباب ما جاء من الوعيد فى تفسير القرآن بالرأى والجرأة على ذلك ومراتب المفسرين، وغيرها من الأبواب.

ظهرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب عن دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢، وهو بذلك فى مجال التفسير القرآنى يسير التداول بين أيدى طلاب المعرفة.

وحين نتابع طريقة القرطبى فى تفسيره نجده يمضى فى تفسير سور القرآن الكريم على النهج التالى:

تفسير سورة كذا، وفيها أربعة أبواب مثلما يذكر فى تفسير سورة الفاتحة ـ : الباب الأول: فى فضائلها وأسمائها وفيه سبع مسائل، ثم يذكر المسائل لكل باب، والباب الثانى فى نزولها وأحكامها وفيه عشرون مسألة، ثم الباب الثالث فى التأمين وفيه ثمان مسائل، ثم الباب الرابع فيما تضمنته الفاتحة من المعانى والقراءات والإعراب وفضل الحامدين وفيه ست وثلاثون مسألة.

وهكذا يمضى القرطبى مع أبواب السور ومسائلها باستقصاء صبور، وبحث جاد، وتأمل دقيق واقفًا على رءوس المسائل والقضايا، عارضا آراء المفسرين واللغويين، والفقهاء، ورواة الحديث، وقراءات القراء، لا يترك فائدة نحوية إلا ذكرها وذكر وجوهها والوجه الأمثل فيها، ولا يترك فائدة لغوية إلا تتبعها باستقصاء يجلى غموضها، ويفصل مجملها، ويحيط بجوانبها وأقطارها.

وهو بذلك عمدة فى التفسير، ومصدر من مصادره، وصورة من صور الإخلاص للعمل العلمى، والحب لكتاب الله العزيز، القرآن الكريم، وركن من أركان المكتبة القرآنية.

١٨ ـ أسرار التكرار فى القرآن الكريم لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا:

هذه هى الطبعة الثالثة من هذا الكتاب وصدرت سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨. وفيها نرى المؤلف يتتبع ظاهرة التكرار فى القرآن الكريم ماضيا وفق الترتيب القرآنى للسور، أى بادئًا بالفاتحة فالبقرة فآل عمران فالنساء حتى يصل إلى قصار السور.

أما أصل اسم الكتاب فهو (البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه الحجة والبيان) كما اختاره مؤلفه حال تأليفه فى القرن السادس الهجرى.

والكرمانى المؤلف هذا هو غير الكرمانى شارح صحيح البخارى، لم يترجم له سوى ياقوت الحموى فى معجم الأدباء وقال عنه: (أحد العلماء والفهماء النبلاء صاحب التصانيف والفضل).

أما الكتاب فله قيمته العلمية التى لا تنكر، إذ ذكر السيوطى هذا الكتاب فى كتابه (الإتقان) ناقلاً عنه رأيا فى تناسق توالى الحواميم، كما استدل بما فيه على أن القرآن الكريم بترتيبه فى المصحف هو بترتيبه فى اللوح المحفوظ.

وهناك مؤلف متأخر زمنًا هو على بن عطية الأجهورى المصرى وقع على هذا

الكتاب واستنبطه فى كتابه (إرشاد الرحمن فى أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن)، كما أفاد منه غيره.

ولقد شغلت ظاهرة التكرار فى القرآن الكريم البلاغيين والمفسرين، ولم يفرد أحدهم كتابًا لها إلا هذا المؤلف فى هذا الكتاب وربما لا يتفق معه فى هذا الجهد إلا الإسكافى فى كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل)، ودرة التنزيل للرازى.

لقد حدد الكرمانى هدفه من كتابه هذا فى قوله:

«هذا كتاب أذكر فيه الآيات التى تكررت فى القرآن وألفاظها متفقة ولكن وقع فى بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التى تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين ما السبب فى تكرارها، والفائدة فى إعادتها، وما الموجب للزيادة أو النقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة فى تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما فى هذه السورة مكان ما فى السورة التى تشاكلها أم لا؟ ليجرى ذلك مجرى علامات تزيل أشكالها وتمتاز بها عن أشكالها». انتهى كلامه.

فقد يرد فى القرآن كثير من أمثال قوله تعالى: (أفلم يسيروا - أولم يسيروا - إليه مرجعكم - إلى الله مرجعكم - كذلك يطبع الله - كذلك نطبع . . إلى أمثال ذلك).

وهذا يؤكد أهمية تأمل التكرار فى دراسة الإعجاز القرآنى واعتباره من علامات الإعجاز الذى لا يدرك إلا بعمق الفهم والفقه والتذكر فى كل سورة من سوره، ليكون ذلك برهانا على إعجاز القرآن، وهذا سر تسمية المؤلف كتابه (بالبرهان)، وهو ما كنا نود الاحتفاظ به فى طبع الكتاب هذه الطبعة الحديثة.

ويشير إلى كتابه الآخر: «لباب التفسير وعجائب التأويل» مفرقًا بين الكتابين.

فهو يشير - مثلا - إلى تكرار الحروف فى أوائل بعض السور مثل ﴿الم﴾، يقول: «قوله تعالى ﴿الم﴾ هذه الآية تتكرر فى أوائل ست سور، فهى من المتشابه لفظًا، وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله: ﴿وأخر متشابهات﴾ هى هذه الحروف

الواقعة فى أوائل السور، فهى أيضا من المتشابه لفظًا ومعنى، والموجب لذكره أول البقرة من القسم وغيره، هو بعينه الموجب لذكره فى أوائل سائر السور المبدوءة، وزاد فى الأعراف «صادا» لما جاء بعده: ﴿فلا يكن فى صدرك حرج منه﴾، ولهذا قال بعض المفسرين: معنى (المص). ألم نشرح لك صدرك، وزاد فى الرعد (راء) لقوله بعده: ﴿الله الذى رفع السموات﴾».

ويتناول المؤلف تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى فى كتابه (البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) المطبوع باسم (أسرار التكرار فى القرآن)، يتناول تكرار الآية الكريمة ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾، يقول: «كرر الآية إحدى وثلاثين مرة، ثمانى منها ذكرت عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبع منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقيبها لأن فى صرفها ودفعها نعمًا توازى النعم المذكورة، أو لأنها حلت بالأعداء وذلك يعد أكبر النعماء.

وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنان، وأهلها على عدد أبوب الجنة، ثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله، ووفاه السبعة السابقة، والله تعالى أعلم».

وفى حديثه عن سورة (الناس) وما فيها من تكرار، يقول: (قوله تعالى: أعوذ برب الناس، ثم كرر الناس خمس مرات قيل: كرر تبجيلا لهم على ما سبق، وقيل: كرر لانفصال كل آية من الأخرى، لعدم حرف العطف، وقيل: المراد بالأولى: الأطفال، ومعنى الربوبية يدل عليه، وبالثانى الشبان ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه، وبالثالث الشيوخ ولفظ إليه المنبئ عن العبادة يدل عليه، وبالرابع الصالحون والأبرار، والشيطان يولع بإغرائهم، وبالخامس المفسدون والأشرار، وعطفه على المتعوذ منهم يدل عليه. وهكذا يتضح الهدى والتقوى والإيمان فى وقت باتت الحاجة ماسةً فيه إلى إضاءة الطريق، والبصائر، وإنارة العقول والأفئدة حتى يصل إلينا الهدى القرآنى الكريم من أيسر سبيل، وأقرب طريق والله الهادى إلى طريق الصواب.

١٩ ـ (تفسير ابن كثير لعماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقى):

أما ابن كثير فهو من ذكرنا اسمه، وقد ولد فى قرية مجدل من توابع بصرى الشام سنة ٧٠٠هـ أو سنة ٧٠٥هـ لأسرة علم، وأب عالم، وقد رحل مع أبيه إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ، وقد حفظ القرآن الكريم، وعنى بالقراءات والفقه والأصول والحديث، وتوفى بدمشق سنة ٧٧٤هـ، ودفن بمقبرة شيخه: ابن تيمية.

وله مؤلفات متنوعة فى التفسير والفقه والحديث والتاريخ والرجال، ويهمنا منها فى هذا المقام تفسيره الشهير المنسوب إلى اسمه.

أما منهجه فى التفسير فيقوم على تفسير المأثور، وهو يعتبر من أصح التفاسير بالمأثور، إن لم يكن أصحها، وقد فسر القرآن بالقرآن، فما أجمل فى مكان فقد بسط فى مكان آخر، فإن لم يجد قصد إلى السنة النبوية الشارحة للقرآن الموضحة له، فإن لم يجد فيها عمد إلى أقوال الصحابة ـ ﷺ ـ والخلفاء الراشدين على وجه الخصوص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود ـ ﷺ ـ، فإن لم يجد فى هذا كله رجع إلى أقوال التابعين كسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبير، والحسن البصرى، وسعيد بن المسيب، وإلاّ رجع لرأيه واجتهاده.

ويختلف منهجه من سورة إلى أخرى حسب اقتضاء الموقف، سواء فى ذلك ما يتصل بالصفة أم المضمون والمحتوى، وهو يقف أمام كل سورة مبينا فضلها ومكان نزولها وعدد آياتها، وربما كلماتها وحروفها، إلى آخر ما هنالك من إحصاءات، من ذلك موقفه إزاء سورة البقرة حيث يذكر أنها اشتملت على ألف خبر، وألف أمر، وألف نهى، وفى ذلك ما فيه من جهد ودقة وقوة ملاحظة.

ثم بعد ذلك يفسر الآيات تفسيراً موضوعيًا يضم عدداً منها أو آيتين حسب ما يشير إليه المعنى والمحتوى والسياق.

وهو يحرص على مناقشة ما يورده من آراء المفسرين والعلماء، عارضًا وجهة نظرهم ثم وجهة نظره، وقد ناقش ابن جرير الطبرى كثيرا، ذلك أنه اعتمد على تفسيره فيما صنع لكنه اعتماد لا يخلو من موقف، ومن رأى، ووضوح الشخصية العلمية.

وقد اهتم كثيرا بأخبار الأنبياء والمرسلين وما يتصل بهم فأورد كثيرا من قصصهم على نحو ما نجد فى قصة آدم ونوح وإبراهيم وموسى ويوسف ومريم - عليهم السلام -، وقصص عاد وثمود ومدين ولوط ، وقصص أصحاب الجنتين والكهف وذى القرنين وغيرهم .

لكن ذلك كله لم يخل من تسلل بعض الإسرائيليات إليه باعتراف ابن كثير نفسه بذلك ، وتنبيهه إلى ضرورة أخذ الحيطة فى هذا المقام .

وقد قلنا إن له خبرة بعلم الرجال والحديث ، وله تآليف فى هذا المجال ، لهذا فإنه ينظر فى الأحاديث الشريفة نظرة مدققة وينبه على غير الصحيح منها ، لأن منهجه فى النصوص منهج دقيق ، إذ يتحرى الدقة دائما فهو لا يوردها كما هى . بل يبين ما فيها من صحة أو حَسَن أو ضعيف أو غرابه ، إلى آخر ما هنالك فى مجال تصنيف الحديث .

وقد قل اهتمامه بالمباحث الكلامية مما يشغل علماء الكلام من قضايا ومشكلات ، فهو - من هنا - يختلف مع صاحب الكشاف ، الزمخشرى المعتزلى ، ومع الفخر الرازى السنى ، بل إنا نراه يتحاشى مناقشة مسائل العقيدة مثل : القضاء والقدر ، والخير والشر ، والمنزلة بين المنزلتين ، والتحسين والتقبيح العقليين ، ومسألة العدل الإلهى ، والثواب وارتباطه بالعمل ، فى حين أننا نجد كثيرا من كتب التفسير تهتم بهذا الجانب كثيرا وتوليه جانبًا كبيراً من عنايتها واهتمامها ، وإن كان ذلك لم يمنعه من التعرض لبعض المباحث الكلامية إجمالاً وبإيجاز شديدين ، وذلك إذا كان بصدد الدفاع عن مذهب المحدثين وتفسير ما يورد من أحاديث نبوية شريفة ، ذلك أن تفسير القرآن الكريم بالقرآن فيه ما يغنى عن ذلك كله ، وذلك أن هذه المباحث الكلامية جديدة ودخيلة على تفسير القرآن ، ولم ترد فيما أثر عن الرسول - ﷺ - .

وهو يعرض للأحكام الفقهية كثيرا بذكر آراء الفقهاء ولا يمنعه ذلك من إيراد بعض آرائه الخاصة فى كل قضية مثارة .

أما موقفه من الإسرائيليات ، وقد أوجزنا الإشارة إليه منذ قليل فى صدر حديثنا ، فإنه قد قسمها إلى ما تباح روايته وإلى ما لا تباح روايته ، فما علم صدقه قبلناه ، وما تبين كذبه رفضناه ، وما هو مسكوت عنه توقفنا فيه . والحق أن هذا يفتح

المجال أمام نقد المرويات من الإسرائيليات وتمحيصها وردها إلى أصولها لبيان الصحيح من الزائف منها .

وشأنه شأن معظم المفسرين أو كلهم ، نراه يقف أمام أسباب النزول ، ذلك أنه سلفى فى تفسيره يهتم بالمأثور كما قدمنا ، ولهذا فإن أسباب النزول توضح قصة الآية ، أو حكاية الحادثة التى استوجبت نزول الآية ، ودراسة أسباب النزول كفيلة بإضاءة جوانب التاريخ الاجتماعى والحضارى والسياسى والعقدى للأمة العربية والإسلامية ، كما أنها تفيد دارس القصص القرآنى باعتباره مدخلاً لفهم القرآن الكريم والحضارات الثقافية والديانات .

ولم يتوان ابن كثير عن الوفاء بهذا المطلب ، وبذلك فإنه يقدم للمهتمين بالتفسير ، والبيان القرآنى ، والأحكام القرآنية زاداً لا ينفد من الحقائق العلمية والدينية ، ومن التفسير الذى يضىء طريق قارئ القرآن ، ودارسيه على حد سواء ، وهو بذلك يعد حلقه مهمة من حلقات التفسير ، وجهداً مهما من جهود المفسرين الذين قدموا للبشرية جهداً خلاقًا واضحا لا يتوقف ولا ينفد فى مقام خدمة الشريعة الإسلامية ، وتوضيح العقيدة الإسلامية ، وإضاءة طريق المؤمن بمشاعل من الحق .

٢٠ ـ (نكت الانتصار لنقل القرآن للإمام أبى بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣هـ)، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام:

أما المؤلف فهو الباقلانى محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاضى أبو بكر البصرى الأصل البغدادى الإقامة ، ولد فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، وتلقى العلم بين البصرة وبغداد ، وقد شغل بالدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد الطاعنين والمنحرفين ، وعرف بكثرة تآليفه ، ومن بين مؤلفاته كتابه (إعجاز القرآن) والكتاب الذى بين أيدينا وهو كتاب (نكت الانتصار لنقل القرآن) .

وقد قسم كتابه إلى أقسام وأبواب وهى : تسمية القرآن قرآنا ، والسورة سورة ، والآية آية ، وباب ذكر جملة ما نذهب إليه فى نقل القرآن ونظمه وقيام الحجة به ، وباب القول فى بسم الله الرحمن الرحيم ، وباب ذكر اعتراضات الرافضة وغيرهم

من الملحدين وما رُوى عن أهل البيت - ﷺ -، وباب تفسير القراءات السبعة التى قيل إنها معنية بقول النبى - ﷺ -: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، وباب الكناية، وباب الكلام فيما نَحلوا القرآن العزيز من اللحن، وباب ذكر مطاعنهم على القرآن من جهة اللغة وغيرها، وباب الكلام فى معنى التكرار وفوائده، والكلام على من زعم أن القرآن نقص منه ولم يزد فيه، وباب الكلام على أن القرآن معجزة للنبى - ﷺ -، وباب الكلام عن صحة مفارقة القرآن لسائر كلام العرب، وباب البلاغة، وباب البيان، وباب الرد على من قال إن القرآن العزيز شعر، وباب الكلام على المعتزلة القائلين بأن ا لعرب صرفوا عن معارضته مع قدرتهم على الإتيان بمثله، وباب الكلام فيما روى أنه سمع من النبى - ﷺ - من قول: تلك الغرانيق العلى، وباب ذكر أول من جعل القرآن بين اللوحين والدليل على صوابه تواتر الأخبار، وباب الكلام عن إبطال القراءة على المعنى دون اللفظ.

وباب إبطال جواز القراءة بالفارسية، وباب ذكر علل المخالفين والاعتراض عليها، وباب القول فى جمع أبى بكر - ﷺ - المصحف وفى أى شىء كتبه، وباب ذكر الدليل على أن ما فعله أبو بكر - ﷺ - من ذلك صواب، وباب جمع عثمان - ﷺ - المصحف والوجه فى ذلك، وباب قصة عبد الله بن مسعود - ﷺ - وما كان منه فى ذلك، وباب ا لكلام على صواب عثمان - ﷺ -، فى اختياره حرف زيد دون غيره، وباب فى أى لغة نزل بها القرآن العزيز، وباب ذكر الحروف التى اختلف فيها أهل الشام، وأهل المدينة، وأهل العراق، وباب ذكر ما يتعلق به عن الحجاج بن يوسف الثقفى فى هذا الباب، وباب الكلام فى حكم قراءة الأئمة السبعة ووجوه اختلافهم، وباب ذكر ما يحاولون به الطعن على عثمان - ﷺ - فى حظر ما خالفه، وباب ذكر اختلاف القراء السبعة وهل خالف جميعهم أو بعضهم حرف الجماعة أم لا، وما وجه اختلاف المصاحف.

وواضح من متابعة موضوعات الكتاب وقضاياه اهتمام المؤلف بالإعجاز البلاغى، وتحمسه الصادق للدفاع عن القرآن الكريم ضد أى مزاعم أو سوء فهم، أو اختلاف فهم، وجاء هذا الاهتمام استمرارًا لاهتمام الباقلانى بالمنهج الكلامى المنظم حيث يضع المقدمات التى توصل للفكرة والنتيجة، حيث يشرح المسائل والقضايا ويناقشها، وقد مكنه هذا المنهج العقلى فى دراساته للبيان القرآنى من

الخروج بنتائج طريفة، وتتلخص نظريته فى الإعجاز البيانى للقرآن الكريم فى خطوات ثلاث هى:

١ - يعرض الفكرة فى كتابه الثمين عرضًا بسيطا فيثبت صحة ما بين أيدينا من نص القرآن وأنه حقا كتاب الله المنزل على نبيه وأنه آية محمد - ﷺ - ومعجزته الخالدة.

٢ - يثبت عجز العرب عن الإتيان بمثله برغم تحديه لهم مراراً.

٣ - ينتهى من المقدمات السابقة إلى نتيجة عامة هى خلاصة نظريته فى الإعجاز التى عرضها فى كتبه فى صور مختلفة وهى «خروج نظم القرآن عن سائر كلام العرب ونظومهم»، وإعجاز القرآن فى نظمه وبيانه منصب عنده على القرآن كله كوحدة، وجملة لا تفصيلاً، نصًا كاملاً له ميزاته وصفاته التى تميزه عن أقوال العرب وفنون كلامهم، لهذا نراه يعارض فكرة الإعجاز البلاغى الذى يعرض للتحليل الجزئى للعبارة، والبحث فيها عن ضروب البيان والبديع، ومجاز القول، ثم لا يأخذ بالقول بفصاحة الألفاظ وحدها، يقول: «ليس الإعجاز فى نفس الحروف وإنما هو فى نظمها وإحكام وصفها وليس وصفها أكثر من وجودها متقدمة أو متأخرة ومترتبة فى الوجود وليس لها نظم سواها، وهو كتتابع الحركات ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض».

وتمتاز دراسته فى كتابه (الانتصار) بأنها جاءت ضمن دراسته العامة للقرآن فى تاريخه وقراءاته، ويبدأ الكتاب يبحث كلمة قرآن، ثم ينتقل إلى قضايا متعددة حسبما أوردنا منذ قليل، على أن الفصل الخاص بالدلالة على صحة مفارقة القرآن لكلام العرب هو لب نظريته فى الإعجاز، وليصل إلى تحقيق هذه النظرية يبحث فى كلا جانبيها فيتكلم عن كلام العرب الفنى أو البيان عامة، ثم عن القرآن، وينتهى إلى الخواص التى فى البيان العربى، فى نظمه وتأليفه، ولا تتمثل فى القرآن، والقرآن لهذا خارج عنها.

كما يتناول البيان بطرقه ووسائله، عن البيان بالقلم واللسان وأنه أشرف البيان، ثم يتعرض لتعريفات البلاغة التقليدية بصورة تذكرنا بكلام الجاحظ والرمانى والعسكرى. ثم يحدد معنى البراعة بقوله: فأما وصف الكلام بأنه براعة فمعناه أنه

حذفت طريقته وأجيد نظمه، وقد يوصف بذلك كل مجيد قول أو صناعة، فيجوز أن يوصف القرآن بالبراعة على هذا المعنى، والمراد أنه نظم يخرج عن إمكان كل الناطقين لا على معنى أنه تجديد كلام هو على معنى كلام العرب، ويعقد مقارنة بين فنون البيان فى القرآن، وفى كلام العرب، وينتهى إلى نتيجة يقصدها، وهى أن فنون البيان فى القرآن أبلغ منها فى كلام العرب أجمع، فالاستعارة فى القرآن أبلغ، والتشبيهات فى القرآن أبلغ، والتجانس فى القرآن أبلغ، وإن تأثر بمن سبق من البلاغيين فى بعض هذه القضايا، ذلك لأن هذه القضايا مشتركة بين هؤلاء البلاغيين جميعا وهم بصدد الدفاع عن القرآن الكريم ضد مزاعم الضالين.

٢١ ـ (فهم القرآن ومعانيه أو العقل وفهم القرآن ـ للحارث بن أسد المحاسبى ١٦٥ ـ ٢٤٣هـ، قدم له وحقق نصوصه: حسين القوتلى):

يقع الكتاب فى خمسمائة وإحدى وثلاثين صفحة، ويقع فى الفصول التالية:

الفصل الأول: الحارث المحاسبى حياته، ومذهبه العقلى، نشأته ودراسته، صوفيته، موقفه من المذاهب والمدارس الفكرية، مكانته، مدرسته، كتبه، أثره فى الفكر الإسلامى، فكره، نظرته للعقل.

أما الفصل الثانى: فيتناول كتاب الحارث مائية العقل (أى ماهيّته)، وهو غير كتابه هذا (فهم القرآن)، وبيان كلمة عقل، وأثر مذهب الحارث العقلى.

أما الفصل الثالث: فيتناول نص كتاب مائية العقل حتى نصل إلى الفصل الرابع وهو عن الكتاب الذى بين أيدينا (فهم القرآن) حيث نلتقى بنصه، ثم ما يتلو ذلك من فهارس عامة.

وقبل أن نقف مع نص كتاب (فهم القرآن) للحارث بن أسد المحاسبى نلتقى بتعريف موجز بصاحبه، وهو الذى نشأ وسط صراع مذهبى بين الصوفية والمعتزلة، ورجال الفقه والحديث، فقد ولد بالبصرة نحو سنة ١٦٥هـ، وقد تتلمذ على يد الكثيرين منهم الإمام الشافعى فى رحلته الثانية إلى بغداد، وأخذ العلم عن كثيرين غيره، وهو يتطور نحو العلم الصادق، يقول: «مضت علىّ ثلاثون سنة لم أسمع فيها شيئا إلا من رأى، ثم دارت علىّ ثلاثون أخرى لم أسمع فيها شيئًا إلا من الله».

وهذا يعنى تحوله، وازدياد اهتمامه بفهم القرآن فى كتابه (فهم القرآن ومعانيه) الذى يعد من أهم الكتب فى تاريخ التصوف الإسلامى، ليس لأنه تضمن كثيرا من الآراء الأصيلة فحسب، ولكن لأنه يشكل برهانا أكيدا على أن التصوف الإسلامى إنما هو إسلامى المصدر يعتمد الكتاب والسنة أصلاً له، وقد اعتمد كثير من الباحثين القدامى والمحدثين على كتاب (فهم القرآن) للمحاسبى فيما يتعلق بالتفسير، وفيما يتعلق بالتصوف وفيما يتعلق بالفكر الإسلامى بوجه عام، وهذا الكتاب هو أهم ما وصلنا من كتب الحارث المحاسبى، فهو فى مقدمته يتحدث عن منهج العقل المؤمن ويرى أن العقل الذى يزيغ ليس بعقل حق، ثم يتحدث عن الفرق الزائغة فيركز على الرافضة الذين يهاجمهم فى قولهم بتناسخ الأخبار، ثم يناقش المعتزلة فى آرائهم ويناقش مسألة النسخ، يقول فى هذا الفصل: «فأول ذلك معرفة السور المكية والمدنية، ليعرف أن ما فيها من الأمر والأحكام نزل بمكة أو بالمدينة، فإذا اختلف، كان الذى نزل بالمدينة هو الناسخ، لأنه الآخر فى النزول. حدثنا شريح بن يونس قال: حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما كان من حد أو فريضة أنزلها الله عز وجل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والقرون أنزل بمكة»، ثم يذكر أسماء السور المدنية، والمكية.

وهو يتحدث عن العقل فيقول: عن الله سبحانه وتعالى: «إنه خاطبهم به من قبل ألبابهم، فقال: ﴿**إنما يتذكر أولو الألباب**﴾، وقال: لقوم يعقلون، ولقوم يتفكرون، لأنه جعل العقول معادن الحكمة، ومقتبس الآراء، ومستنبط الفهم، ومعقل العلم، ونور الأبصار»، وهكذا يبين كيف اختص الله من خلقه ذوى العقول.

أما فصل: فضائل القرآن فيتحدث فيه المؤلف بصفاء نفس واضح، يقول:

«فإن العاقل عن الله عز وجل بدلائل الكتاب مستبصر، وبحبله من كل هلكة معتصم، ولربه بتلاوته فى الخلوات مناج لأنه بنجاة نفسه مهتم، ففزع إلى فهم كلام الرب جل وعز، ليحيى به قلبه، وينجو به من عقابه، فى يوم يندم فيه الغافلون، وينحسر فيه المبطلون، فكفى بكتاب الله عز وجل عن غيب الآخرة مخبراً، وببصائره للعوام موضحا، لأن من فهم علم الله عز وجل ذاق طعم حلاوته، وخالط فهمه لذة مناجاته».

أما فصل: فى المحكم والمتشابه فيقول فيه: ما الذى ينبغى لى أن أعرفه قبل طلب الفهم لكتاب الله عز وجل، لأن لا أغلط فأعتقد مالا يرضى الله جل ثناؤه من المعانى، أو أنفى ما يرضيه من المعانى فأخطر عليه فأبتدع بدعةً، أو أجب فرضا قد أسقط بالنسخ بعد وجوبه».

ولهذا فإنه يتحدث عن الناسخ والمنسوخ، والمتشابه فى التلاوة من غير أن ينسخ بعضه بعضا، أو المتشابه لاختلاف أوقاته فى الواجب وفى الكائن مما أخبر الله أنه كائن، ومنه متشابه والمعانى مختلفة، ومنه مقدم ومؤخر، ومنه خاص وعام، ومنه موصول ومفصول، ومنه غريب اللغة، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالسنة أو الإجماع، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بعد تلاوة ما يأتى فى سورته».

ويذكر: حدثنا أبو عبيد قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا شعبان قال حدثنا يحيى بن سعيد عن أبى حصين عن أبى عبد الرحمن السلمى، أن عليا بن أبى طالب - ﷺ - مرّ بقاصٍّ يقص فقال: هل تعلم الناسخ من المنسوخ! قال لا، قال: هلكت وأهلكت.

ثم يذكر مالا يقع فيه النسخ، وهو صفات الله تعالى وأسماؤه جل ثناؤه، وإخباره - تعالى - عما كان ويكون، يقول: «ولا يجوز النسخ فى إخباره - تعالى - عما كان ويكون فيكون بذلك منصرفا من الصدق إلى الكذب، ومن الحق إلى الهزل واللعب، وإنما ينسخ أخباره الكذاب أو المخبر بالظن، فيرجع عن قول إلى أنه يكذب نفسه ويبطل قوله، وذلك كقول القائل: رأيت كذا وسمعت كذا ثم يقول بعد: لم يكن ما أخبرت أنى رأيته وسمعته».

ثم بعد أن يتحدث عن الناسخ والمنسوخ فى الأحكام يصل إلى فصل عنوانه (فى أساليب القرآن) حيث يتناول التقديم والتأخير، حيث تقديم العذاب قبل النذر وعقاب الأمم بعد إنذارها فى قوله تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾، وقوله تعالى: ﴿فساء صباح المنذرين﴾.

ثم يتحدث عن الإضمار كإضمار كلمة حب فى الآية الكريمة: ﴿فأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم﴾، وتقدير القول مع قوله تعالى: ﴿فأما الذين اسودت

وجوههم أكفرتم﴾، وتقدير كلمتى : أهل أو أصحاب مع الآيتين الكريمتين : **واسأل القرية، واسال العير، وكم من قرية.** ثم يتحدث عن الحروف الزائدة وقد تكون لا ، أو من، أو أن، أو غيرها ، كما يتحدث عن الفصل والموصول، ففى قوله تعالى : **﴿يا نوح اهبط بسلام﴾** تم الكلام بتمام المعنى بإيجاز الله لنوح على البركات والسلام، ثم استأنف الأمم من بعده بالمتاع والعذاب، ولم يصل الكلام بتشريف الأمم بعده فى السلام والبركات .

وهكذا تتعدد موضوعات هذا الكتاب الذى يجعل للعقل مكانة فى استيعاب جوانب إعجاز القرآن الكريم .

٢٢ ـ (الأمثال فى القرآن الكريم لابن قيم الجوزية ـ تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب):

ولد ابن قيم الجوزية سنة ٦٩١هـ وتوفى سنة ٧٥١هـ، والمثل هو النظير، ثم نقل منه إلى القول السائر، وذكر ابن العربى أن المثل هو تشابه المعانى المعقولة ونقل الميدانى صاحب كتاب الأمثال عن المبرد أن المثل : قول سائر يشبه به حال الثانى مأخوذ من المثال والأصل فيه التشبيه .

وأنواع المثل متعددة، فمنها : المثل الموجز السائر، وهو إما شعبى لا تعمل فيه ولا تكلف ولا تقيد بقواعد النحو . والمثل هذا قد يكون كتابيا عن ذوى الثقافة كالشعراء والخطباء، والنوع الثانى : المثل القياسى، وهو سرد وصفى أو قصصىّ أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب، والنوع الثالث، المثل الخرافى وهو حكاية عن مغزى على لسان غير الإنسان لغرض تعليمى أو فكاهى أو ما أشبه .

فهو يشير إلى ما ضرب الله ـ سبحانه ـ للمنافقين بحسب حالهم مثلين فى سورة البقرة مثلا ناريًا فيمن استوقد نارًا ثم أعقبتها الظلمات، ومثلا مائيًا فى صيب من السماء مع رعد وبرق . يقول ابن قيم الجوزية معلقا على هذا المثل قائلا : «لما فى الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة، فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد

جعل الله سبحانه الوحى الذى أنزل من السماء متضمنًا لحياة القلوب واستنارتها، ولهذا أسماه روحا ونورًا وجعل قابلية الحياة فى النور، وأخبر عن المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحى. إنهم بمنزلة من استوقد نارًا لتضىء له وينتفع بها، وهذا لأنهم دخلوا الإسلام فاستضاءوا به وانتفعوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين، ولكن لما لم يضئ نور الإسلام قلوبهم طغى الظلام على نفوسهم، ولم يقل نارهم، لأن النار فيها الإضاءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم فى ظلمات لا يبصرون، فهذا حال من أبصر ثم عمى وعرف ثم أنكر ودخل فى الإسلام ثم فارقه بقلبه فهو لا يرجع إليه لذا قال تعالى: ﴿فهم لا يرجعون﴾.

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائى فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذى يصوب إذ ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذى يشبه الصواعق، فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه فى أذنيه وغمض عينيه خشيةً من صاعقة تصيبه.

بينما كان المثل المائى والنارى فى سورة الرعد فى حق المؤمنين فشبه الذى أنزله سبحانه لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذى أنزله لحياة الأرض بالنبات وشبه القلوب بالأودية، فقلب كبير يسع علمًا عظيما كواد كبير يسع ماءً كثيرا، وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادى الصغير، فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوبًا من الهدى والعلم بقدرها، كما أن السيل إذا خالط الأرض دمر ما عليها واحتملت غثاء وزبدا، فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها كما يثير الدواء وقت شربه من البدن أخلاطه فيتكدر بها شاربه.

ومن حديثه عن الأمثال فى القرآن الكريم يتحدث عن المثل المضروب فى سورة الجمعة، حيث قاس سبحانه من حمّله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله فقرأه بغير تدبر ولا تفهم، ولا اتباع له وبلا تحكيم له وعمل بموجبه، كحمار على ظهره أسفار لا يدرى ما فيها وحظه منها حمْلها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ الحمار من الكتب التى على ظهره، فهذا

المثل وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته.

ومن الأمثال ما ذكره تعالى فى سورة الأعراف لمن انسلخ عن آيات الله فكان من الغاوين فمثله كمثل الكلب، وقد ضرب ذلك مثلا لمن كذبوا بآيات الله. وختم الله سبحانه الآية بقوله تعالى: ﴿**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾، يقول ابن قيم الجوزية: «فشبه سبحانه من أتاه كتابه وعلمه فترك العمل به، واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته والمخلوق على الخالق، بالكلب الذى هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدرا وأخسها نفسًا وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدها شرهًا وحرصا. ومن حرصه أنه لا يمشى إلا وأنفه فى الأرض يتشمم ويتروح حرصًا وشرحًا، وإذا رميت له بحجر رجع إليه يعضه من فرط نهمه، ومن أحمل الحيوانات للهوان وأرضاها بالدنايا»، وبعد أن يفيض فى وصف خسة الكلب يقول ابن قيم الجوزية: «مراده انقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث، وهكذا الذى انسلخ عن آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهث عليها، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عليها، وهذا يلهث من قلة صبره على الماء، فالكلب من أقل الحيوانات صبرا عن الماء، وإذا عطش لا يصبر على العطش، قال مجاهد، وذلك مثال الذى أوتى الكتاب ولم يعمل به، وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الكلمة لم يحملها، وإن تركته لم يهتد إلى خير كالكلب».

ثم يصل إلى مثل الكلمة الطيبة التى هى كالشجرة الطيبة وهو مانراه فى سورة إبراهيم يقول: «فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة هى شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرض له عز وجل ثمرة هذه الكلمة، وفى قول آخر شجرة طيبة: هو المؤمن أصلها قول لا إله إلا الله فى قلب المؤمن وفرعها فى السماء، أى يرفع بها عمل المؤمن للسماء، فإن الله سبحانه وتعالى شبه شجرة التوحيد فى القلب بالشجرة الطيبة ثابتة الأصل باسقة الفرع فى السماء علواً التى لا تزال تؤتى ثمرها كل حين، وشبه الشجرة الخبيثة بالكلمة الخبيثة التى ليس لها قرار، فضرب الله مثلاً للكافر بشجرة اجتثت من فوق

الأرض مالها من قرار فلا برهان للكافر، ولا يقبل له عمل ولا أصل لعمله ولا فرع، ولا يستقر قوله وعمله فى الأرض ولا يصعد للسماء».

فى ذلك كله نرى ابن قيم الجوزية يحيط بالآية التى تتضمن مثلا إحاطة كاملة، وذلك من خلال طائفة ضخمة من الأمثال الواردة فى القرآن الكريم وعددها ثلاثة وأربعون مثلا فى سور عديدة كسورة البقرة، والأعراف، ويونس، وهود، والرعد، وإبراهيم، والنحل، والكهف، والحج، والنور، والعنكبوت، والروم، ويس، ومحمد، والفتح، والحشر، والجمعة، والتحريم.

٢٣ ـ (كتاب الغريبين: غريبى القرآن والحديث لأبى عبيد الهروى، أحمد بن أحمد بن محمد المتوفى سنة ٤٠١ هـ ـ برواية أبى سعد المالينى أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشافعى المتوفى سنة ٤١٢ هـ ـ تحقيق محمود محمد الطناحى).

يقول الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم فى مقدمة الكتاب مشيراً إلى العناية بالقرآن الكريم المتمثلة فى أمور عديدة من بينها: «معرفة الغريب فيه وشرح ما يصعب من معانيه، وقد بدأ قليلا ثم كثر، وصغيرا ثم كبر؛ إذ كانت العربية فى أول أمرها سليمة، والسليقة مستقيمة ولما توالت العصور، وكثرت الفتوح، واختلط العرب والعجم، وشاع اللحن مست الحاجة إلى معرفة ذلك شيئا فشيئا، فقيض الله لحمل هذا العلم عدوله، وأودع فيهم الفهم والبصر، وأيدهم بروحه، وكرسوا فى ذلك أفكارهم، ووصلوا ليلهم بنهارهم وصنفوا فصولا وكتبًا تختلف طولا وقصراً، وطرائق وأساليب، أما فى غريب القرآن فقد كان صاحب اليد الأولى ابن عباس، أورد صاحب الإتقان قدراً كبيراً منه، مرتبًا على السور والآيات، ثم أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد، وابن دريد، والعزيزى، ومن جاء بعدهم.

أما المؤلف فهو أبو عبيد أحمد بن أحمد بن محمد بن أبى عبيد العبدى المؤدب الهروى القاشانى، وقد تتلمذ لمشيخة جليلة من علماء عصره، وقد استفاض كتاب الغريبين بالنقل عن الأزهرى مما يدل على تلمذته على يديه وهو العالم أبو منصور الأزهرى اللغوى، وكان فى زمن الخطابى وبعده وفى طبقته، صنف كتابه المشهور السائر فى الجمع بين غريب القرآن العزيز والحديث.

ونظر إلى جزء من المقدمة التى تصدرت الكتاب لعلها توضح منهجه وطريقته فى بحث موضوع الغريب فى القرآن والحديث الشريف، يقول الهروى: «وكنت أرجو أن يكون سبقنى إلى جمعهما، وضم كل شىء إلى لفْقه، فهما على ترتيب حسن، واختصار كاف، سابق، فكفانى مئونة الدأب وصَعَوبَة الطلب، فلم أجد أحداً يحمل ذلك إلى غايتنا هذه، فاستخرت الله - عز وجل - فيه وسألته التوفيق له، ليكون تذكرة لنفسى مدى حياتى، وأثرا حسنًا لى بعد وفاتى إن شاء الله وبه الثقة».
ثم يقول مبينًا منهجه:

«وكتابى هذا لمن حمل القرآن وعرف الحديث ونظر فى اللغة، ثم احتاج إلى معرفة غرائبهما، وهو موضوع على نسق الحروف المعجمة، نبدأ بالهمزة فنفيض بها على سائر الحروف، حرفا حرفا، ونعمل لكل حرف بابا، ونفتح كل باب بالحرف الذى يكون آخره الهمزة، ثم الياء ثم الباء إلى آخر الحروف إلا أن لا نجده فنتعداه إلى ما نجده على الترتيب فيه، ثم نأخذ فى كتاب الباء، على هذا العمل، إلى أن ننتهى بالحروف كلها إلى آخرها، ليصير المفتش عن الحروف إلى إصابته من الكتاب، بأهون سعيٍ وأحثّ طلب.

وشرطى فيه الاختصار، إلا إذا اختل الكلام دونه، وترك الاستظهار بالشواهد الكثيرة إلا إذا لم يستغن عنها، وليس لى فيه إلا الترتيب والنقل من كتب الأثبات الثقات، طلبًا للتخفيف، وخوفا للتطويل، وحصراً للفائدة، وتوطئةً للسبيل، فمن حفظه كان كمن حصل تلك الكتب عن آخرها، واستأثر بنكتها، وشرب زلالها، وسكبها لذتها». إ. هـ.

ويكون الكتاب - إذن - بادئا بالهمزة مع الهمزة ثم الهمزة مع الباء إلخ. من هذه الكلمات:

أبًا: فى قوله تعالى: وفاكهةً وأبًا، وفى تفسيرها أنها المرعى، والأبُّ للبهائم كالفاكهة للناس، وهو مرعى السوائم وأنشدوا:

فأنزل ماء من المعصرات … فأنبت أبا وغلب الشجر

ومنها كلمة أبابيل: فى سورة الفيل، «طيراً أبابيل» أى جماعات فى تفرقة، قال

بعضهم لا واحد لها، وقيل فى واحدها: إبيل قياساً لا سماعا، وقيل واحدها إبول مثل عجول.

ومنها كلمة أجاج فى قوله تعالى فى سورة الفرقان: ﴿ملح أجاج﴾ والأجاج أشد الماء ملوحة، لا يمكن ذوقه من أجوجته.

وكلمة تأجرنى فى قوله تعالى: ﴿على أن تأجرنى ثمانى حجج﴾، أى تكون أجيراً لى، ويقال: أى تجعل ثوابى من تزويجى إياك ابنتى رعى غنمى هذه المدة وفى كلمة اتخذت فى قوله تعالى: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ أى لأخذته بعينى أجرة إقامة الحائط، يقال اتخذ يتخذ وتخذ يتخذ وقوله تعالى ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ أى اتخذتموه إلها، واكتفى بقوله، اتخذتم لعلم المخاطب به.

وفى قوله تعالى: ﴿يا أخت هارون﴾، أى يا شبيهة هارون فى الزهد والصلاح، وكان رجلا عظيم الذكر فى زمانه، ويقال كان لمريم أخ يقال له هارون.

وفى قوله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ جعله أخاهم لأنه وإياهم ينتسبون إلى أب واحد كما يقال يا أخا العرب، والمعنى وأرسلنا إلى عاد هودا.

وفى قوله تعالى: ﴿لقد جئتم شيئًا إدّا﴾ يقال جاء بأمر إد أى نكر عظيم، وفى قوله تعالى: ﴿ولى فيها مآرب أخرى﴾ أى حوائج، الواحدة مأربة بفتح الراء وضمها، وقوله تعالى: ﴿أشدد به أزرى﴾ أى قر به ظهرى والأزر القوة، يقال آزرته أى عاونته، ومنه قوله تعالى: فآزره فاستغلظ أى قواه، يقال آزر ووازر مثل أسى، وواسى. وفى قوله تعالى: ﴿غضبان أسفا﴾، أى شديد الغضب.

وفى قوله تعالى: ﴿كذاب أشر﴾، قال ابن عرفة: أى لجوجًا فى الكذب وإذا قيل: فعل ذلك أشرًا أو بطرًا فالمعنى لج فى البطر، وقال القتيبى: الأشر، المرح المتكبر، وقرأ مجاهد: أشر، ويمضى المؤلف مع كلمات كثيرة مثل: إصراً أى عهداً لا نفى به، وإصرى أى عهدى، وكل عهد أو عقد فهو إصر، وقيل بمعنى العقوبة عن ذنب يشق علينا، وإصرهم أى ما عقد من عقد ثقيل مثل قتلهم أنفسهم، وما أشبه ذلك من قرض الجلد إذا أصابته النجاسة، أما الآصال فهى جمع أصيل، وهو ما بين العصر إلى المغرب، يقال إصيل وأصل وآصال وآصائل، وفى قوله

تعالى: ﴿أجئتنا لتـأفكنا عن آلهتنا﴾ أى لتصرفنا عنها بالإفك، وهو الكذب، سمى بذلك لصـرف الكلام فيه عن الحق إلى البـاطل، أفك يأفك: إذا كذب، ومنه قوله تعالى: ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾، وفى قوله تعالى: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليـقتلوك﴾ أى سيتشارون يؤامر بعضهم بعضا فى قتلك والباء بمعنى فى، والمؤتمر هو الذى يهم بالأمر يفعله قال الشاعر:

اعلمـــا أن كل مؤتمـــر مخـــطئ فى الــرأى أحيانا

وهكذا نلتقى بجولة لغوية طيبة مع ما اعتبر غريبا فى القرآن الكريم يجليه الهروى تجلية تزيل الخفاء واللبس وتوضح المعنى وتقويه.

٢٤ ـ (حجة القراءات للإمام أبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة):

وقد مـهد له بمقـدمة فى القـراءات وتأريخهـا، وبمدخل فى أصحـاب القـراءات الأربع عشرة وروايتهم. أما محقق الكتاب ومعلق حواشيه فهـو سعيدالأفغـانى، والكتاب فى ثمانمائة وأربع عشرة صفحة من القطع الكبير.

وبه طائفـة من الفـهـارس هى: فـهـرس الأعـلام، وفـهـرس الكتب، وفـهـرس الأشعار والأرجاز، وفهرس البحوث.

أما طريقـة الكتاب فيلتزم ترتيب المصحف فيـما يعـرض للقراءات فى الآيات، حيث تأتى السور مرتبة حسب ترتيبها بالمصحف.

أما المؤلف فهـو من رجـال المائة الرابعة الحافلة بأمثـال: الفارسى، والسيـرافى، وابن فارس، وابن جنى، وهناك نعت له بالـشيخ الجليل بما يتبين منزلته وقدره، وقد ألف كتابه هذا قبل سنة ٤٠٣هـ.

أما منهـجه فى كتابه، فإنه يذكر عنوان السورة فى منتصف السطر ثم يشرع فى الكلام على الآيات التى فيها أوجه للقراءات على ترتيبـها فى السورة، فينسب كل قراءة إلى قارئها من السبعة، أو من أهل كذا: البـصرة أو الكوفة، أو الشـام، إلخ. ثم يذكر الحجة فى قراءته، وينتقل إلى الوجه الآخر ذاكراً الحجة فيه أيضا، وهو إذا

وجد الحجة من القرآن نفسه بدأ بها، ولا يملك الإنسان إلا أن يعجب لبراعتهم فى مقابلة النصوص بعضها ببعض حتى يستخرجوا منها الحجة كما يعجب بدقتهم واستيعابهم، وإذا كانت الحجة فى حديث ذكره، كما يحتج بالشعر وبالنثر وبكلام اللغويين وأهل النحو، حتى إذا فرغ انتقل إلى آية بعدها مما فيه وجوه مختلفة متجاوزا الآيات التى لا خلاف فى قراءتها بين السبعة.

ويمتاز كلامه وشرحه بالوضوح والإيجاز مكتفيًا بأقل ما يقنع من الحجج، وإذا كان له اختيار ذكره بعد فراغه من عرض الوجوه المختلفة للقراءات الصحيحة.

ويمضى محقق الكتاب فى تحليل منهج المؤلف فيذكر أن عادته أن يبدأ كلامه بقوله: «قرأ فلان وفلان كذا وحجتهما كذا، وقرأ الباقون (يريد بقية السبعة) كذا، وحجتهم كذا»، فإن كان هناك أكثر من حجة قال: وحجة أخرى، وعرج على شرح حججه معتمداً على المعنى حينا، وعلى ورود الكلمة كذلك فى موضع آخر من القرآن الكريم حينا آخر، أو على حجة نحوية أو صرفية أو لغوية أو بيت من الشعر أو جملة من حديث أو كلام من يحتج به، وقلما يعزو الحديث إلى رواية أو يعزو الشعر إلى قائله، حتى إذا اكتفى انتقل إلى آية أخرى حتى نهاية السورة.

وقد قطع سرده فى سورة البقرة بعد الآية الحادية عشرة ليشرح مذاهب القراء فى الأداء عند اجتماع همزتين، فعقد بحثًا عنوانه: باب الهمزتين، حتى إذا انتهى منه وصل كلامه من حيث انقطع، وربما ألحق كلامه فى آخر بعض السور بخاتمة عنوانها (الياءات)، يبين فيها مواقف القراء المختلفة من الياءات فى آخر الأسماء المنقوصة أو الأفعال الناقصة أو ياء المتكلم حذفا أو إثباتًا فى الوصل أو الوقف أو في كليهما.

ومن يقرأ الكتاب يشعر أن المؤلف متمكن فى فنه تمكنه فى علوم اللغة والأدب ورواية الشعر، موجز فى عباراته، واثق أنه يخاطب محصلا فى هذا الفن مشاركًا فى بقية الفنون العربية عامة، ولذلك ترك الإسهاب والتطويل والتقديم للكتاب.

ومن منهجه فى كتابه هذا أنه حين يورد الحجج يعقب عليها بالقاعدة يصوغها فى إيجاز، كما نرى فى كلامه على الآية ﴿**قال تزرعون سبع سنين دأبًا**﴾ بعد ذكره قراءة دأبا بفتح الهمزة وإسكانها، قال:

«كل اسم ثلاثى ثانيه حرف من حروف الحلق جاز حركته وإسكانه»، وفى مثل قوله فى الصفحة نفسها: «وحجة ذكرها اليزيدى فقال . . . إلخ) لا نستغرب كثرة ترداد اسم اليزيدى وغيره من النحاة القراء، فكتابه هذا مكان لذلك.

ويذكر المحقق أن كلمة (الحجة) فى هذه المؤلفات لا يراد بها الدليل، لأن دليل القراءة صحة إسنادها وتواترها، وإنما يراد بها وجه الاختيار، لماذا اختار القارىء لنفسه قراءة من بين القراءات الصحيحة المتواترة التى أتقنها؟ يكون هذا الوجه تعليلا نحويا حينًا ولغويا حينا ومعنويا تارة، ونقليًا تارة يراعى أخبارًا أو أحاديث استأنس بها فى اختياره، فهى تعليل الاختيار لا دليل صحة القراءة، إذ القراءة صحيحة فى نفسها لتواترها لا لعلل اختيار قراء لها.

وقد قدم المحقق للكتاب بمقدمات من بينها المدخل الخاص بأعلام القراءات وهم أربعة عشر قارئًا، ولهم رواتهم، فكلمة (قراءة)، تطلق على أحد أئمة القراء مما اجتمعت عليه الروايات والطرق عنه، أما كلمة (رواية) فتطلق على ما ينسب إلى الأخذ عن هذا الإمام ولو بوساطة، وكلمة (طريق) على ما ينسب للأخذ من الراوى.

ولكل إمام صاحب قراءة رواة كثيرون رووا عنه، ولكل راو طرق متعددة، وقد أثبت المحقق ترجمةً لكل موجزة لأعلام القراءة بادئًا بالقراء السبعة وهم: نافع المدنى (٧٠-١٦٩هـ)، وابن كثير المكى (٤٥-١٢٠هـ)، أبو عمرو بن العلاء (٦٨-١٥٤هـ)، وعاصم بن أبى النجود الكوفى (-١٢٧هـ)، وابن عامر الدمشقى (١٨-١١٨هـ)، وحمزة بن حبيب الزيات (٨٠-١٥٦هـ)، والكسائى (١١٩-١٨٩هـ) ثم يذكر بقية العشرة وهم: أبو جعفر يزيد بن القطاع المخزومى المدنى القارئ (-١٣٠هـ)، ويعقوب الحضرمى (١١٧-٢٠٥هـ)، وخلف بن هشام النجار (١٥٠-٢٢٩هـ).

ثم يذكر بقية أربعة عشر قارئًا وهم: ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن السهمى بالولاء المكى (-١٢٣هـ)، واليزيدى يحيى بن المبارك (١٢٨-٢٠٢هـ)، والحسن البصرى أبو سعيد بن يسار (٢١-١١٠هـ)، والأعمش سليمان بن مهران أبو محمد الكوفى مولى بنى أسد (٦٠-١٤٨هـ).

ويشير المحقق إلى شيوع كلمة و(الاختيار)، فى تصانيف المقرئين، وهذا الاختيار لا يحصل إلا بعد أن يتقن القارئ المختص روايات عدة من القراءات الصحيحة المتواترة عن أئمتها فيختار لنفسه من بينها واحدة يثبت عليها وتؤخذ عنه، وستجد هذا المصطلح (الاختيار) غير مرة فى هذا الكتاب الذى يقدم صورة علمية وافيةً عن القراءات المتعددة فى آيات القرآن الكريم، وهو بذلك مصدر مهم من مصادر القراءات حول القرآن الكريم، ومرجع من مراجع المكتبة القرآنية الحافلة المتنوعة.

٢٥ ـ أسرار ترتيب القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى دراسة وتحقيق عبدالقادر عطا:

ولد الإمام السيوطى فى مستهل رجب سنة ٨٤٢هـ، وقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان، وأجيز بتدريس العربية فى مستهل سنة ٨٦٦هـ، وكان قد بلغ من العمر سبعة عشر عاما، وفى عمره هذا ألف شرحا للاستعاذة والبسملة.

ولزم مجموعة من العلماء والمحدثين، ورحل فى طلب العلم إلى أماكن متعددة كالشام، والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب، ويتحدث عن نفسه: أنه رزق التبحر فى سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعانى، والبديع، والبيان على طريقة العرب لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، ويقال إنه وصل إلى رتبة لم يصل إليها أشياخه فى معظم هذه العلوم.

وقد ألف كثيرا من المؤلفات منها: التحبير فى علوم التفسير، والإتقان فى علوم القرآن، وحسن المحاضرة وبغية الدعاة فى طبقات النحاة، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور، ومنها الكتاب الذى بين أيدينا، حتى بلغت مؤلفاته ٣٠٠ كتاب.

وتولى بعض الأعمال، كمنصب الأمناء، والتدريس بالمدرسة الشيخونية، والمدرسة البيبرسية، ثم عزف عن ذلك إلى الدراسة والتأمل.

أما الكتاب الذى بين أيدينا (أسرار ترتيب القرآن) فقد وصفه المؤلف باسم تختلف صيغته قليلا، إذ كان: (تناسق الدرر فى تناسب السور).

وقد سبقه إلى التأليف فى هذا الباب: أبو جعفر بن الزبير فى البرهان، كما سمعنا عن أسرار التنزيل للفخر الرازى.

يصدِّر المؤلف السيوطى كتابه بقوله:

«فإن الله سبحانه - منّ علىّ بالنظر فى مواقع نجومه، وفتح لى أبواب النظر فيه إلى استخراج ما أودع فيه من علومه، فلا أزال أشرح النظر فى بساتين من نوع إلى نوع، وأستسْنح (أتأمل) الخاطر فى ميادينه، فيبلغ الغرض ويرجع وهو يقول: لا روع، فتقت (كشفت) عن أنواع علوية ولقبتها، وأودعت ما أوعيت منها فى دواوين ونقبت عن معادن معانيه وأبرزتها، وأوقدت عليها نار القريحة وميزتها، وألفت فى ذلك جامعًا مفردا، ومطنبا ومقصرا (أى مطيلاً، ومختصراً) ومن خلق لشىء فإلى تيسره، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره».

ثم ينتقل إلى بيان أفانين هذا الكتاب وهى بضع عشرة نوعا هى:

- بيان مناسبات ترتيب سوره، وحكمة وضع كل سورة منها.

- بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل فى السورة التى قبلها.

- وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التى قبلها.

- مناسبة مطلع السورة للمقصد الذى سيقت له، وذلك براعة الاستهلال.

- مناسبة أوائل السور لأواخرها.

- مناسبات ترتيب آياته، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها.

- بيان أساليبه فى البلاغة، وتنويع خطاباته وسياقاته.

- بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها، كالتعريض، والالتفات، والتورية، والاستخدام، واللف والنشر، والطباق، والمقابلة والبيان كالاستعارة والكناية، وغير ذلك.

والمجاز بأنواعه، وأنواع الإيجاز والإطناب.

ـ وبيان فواصل الآى، ومنا سبتها للآى التى ختمت بها.

ـ مناسبة أسماء السور لها.

ـ بيان وجه اختيار مرادفاته دون سائر المرادفات.

ـ بيان القراءات المختلفة مشهورها وشاذها، وما تضمنته من المعانى والعلوم فإن ذلك من جملة وجوه إعجازه.

ـ بيان وجه تفاوت الآيات المتشابهات فى القصص وغيرها بالزيادة والنقص، والتقديم والتأخير، وإبدال نقطة مكان أخرى، ونحوذلك.

يقول: «وقد أردت أن أفرد جزءاً لطيفًا فى نوع خاص من هذه الأنواع هو:

مناسبات ترتيب السور، ليكون عجالة لمريده، وبغية لمستفيده، وأكثره من نتاج فكرى، وولاد نظرى، لقلة من تكلم فى ذلك، أو خاض فى هذه المسالك، وما كان فيه لغيرى صرحت بعزوه إليه، ولا أذكر منه إلا ما استحسن، ولا انتقاد عليه، وقد كنت أولاً سميته: نتائج الفكر فى تناسب السور، لكونه من مستنتجات فكرى كما أشرت إليه، ثم عدلت وسميته: «تناسق الدرر فى تناسب السور»، لأنه أنسب بالمسمى، وأزيد بالجناس».

ثم يورد مقدمة فى ترتيب السور يعرض فيها لآراء العلماء أمثال: البيهقى، وابن الحصّار، وابن عطية، وأبى جعفر النحاس، والحافظ ابن حجر.

ثم يبدأ بسورة الفاتحة مبينًا سر الافتتاح بها، ثم سورة البقرة وما تضمنته من فوائد فآل عمران، ثم يمضى مع السور القرآنية كلها، مبينا، ما بين السور من ترابط، واقفًا عند بعض الآيات لكى يشرح ذلك ويوضحه، ويبين ما فى سوره من إجمال يتضح أكثر فأكثر فى غيرها من السور حتى يصل إلى قصار السور فيوضح ما فيها من ترابط وما بينها من اتصال. وقد يرجع إلى آراء غيره فيذكرها، أو يكتفى بآرائه فى التوضيح والشرح والتبسيط.

٢٦ ـ مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، تحقيق محمد فؤاد سزكين، الخانجى، ١٣٤٧هـ/ ١٩٥٥م:

ألف هذا العالم ـ وهو من الموالى المتنسبين إلى تيم قريش ـ هذا الكتاب معبراً عن علمه بالشعر والغريب والأخبار والأنساب، الأمر الذى شاع حتى شهد الجميع بعلمه، وصار علامة أهل البصرة.

يقصد بالمجاز بيان الأساليب التى يتداولها النص القرآنى متفقة مع الأساليب العربية، وقد ردّ أبو عبيدة الشبه التى أثارها البعض.

وحكاية دافع التأليف عنده شهيرة حين دارت مناظرة بينه وبين أحد العلماء حول قوله تعالى: ﴿**طلعها كأنه رءوس الشياطين**﴾، مبيّنًا أن الله تعالى كلّم العرب على قدر كلامهم مستشهداً بقول امرئ القيس:

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ومن يومها عقد العزم على تأليف هذا الكتاب (معجم الأدباء: ١٩ : ١٥٨، ١٥٩، دار المأمون).

ولم يقتصر على رد الشبه. بل أخذ يفسر القرآن مشيراً إلى مجازات القرآن، مناقشًا النحاة فيما ذهبوا إليه، كمناقشة الاستفهام التقريرى، ونحوه.

ويستطرد للشرح والتفسير لكثير من آيات القرآن الكريم مستشهداً بالشعر ونصوص العرب القدماء.

ثار كثيرون ـ من المعاصرين ـ على الكتاب، وفى مقدمتهم خصمه: عبد الملك بن قريب الأصمعى، الذى اتهمه أنه يفسر القرآن برأيه، وقال أبو حامد السجستانى: «ما يحل لأحد أن يكتبه»، ومثلهما كثيرون ممن نقدوا أبا عبيدة فى كتابه هذا.

وفى الناحية الأخرى كان فى البصرة من يقدر الكتاب حق قدره، وقل مثل ذلك فى الكوفة.

على أن ذلك لم يمنع من تأثر الكثيرين بهذا الكتاب، ولم يمنع كونه فى مقدمة ما كتب عن القرآن.

٢٧ ـ معانى القرآن للفراء ـ تحقيق أحمد يوسف نجاتى، ومحمد على ا لنجار، دار الكتب، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥، وظهر الجزء الثانى والثالث بتحقيق محمد على النجار سنة ١٩٦٦:

مؤلفه أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢١٧هـ)، من أقطاب مدرسة الكوفة، ومن أشهر أصحاب الكسائى وأشهر علماء الكوفة، قريب الصلة بالبصرة والبصريين.

وضع كتابه هذا فى بغداد قبيل وفاته بوقت قليل فى عصر المأمون بين سنة ٢٠٤هـ وسنة ٢٠٧هـ.

روى هذا الكتاب على طريقتين: الأولى: لمحمد بن الجهم السمرى.

والثانية: لسلمة بن عاصم.

لم يفسر الفراء الآيات كلها، وإنما فسر ما أشكل منها، لذا سمى كتابه فى البداية «تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه» وهو اسم غير الاسم الذى اشتهر به الكتاب.

نجد فى الكتاب:

التفسير المعجمى لبعض الألفاظ فى دقة، كما اهتم بإعراب القرآن، وكان يستطرد أحيانا فى ذكر الأساليب العربية، والشواهد، مناقشًا كثيرا من القضايا النحوية واللغوية، ذاكرًا الكثير من الفوائد اللغوية، مثل قضية التضاد، واختلاف لهجات العرب فى قبائلهم، والتسليم بما قالت العرب. بل قد يتخذ مما أثر عن العرب فى همز مالا يهمز مخرجًا لبعض القراءات.

وفى هذا الكتاب نلتقى بعلم الفراء، واهتمامه بالقراءات، واهتمامه بالنحو وتوجيهاته، وتتبع النظائر فى القرآن وفى المأثور من كلام العرب ولو خالف قواعد النحو.

٢٨ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤:

هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدرك الصلة بين فهم القرآن الكريم ومعرفة العربية فمال فى كتابه هذا إلى اللغة فى معظم صفحات الكتاب كاشفًا عن أسرار العربية وأساليب العرب مثل قولهم من البطن للخميص: مبطن، وللعظيم البطن إذا كان خلقة: بطين، وإذا كان من كثرة الأكل: مبطان، وللمنهوم: بطن (بكسر الطاء)، ولعليل البطن: مبطون.

هكذا يمضى مع كلام العرب المأثور ليشرح القرآن ويفسره ويدفع الشبهات عنه.

فمن أساليب العرب وقوع المجاز ـ فى معظمه ـ فى الاستعارة، واستعمالهم اللفظ المقلوب كاستعمالهم اللدغ للسليم تطيراً من السقم، واستعمالهم التضاد، وحذف المضاف مثل: واسأل القرية، أى أهل القرية اختصاراً.

ناقش ابن قتيبة القضايا فى كتابه بعقلية القاضى، واللغوى فواجه الملاحيد الذين اتبعوا ظاهر القول واختلاف القراءات.

وتسمية الكتاب ترجع إلى أصل كلمة: أشكل بمعنى: التبس، وحرف مشكل ملتبس، ولهذا أخذ يفند حجج الطاعنين، ويفرد الحديث لسور من القرآن، مستعينًا بالأمثال العربية تارةً، وبالآيات، وبالشعر، وأفرد بابًا فسر فيه حروف المعانى وحروف الصفات.

وجاء هذا الكتاب فى مشكل القرآن صنواً لكتابه فى غريب القرآن.

الفصل الثانى: الدراسات الحديثة:

١ ـ الفلسفة القرآنية: عباس محمود العقاد.

٢ ـ القرآن والفلسفة: د. محمد يوسف موسى.

٣ ـ القرآن وعلومه فى مصر: د. عبد الله خورشيد البرى.

٤ ـ القرآن والمجتمع الحديث: د. عبد الرزّاق نوفل.

٥ و٦ ـ تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى): للشيخ محمود شلتوت.

٧ ـ القرآن فى شهر القرآن: للدكتور عبد الحليم محمود

٨ ـ دراسات تاريخية من القرآن الكريم: د. محمد بيومى مهران.

٩ ـ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية: محمد إسماعيل إبراهيم.

١٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقى.

١١ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم، وضعه بالفرنسية: چول لا بوم، ويليه المستدرك وهو فهرس مواد القرآن الكريم الذى وضعه إدوارد مونتيه بترجمته الفرنسية للكتاب الكريم، نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى.

١٢ ـ مباحث علوم القرآن الكريم: د. صبحى الصالح.

١٣ ـ أخلاق القرآن الكريم: د. أحمد الشرباصى.

١٤ ـ منهج القرآن فى التربية: محمد شديد.

١٥ ـ نظرات فى القرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالى.

١٦ ـ القرآن والتفسير: للدكتور عبد الله شحاتة.

١٧ ـ الظاهرة القرآنية: مالك بن نبيّ.

١٨ ـ دستور الأخلاق فى القرآن الكريم: د. محمد عبد الله دراز.

١٩ ـ الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم: د. محمد محمود حجازى.

٢٠ ـ المعجزة الكبرى: القرآن ـ نزوله ـ كتابته ـ جمعه ـ إعجازه ـ جدله ـ علومه ـ تفسيره ـ حكم الغناء به: للشيخ محمد أبو زهرة.

٢١ ـ من أسرار التعبير القرآنى ـ دراسة تحليلية لسورة الأحزاب: د. محمد أبو موسى.

٢٢ ـ معجزات قلب القرآن: هاشم محمد سعيد دفتر دار المدنى.

٢٣ ـ أساليب الاستفهام فى القرآن: د. عبد العليم فودة.

٢٤ ـ قصص القرآن: على محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وغيرهما.

٢٥ ـ القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب.

٢٦ ـ الدستور القرآنى فى شئون الحياة: محمد عزة دروزة.

٢٧ ـ التصوير الفنى فى القرآن: سيد قطب.

٢٨ ـ العلم والدين فى الفلسفة المعاصرة، إميل برترو، ترجمة أحمد فؤاد الأهواتى.

٢٩ ـ القرآن وتفسير الحياة: لمحمد العفيفى.

٣٠ ـ القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية: عبد العال سالم.

٣١ ـ الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفاسير: محمد أبو شملبة.

٣٢ ـ بحوث فى قصص القرآن: السيد عبد الحافظ عبد ربه.

١ ـ الفلسفة القرآنية للعقاد:

لاشك أن على الإنسان فى كل عصر أن يفهم كتبه المقدسة وما يترتب عليها من الفرائض والشعائر والواجبات، ذلك أن هذه الفرائض هى بمثابة الآداب التى تصلح الفرد والجماعة معا.

وقد أمر القرآن الكريم بالتفكير والتدبر فى كل زمان ومكان، وهنا ينبغى أن نعلم بأن التفكير العصرى شىء، وإقرار النظريات العلمية وقبولها على علاتها شىء آخر، وعلى هذا فإن على المسلم أن يفهم كتابه الكريم حق الفهم وأن يستفيد من المعجزات العلمية الحديثة، دون أن يعلق إيمانه بتفسير لنظرية علمية، لأنها لا تستقر عصراً واحداً على تفسير ثابت. بل يعتورها النقص والتعديل والتحول.

وهناك ناحية أخرى هى أن القرآن الكريم ليس فى حاجة إلى دعم واستدلال بما يجدّ فى حقل العلم، وما يطرأ من نظرياته، لأن القرآن الكريم كتاب عقيدة يخاطب الضمير، ويحث على التفكير.

وهكذا نصل إلى أن الفلسفة القرآنية هى جماع الفلسفات التى تمخضت عنها أقوال الحكماء والفلاسفة والمفكرين فى كل فروع الفلسفة، وقد وضعت ما حيّر العلماء والفلاسفة على مر العصور موضعه الصحيح، وقدمت الحلول للإنسان بما يريحه عقلا وروحا ونفسا وضميرا وجسدا.

ويقف المسلم «أمام آيات عديدة من القرآن الكريم يستخرج منها فلسفة قرآنية تعنى بالجماعة كما تعنى بالفرد. وتصحح كثيرا من أخطاء الفلاسفة، إذ لم ينفض الإسلام يده من الإصلاح الاجتماعى فى زمن من الأزمنة. بل إنه قرر للإنسانية أصولاً لا يتحقق لها صلاح بغيرها، ثم يفوض للعقل الإنسانى كل الرأى فى اختيار ما يلائمه من تفاصيل الإصلاح غير مقيد له بفرع من الفروع المتجددة ما دام أمينا على تلك الأصول».

إن عباس محمود العقاد يبدأ كتابه بالسطر الأول التالى :

«الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية . . » .

ثم يستطرد بقوله : «ولم يكن الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية لأنه مصلحة وطنية أوحاجة نوعية ، لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان» .

ويفرق المؤلف بين اسم كتابه هذا (الفلسفة القرآنية) وفلسفة القرآن ، وكيف عدل عن التسمية الثانية إلى الأولى ، «لأن اسم فلسفة القرآن يوحى للذهن أننا نتخذ القرآن موضوعا لدراسة فلسفية كدراسة فلسفة النحو أو البيان أو التاريخ ، وليس هذا هو المقصود مما كنا نتحدث عنه ، وإنما المقصود منه أن القرآن الكريم يشتمل على مباحث فلسفية فى جملة المسائل التى عالجها الفلاسفة من قديم الزمان ، وأن هذه الفلسفة تُغنى الجماعة الإسلامية فى باب الاعتقاد ولا تصدها عن سبيل المعرفة والتقدم ، وهى لذلك تحقق ضرورة الاعتقاد ، وتمنع الضرر الذى يبتلى به من تصدهم عقائدهم عن حرية الفكر وحرية الضمير» .

ويستمر فى قوله : «وليس للعلماء ولا للفلاسفة أن يطلبوا من الدين غير هذا ، فمهما يكن من رأيهم فى الإيمان بالله ، فهم لا يجهلون ولا يستطيعون أن يجهلوا أن الإيمان - كما قدمنا - ضرورة كونية ، لا تخلقها مشيئة أحد من الآحاد ، ولو كان فى قدرة الرسل والأنبياء» . . إ . هـ .

إن متأمل موضوعات الكتاب يجدها تتنوع بين الموضوعات التالية : القرآن والعلم ، الأسباب والخلق ، الأخلاق فى القرآن الكريم ، الطبقات والمساواة ، المرأة ، الزواج ، الميراث ، الرق ، أو الأسر ، العلاقات الدولية ، العقوبات فى القرآن ، العقيدة الإلهية ، مسألة الروح ، مسألة القدر ، الفرائض والعبادات ، التصرف ، الحياة الأخرى ، الإصلاح فى الإسلام ، بين البحث والتخمين ، تفسير القرآن فى العصر الحديث .

إن هذا التعدد والتنوع فى موضوعات الكتاب ، كما يبدو من متابعة محتوياته ، يقدم صورة واضحة شاملة للفلسفة القرآنية كما فكر فيها العقاد ، ونلحظ أن هذا التنوع أتاح للمؤلف عباس محمود العقاد أن يتناول فلسفة الإنسان بجانبها الفردى

والاجتماعى، أى على مستوى الفرد والمجتمع، كما أنه تناولها من جانبيها الروحى والمادى، وفيما يتصل بالحياة، وما يتصل بالموت، بل شمل علاقات الأفراد بعضهم ببعض، والمجتمعات فيما بينها. بل العلاقات الدولية، أيضا، ونقف على ما حدده الكاتب فى خاتمته، يقول:

مثال ذلك أنهم زعموا أن تحريم الربا أضعافًا مضاعفة، مسألة اجتماعية أو اقتصادية قد عرض لها القرآن، فأتى فيها بحكم قد يرضاه المتدينون، ولكنه لا يرضى علماء الاجتماع أو خبراء الاقتصاد.

لكن الفلاسفة الأقدمين والمحدثين قد عرضوا لهذه المسألة فوافقوا فيها عقيدة المسلم الذى يدين بأوامره ونواهيه، فأرسطو قد حرم الربا لأنه يجعل المال نفسه تجارة وهو وسيلة من وسائل التبادل فى التجارة، وأعداء الاستغلال من فلاسفة الاقتصاد المحدثين يردون مصائب الاجتماع كلها إلى تسخير الناس باستغلال رءوس الأموال، ولم تتناول هذه المسألة قريحة أدبية عالية، تقيسها بمقياس الشعور الإنسانى والكرامة النفسية، إلا وصمت الربا بوصمة الخسة والمعابة، كما قال شكسبير: «إنه صدأ المعدن الخسيس».

فحكم القرآن فى الربا حكم لا يجافى الفكر، ولا يعطى الضمير حقًا أكبر من حقه المقدور فى تقرير المحللات والمحرمات، وهذا كل ما يعنينا من الموافقة بين مسألة فكرية، وحكم من الأحكام التى اشتملت عليها الفلسفة القرآنية.

ولم نشأ أن نستدل على قداسة القرآن بما ظهر من نظريات العلم الحديث، إذ القرآن كما أسلفنا. . «لا حاجة به إلى مثل هذا الادعاء، لأنه كتاب عقيدة يخاطب الضمير، وخير ما يطلب من كتاب العقيدة فى مجال العلم أن يحث على التفكير ولا يتضمن حكمًا من الأحكام يشل حركة العقل فى تفكيره، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم حيثما استطاع».

٢ ـ القرآن والفلسفة للدكتور محمد يوسف موسى:

بعد أن تحدثنا فى الحلقة الماضية عن كتاب الفلسفة القرآنية، لعباس محمود

العقاد، نتحدث اليوم عن كتاب القرآن والفلسفة للدكتور محمد يوسف موسى.

هذا الكتاب الذى أراد به مؤلفه أن يبين أن القرآن كان من أهم العوامل التى دفعت المسلمين إلى التفلسف، ثم يبين ما اشتمل عليه من فلسفة سواء ما يتعلق منها بالإنسان وما يتعلق بالله وصلته جلّ وعلا بالإنسان، ومن الحق أن نقرر أن القرآن قبل كل شىء هو كتاب العقيدة الحقة، والشريعة الصالحة لكل زمان ومكان، والأخلاق التى لا يتقدم مجتمع سليم إلا بها.

ثم يبين المؤلف كيف أن القرآن الكريم تعرض بكثير من آياته لأمهات المشكلات الفلسفية الإلهية والطبيعية والإنسانية، هذه المشكلات التى كانت - ولا تزال - تثير أفكار العلماء والفلاسفة وعقولهم، وأن تعرضه لبعض هذه المشكلات وبخاصة الإلهية منها، على نحو يدعو إلى تعمقها وإنعام التفكير فيها.

إننا حين نمضى مع محتويات هذا الكتاب: القرآن والفلسفة للدكتور محمد يوسف موسى.

نجده يجعل الفصل الأول بعنوان: القرآن والفلسفة والمجتمع الذى يدعو إليه، وفى هذا الصدد يتناول قضايا تتصل بشأن القرآن وشمول دعوته، وما كان عليه العرب من أديان، وحكم القرآن فيما كانوا يختلفون فيه، واشتماله على وصول الفلسفة الحقة.

ثم ينتقل إلى الفلسفة الإلهية والطبيعية حيث وجود إله واحد خالق، وطريقة القرآن فى التدليل على ذلك، وشمول علم الله سبحانه وعدالته ورحمته.

ثم يتناول الفلسفة الإنسانية والاجتماعية حيث رفعة شأن الإنسان، وبيان الحقوق والواجبات الاجتماعية.

أما الفصل الثالث فيتحدث عن طبيعة القرآن التى تدعو للتفلسف، ليبيّن أن القرآن كتاب دين وعقيدة، ويتحدث عن بدعة القول بالقدر، وعن بدعة معارضة بعض القرآن ببعض، وبدعة الخوض فى تأويل القرآن، وأثر الآيات المتشابهات فى

القرآن، ورفع ذلك إلى ضروب من التفكير الفلسفى، ثم تحدث عن السلفية قديما، والمشبهة والمعتزلة، وظهور كتب فى العقل.

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن أثر أسلوب القرآن فى قبوله للفلسفة، ودعوته للملاحظة التى هى فى أساسها دعوة للفلسفة، وكذلك دعوته إلى قياس الغائب على المشاهد، وكذلك أيضا دعوته إلى نبذ التقليد وإعمال العقل.

أما الفصل الثالث فعنوانه: ذات الله وصفاته، وفيه يتحدث عن المبدأ العام لأهل السنة والمعتزلة، ثم افتراقهم فى التطبيق، واتفاقهم على نفى التجسيم والتشبيه عن الله تعالى، وفكرة التشبيه وسبب وجودها، والمشبهة وأصنافهم، ويتناول طريقة استدلالهم بصفة عامة، ويبين موقف خصومهم، ويمضى مبينا ما فى مذهب المجسّمة والمشبهة، وحديثهم عن كون الله تعالى فى جهة. وحديثهم عن العرش، ثم يبين كيف أن الحق ليس فى صف المجسمة أو المشبهة ثم ينتقل إلى الخصومة بين الأشاعرة والمعتزلة فى مسألة الرؤية ومسألة الكلام، وكيف استدل الأشاعرة بالقرآن لجواز رؤية الله تعالى، واستدلال المعتزلة بعدم الرؤية ونفيها.

أما الفصل الرابع فهو عن العدالة الإلهية حيث اختلاف تصور المسلمين لقدرة الله وعدالته، ويحصر مسائل ثلاثًا يجب بحثها وهى:

الأول: العمل بين الله والإنسان وما فيه من آراء بين أهل السنة والمعتزلة والقدرية والجبرية، والأشاعرة.

الثانية: الإضلال والهداية، حيث يشرح أهمية هذه القضية، ويبين اختلاف الآراء فيها بين: أهل السنة والأشاعرة والمعتزلة وآراء كل.

الثالثة: الوعد والوعيد، حيث حدد كل مذهب من هذه المذاهب، وما يستدل به كل فريق.

وبذلك تتعدد موضوعات الكتاب على نحو يجعلنا إذا ما قسناه بكتاب عباس محمود العقاد الذى تناولناه فى الحلقة السابقة نخرج بنتيجة واضحة هى سعة هذا الكتاب وشموليته، واتساع حقله، وكثرة وفائه بتاريخ الفلسفة القرآنية إذا ما قيس بكتاب العقاد سالف الذكر.

٣ ـ القرآن وعلومه فى مصر للدكتور عبد الله خورشيد البرى:

ينطلق المؤلف من أهمية القرون الثلاثة الأولى للهجرة منذ الفتح الإسلامى لمصر حيث دخلت القبائل العربية مصر على نحو ما بحثه المؤلف فى كتاب سابق هو : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، إذ قامت هذه القبائل العربية بدور كبير فى توجيه الحياة هناك منذ بدأت مصر تغير لغتها ودينها لتستقبل الدين الإسلامى، واللغة العربية.

كان القرآن الكريم أهم ما حمله العرب معهم إلى مصر، وغير مصر من البلاد التى دخلت الإسلام، فهو كتاب النور الإلهى، وهو دستور المجتمع الجديد.

لقد ظهر فى المجتمع الإسلامى شخصية جديدة أصبحت تعرف باسم (القارئ) لم تقتصر مهمته على مجرد قراءة القرآن الكريم وإقرائه فحسب، أى حفظه وتحفيظه، بل تجاوزتها إلى قيادة الحياة كلها.

إننا حين نتابع محتويات هذا الكتاب الفخم الذى يضم أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة، نجد الباب الأول بعنوان: تاريخ المصحف، فيتحدث عن المصاحف القديمة مثل: مصحف معاذ بن جبل، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، ثم مصحف عثمان، حيث يبين متى كتب هذا المصحف، وعدد نسخه، والمصحف العثمانى بمصر.

ثم ما حدث من عبد العزيز بن مروان حيث أمر بكتابة مصحف له، ولما توفى بعد مرور عشر سنوات عرض مصحفه للبيع فى الميراث، ثم كان لهذا المصحف أن يكون ملكًا لأسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ، وهو ما يذكره المؤلف باسم مصحف أسماء، كما يذكر المؤلف مصاحف أخرى عثمانية، وما دخلها من زيف، ثم توزع المصاحف فى الأقاليم.

ثم ينتقل المؤلف إلى تاريخ القارئ، قارئ القرآن، فيتحدث عن شخصية القارئ، بين القارئ الثورى، والقارئ المحترف.

وينتقل بعد ذلك إلى تاريخ القراءة فيتناول نشأة المدرسة المصرية بأعلامها ومنهم ـ على سبيل المثال ـ عبد الرحمن بن جبير، ومجاهد.

ثم يتحدث عن نافع، والليث بن سعد، وغيرهما، ثم ينتقل إلى مدرسة ورش وقراءته بمصر، ثم قراءته خارج مصر حيث القاسم بن محمد بن عامر القيسى بمكة، وغيره، بواسط، والكوفة، وبغداد، وأصفهان، والشام، والقيروان، والأندلس، وصقلية.

ثم يتناول مدارس أخرى مثل: المدرسة المكية منذ الإمام الشافعى - رضى الله عنه - وتلاميذه، ثم المدرسة المدنية، فمدرسة البصرة، فمدرسة الكوفة، فمدرسة بغداد.

ويتحدث عن القراءة فى الأقاليم حيث القراء فى الثغور كالإسكندرية، ودمياط، وشطا، وتنيس، وأسوان، والقراء بالصعيد.

ثم يتناول المفسرين الأوائل وهو بصدد الحديث عن تاريخ التفسير، حيث عقبة ابن نافع، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، ومجاهد، وعكرمة، ليقف أمام المدرسة المصرية حيث: عطاء بن دينار الهذلى، وعبيد بن سوية الأنصارى، وعبد الله بن وهب، والإمام الشافعى، وغيرهم.

ثم يتناول المفسرين الوافدين من الأندلس مثل: عبد الملك بن حبيب العلمى، وبقى بن مخلد.

ومن العراق: أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن أبى داود السجستانى، وابن جرير الطبرى، وغيرهم.

ومن المشرق: ابن ماجه، وابن أبى حاتم الرازى، وغيرهما.

لقد كان القرآن الكريم يحمله الجنود الفاتحون لمصر فى صدورهم كلامًا محفوظا، ومنهم من يحمله فى متاعه كتابًا مسجلاً، وبالرغم من أن الكتابة لم تكن شيئا نادرًا بين هؤلاء الفاتحين، فلنا أن نتوقع ألا يكون القرآن مكتوبا على شكل شائع، بل نقول - على المؤلف - إن نسبة قليلة من الفاتحين كانت تملك بعض سور الكتاب المقدس مسجلة بالطريقة المألوفة فى جزيرتهم على الرقاع والعسب واللخاف والأكتاف على نحو ما يذكر أبو بكر السجستانى فى كتابه المصاحف.

أما امتلاك سور الكتاب الكريم كاملة ومدونة، على النحو الذى عرف فيما بعد باسم المصحف، فلم يكن يتيسر لغير من يجمع بين التفوق الثقافى والتفوق المادى،

وتشير الأخبار المتبقية لدينا واحتمالاتها إلى وجود بعض المصاحف المكتوبة فى مصر فيما بين الفتح وظهور مصحف عثمان الرسمى .

٤ ـ القرآن والمجتمع الحديث للدكتور عبد الرزاق نوفل:

ينطلق المؤلف من رأى يؤمن به ، وصدر عنه فى كتب كثيرة أعلنها للناس خلال السنوات الماضية ، من بينها كتابه هذا ، إنه يبدؤه منذ السطور الأولى مؤكداً أن إعجاز القرآن الكريم العلمى لم يعد فى حاجة إلى مزيد من إيضاح بعد أن أثبت العلم الحديث أن كل ما وصل إليه من تقدم فى مختلف القطاعات العلمية كما كان لا يعتبر أكثر من أمنيات يمكن أن تراود خيال الإنسان وإن كان العلم قد وصل إليها بعد استخدام الأجهزة والآلات ، وبعد أن تضافر العلماء فى مختلف الدول متتابعين ومتعاونين عدداً من الأزمنة ، وعديداً من السنين ، فقد جاء القرآن الكريم بحقائق وأورد نتائجه وأوضح السبيل إلى دراسته سابقا العلم بعشرات المئات من السنين .

ثم يشير إلى أن العلماء عالجوا تفاسير بعض الآيات العلمية فى القرآن الكريم ، وصدرت هذه التفاسير فى أكثر من كتاب وبأكثر من لغة وفى أكثر من دولة .

ثم يشير إلى تشريعات القرآن الكريم التى كانت موضع دراسة فى المؤتمرات العالمية التى اجتمعت لبحث مختلف التشريعات ، وذلك فى عصر يمكن أن نطلق عليه عصر التشريع والتقنين ، وشهدت هذه المؤتمرات بأن تشريعات القرآن الكريم تفضل كافة التشريعات الحديثة ، وأنها تحمل العناصر الصالحة التى تحقق كافة الرغبات لمختلف الدول فى شتى الأجيال ، واعترف المؤتمر الدولى المنعقد فى لاهاى للقانون المقارن بالشريعة الإسلامية ، وقرر أنها مصدر من مصادر القانون المقارن ، وبذلك أصبح مصدره القوانين الإسلامية كما جاءت فى القرآن الكريم ، والقوانين الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه :

«إن هذا الكتاب (القرآن والمجتمع الحديث) يعتبر محاولة جادة لبيان أن القرآن الكريم قد سبق كل الدراسات التى توضع لرعاية المجتمع ، وأن المجتمع الذى تسعى

كل الدول إلى الاقتراب بمجتمعها منه، والذى يعتبر مثالا للمجتمع الأفضل، إنما هو المجتمع الإسلامى الذى رسم القرآن الكريم ملامحه وأوضح معالمه وحدد الطريق إليه . . وعن حقوق الإنسان يتحدث المؤلف، أن القرآن الكريم نزل منذ حوالى أربعة عشر قرنا متضمنا حقوق الإنسان كما لم يستطع أن يصل إلى تخيلها أى مصلح أو داعية، والفارق بينه وبين أى إعلان آخر عن حقوق الإنسان هو فارق المصدرين: السماء والأرض، الخالق، والعبد، إلى أنها قامت وتحققت وغيرها مداد على ورق.

أعلن القرآن كرامة الإنسان. أما درجة هذه الكرامة فيكفى تقديرها أن نعرف مصدرها، وهل هناك كرامة تقارب تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان.

لقد كان التكريم لبنى آدم كلهم، أى أنه تكريم للنوع الإنسانى كله، ومن آيات تكريم الإنسان ما يقرره القرآن الكريم من أن الله سبحانه وتعالى جعله خليفة له سبحانه فى الأرض وليس بعد إعلان هذه الخلافة من تكريم أو كرامة، وتعميم خلافة الإنسان إنما يفيد تكريم الإنسان عامة دون النظر إلى درجته أو عمله.

وأعلن القرآن المساواة بين الناس جميعا، فالناس جميعا متساوون فى الخلق فكلهم من ذكر وأنثى، وهم فى ذلك سواء، ولا يكون اختلاف ألسنتهم أو ألوانهم أو درجاتهم إلا للتعارف وقضاء المصالح المتشابكة بين الناس من أسباب التعارف ونتائجه.

وقرر القرآن حرية الإنسان فى كافة مناحي حياته، فحق الحياة أوجبه القرآن الكريم فى آيات كثيرة حيث أمر بالمحافظة على حياة كل نفس ومنها حماية الإنسان لنفسه.

ولهذا قرر القرآن الكريم: من قتل نفسًا واحدة فكأنما قتل الناس جميعا، كذلك قرر الإسلام حرية العقيدة فى ألفاظ قصار لا يمكن أن تصل لبلاغتها وإيجازها أية مادة بأية لغة . . قال تعالى: **﴿لا إكراه فى الدين﴾**.

وطالب القرآن بالجهر بالدعوة للخير والأمر بالمعروف والنهى عن كل شر، وفى الوقت نفسه، لا يحب الجهر بالسوء إلا فى حالة واحدة هى حالة وقوع ظلم ما كما

دعا القرآن إلى حرية الفكر، إذ دعا إلى التفكير فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، والتفكر فى نبات الأرض، واختلاف أصنافه وأنواعه، وكافة ميادين الحياة، وبذلك تعددت موضوعات الكتاب وما هى بقادرة على استيعاب مظاهر تصوير القرآن للإنسان الفرد ومجتمعه.

٥ ـ تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) للشيخ محمود شلتوت:

تأتى أهمية هذا التفسير فيما يقدمه الشيخ شلتوت من اهتمام بالقضايا التى تتصل بالتفسير، وبمهمة المفسر، من ذلك اشتغال العلماء بالعلوم المختلفة لخدمة القرآن، كالنحو الذى يقوّم اللسان ويعصمه من الخطأ، وعلوم البلاغة التى تبرز خصائص اللغة العربية وجمالها لبيان نواحى القرآن فى إعجازه، والكشف عن أسراره الأدبية، كذلك التجويد، والقراءات؛ لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته، والفقه لاستنباط أحكامه، والأصول لبيان قواعد تشريعه العام ـ وطريقة الاستنباط منه، وعلم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد، والتاريخ تحقيقا لما أوحى به الكتاب الكريم فى مثل قوله: **﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾**، **﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾**، **﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾** ومن ذلك علوم تقويم البلدان وتخطيط الأقاليم، وعلوم الكائنات، وعلوم الفلك والنجوم والطب، وعلوم الحيوان والنبات وغيرها.

ويذكر كيف تختلف التفاسير باختلاف المفسر فى ثقافته، يقول الشيخ شلتوت:

«لا أتجاوز حد القصد والاعتدال إذا قلت: إنه لم يظفر كتاب من الكتب سماويا كان أو أرضيا فى أية أمة من الأمم قديمها وحديثها بمثل ما ظفر به القرآن على أيدى المسلمين ومن شارك فى علوم المسلمين».

وينقد المؤلف استخدام آيات القرآن الكريم فى تأويل القرآن وفق المذاهب المتطاحنة، والفرق المبتدعة، والعصبيات المذهبية والسياسية، فظهرت الروايات الغريبة، والإسرائيليات الموضوعة التى تلقفها الرواة من أهل الكتاب.

كما أنه لا يوافق طائفة من المثقفين أخذوا بطرف من العلم الحديث وطبقوا نظريات هذا العلم على القرآن الكريم، ويخطىء هذا الاتجاه، يقول:

«لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابًا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف، وهى خاطئة من غير شك، لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفًا يتنافى مع الإعجاز، ولا يسبقه الذوق السليم.

وهى خاطئة لأنها تعرض القرآن للدوران مع وسائل العلوم فى كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الأخير، فقد يصبح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدًا من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها، وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفًا حرجًا فى الدفاع عنه. فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته».

ثم يمضى الشيخ شلتوت مع سور القرآن الكريم بادئًا بفاتحة الكتاب، ويذكر أربع سور بدئت بالحمد لله هى:

سورة الأنعام، وسورة الكهف ـ وسورة سبأ، وسورة فاطر، وبذلك تكون سور الحمد خمسًا، وهى كلها تدور حول بيان ربوبية الله للعالم من ناحيتيها: الخلقية والتشريعية، وقد أجملت سورة الفاتحة ذلك، وفصلته السور الأخرى، وهى كلها مكية نزلت فى وقت تأسيس الدعوة إلى التوحيد.

ثم يذكر تفسير سورة البقرة وسر تسميتها، لانفرادها بذكر حادثة قتل وقعت فى بنى إسرائيل على عهد موسى ـ عليه السلام ـ، وكانت البقرة التى اتخذ بنو إسرائيل من نوعها عبادة من دون الله، كان لها شأن عظيم فى تحديد القاتل.

ثم يذكر مناهج الناس فى فهم القصص القرآنى، فإن مما قيل فيه إن كثيرا مما قصه القرآن لم يكن معروفا من قبل، لا فى الكتب الإلهية ولا فى الآثار التاريخية وهو يذكر آراءهم تفصيلا:

فمثلا رأى الشيخ محمد عبده فى قصة البقرة:

خرّج الشيخ محمد عبده هذه القصة على أنها نوع من التشريع الذى كان موجوداً فى زمن بنى إسرائيل لغرض الوصول إلى معرفة القاتل المجهول فى مثل هذه الحادثة، وشد أزره فى ذلك الشيخ رشيد رضا.

ويشير الشيخ محمد عبده إلى الرأى القائل بعدم وجود هذه القصة فى التوراة، وهو يرى أنه منصوص عليها فى التوراة، ويذكر النص من التوراة، ثم يحدد الشيخ رضا ما ذكره الشيخ محمد عبده ويورد النص من أول الفصل الحادى والعشرين من سفر تثنية الاشتراع، غير أن الشيخ محمود شلتوت يعلق على ذلك، فإنه ليس فى الآية إشارة إلى تلك التفصيلات التى فى التوراة، ولهذا فإنه يرد على من يؤوّلون المدلول اللغوى للقرآن مثل من يذهب إلى تأويل إحياء الموتى المنسوب لعيسى بالإحياء الروحى، وحمل النمل فى قصة سليمان على أنه قبيلة ضعيفة، وتأويل الكواكب فى قصة إبراهيم بأنها جواهر نورانية نورها عقلى لا حسى، وما نقله البيضاوى عن بعض الصوفية فى معنى المائدة التى أنزلها الله حيث يقول:

«وعن بعض الصوفية: المائدة هى هنا عبارة عن حقائق المعارف فإنها غذاء الروح كما أن الأطعمة غذاء البدن، وعلى هذا فلعل الحال، أنهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى. إن كنتم حصلتم الإيمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها..».

ويرى الشيخ شلتوت أن هذا المنهج هو من طريقة التأويل التى أسسها الباطنية.

ثم يعرض الشيخ شلتوت لمنهج التمثيل فى فهم القصص القرآنى إذ هو صرف للألفاظ عن معانيها الحقيقية إلى تخييل ما ليس بواقع واقعا، فلا يلزم فيه الصدق ولا أن يكون إخبارا بما حصل، وإنما هو ضرب من القول شبيه بما يوضع من حكايات بين أشخاص مفروضين أو على ألسنة الطيور والحيوان للإيحاء فقط بمغزى الحكاية من الإرشاد إلى فضيلة والحث عليها، أو التحذير من رذيلة والتنفير منها، ويستشهد بتعليق لابن تيمية عن التخييل وخطئه، وللغزالى عن التأويل.

ثم يعرض الشيخ شلتوت لمنهج ثالث هو منهج المسرفين فى قبول الروايات، وهو منهج جمهور المفسرين القائم على الإفراط فى تحكيم الروايات الواردة من طرق مختلفة فى فهم القصة القرآنية، واعتبار كل ما ورد متصلا بالقصة بيانا

وتفصيلا لما جاء بالقرآن، ويستشهد لذلك بعرض أبى السعود لوصف المائدة وما عليها من صنوف، ويرى فى النهاية أن هذه المناهج بين إفراط وتفريط فى شأن القصص القرآنى لذا يقترح منهجا رابعا هو: «الوقوف عند ما ورد فى القرآن الكريم مع الاحتفاظ بدلالة الألفاظ اللغوية على معانيها وإفادتها لواقع هى تعبير صحيح عنه دون تزيد عليه بما لم يرد فيه اعتماداً على روايات لا سنن لها ودون تحريف لمعانيها، ودون صرف للألفاظ عن معانيها الوضعية إلى معان أخرى، من غير صارف يمنع إجراء الكلام على ظاهره، كما فعل أهل التأويل، الذين حرفوا كثيرا من القرآن عن مواضعه، وتنكبوا قانون العربية التى نزل بها».

٦ ـ تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت ٢:

نتابع فى هذه الحلقة بعض القضايا المهمة التى أثارها الشيخ محمود شلتوت فى كتابه هذا. من ذلك حديثه عن سورة المائدة، وعن المائدة ونزولها أو عدم نزولها، فقد استدل بعض الكاتبين على عدم نزولها بأن النصارى لا يعرفونها، وليس لها ذكر فى كتبهم، ولم يكن لهم عيد يعرف بعيد المائدة، وبأن نزولها مائدةً من السماء خارق عظيم للعادة من شأنه أن تتوافر الروايات على نقله وتواتره لقرابته، فلو كانت المائدة قد نزلت لكان خبرُها موجودا فى كتبهم وكان متواتراً مع أنها لم توجد حتى ولا برواية الآحاد، ويقول الشيخ شلتوت بعد هذا العرض.

«ولنا أن نقول إن هذا الاستدلال إن كان يعنى عدم نزولها فقط، فهو يكون له شىء من الوجاهة وإن كان يعنى أنها لم تنزل ولم تُسأل، فهو محل نظر كبير، لأن السؤال ما لم ينته بإجابة كونية فعلية تبرز بها المائدة للناس، ويرونها بأعينهم، ويلمسونها بأيديهم، فلا يعد بذلك كما تتوافر الدواعى على نقله، لا سيما وعيسى فى بيئة محصورة؛ جماعة سألوا وأجيبوا، وانتهى الأمر برجوعهم كما سألوا، فعدم تواتر سؤالها فى كتب النصارى أو عدم وجوده فيها لا يستغرب كما يستغرب الأمر فيما لو نزلت المائدة فعلا ورآها الناس فعلاً، وأكلوا منها وتذوقوا طعمها، ولم يذكر عن ذلك شىء».

ثم يقول: «وقد ذكر القرآن هذه الحقيقة وانفرد بها عن سائر الكتب. ولا يلزم أن

يكون كل ما قصه الله تعالى فى القرآن قد قصه فى غيره من الكتب المتقدمة، ولا أن أصحاب الأناجيل علموا بكل شيء حتى بمثل هذه المحاورة الخاصة التى لم تنته بحادث كونى حتى يكون عدم ذكرهم إياها فى أناجيلهم - التى وضعوها - دليلا على عدم سؤالها. فقصة السؤال إذن لم ترد فيما عند النصارى. ولكنها وردت فيما عند المسلمين، ومن الجائز أن تكون مما ورد فى الإنجيل وأن تكون مما أخفاه أهل الكتاب. أو ضاع منهم علمه بسبب ما، والقرآن كما وصف نفسه مهيمن على كتبهم التى وصفها بأنهم حرفوها وأنهم كانوا يخفون كثيرا منها وأنه يبين لهم كثيرا مما كانوا يخفون».

ثم يورد رأيا للشيخ محمد عبده فيما يختص بنسبة القصص القرآنى عامة إلى كتب العهد القديم، قال رحمه الله:

«وإذا ورد فى كتب أصل الملل أو المؤرخين ما يخالف بعض هذه القصص فعلينا أن نجزم بأن ما أوحاه الله إلى نبيه ونقل إلينا بالتواتر هو الحق، وخبره الصادق، وما خالفه هو الباطل، وناقله مخطئ أو كاذب فلا نعده شبهة على القرآن، ولا نكلف أنفسنا الجواب عنه، فإن حال التاريخ قبل الاسلام كانت مشتبهة. الأعلام، حالكة الظلام، فلا رواية يوثق بها فى معرفة رجال سندها، وقد انتقل العالم بعد نزول القرآن من حال إلى حال، فكان بداية تاريخ جديد للبشر، كان يجب عليهم لو أنصفوا أن يؤرخوا به أجمعين».

ثم يعرض بالتفنيد لأولئك الذين قالوا: إن مثل هذا القصص لا يلزم أن يكون صادقا يحكى واقعا صحيحا، وإنما يجدر أن يكون القرآن جاريا فيه معلومات عامة اشتهرت على تعاقب العصور من غير أن يكون لها أصل كونى، وأن القرآن حدث القوم بما يتناقلون من معارف مأثورة، وإن لم يكن لها واقع صحيح، قالوا:

ومن الجائز أن يكون القرآن هو الذى وضعها ابتداءً بقصد التخييل لغرض صحيح، وهو التأثير على القوم فى سبيل اعتناق الحق الذى يدعون إليه، وعليه يكون سؤال الحواريين افتراضيًا أو تخييلا، وكل ما تضمنته هذه الآيات من نسب هى حكايات عن مفروض متخيل لا واقع له تنطبق عليهم وإنما هى تخيل فى تخيل واختراع فى اختراع ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**﴾.

وهو يرد على هذا الرأى بأن ذلك يفسد القرآن، ويزلزل قضاياه، وأن هذا الرأى فاسد لأن قانون اللغة العربية يقضى بحمل الكلام على ظاهره وما تدل عليه ألفاظ من المعانى المعروفة لها عند المخاطبين.

ثم ينتقل الشيخ شلتوت فى كتابه إلى قضايا عديدة، مثل موضوع السور المكية - أى قبل الهجرة - حيث أصول الدعوة، وهى قضايا التوحيد والوحى والبعث، والإرشاد إلى أمهات الأخلاق الفاضلة، ومناقشة حجج المشركين.

أما موضوع السور المدنية فقد عنيت بآراء المخالفين ومجادلتهم حيث مجادلة أهل الكتاب فى المدينة وما أثاروه من شكوك، وفيما يختص بالمؤمنين ومناقشة شئونهم الداخلية والخارجية حيث سور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما شاركها فى النزول بعد الهجرة، لذا سميت سورة الأنفال (سورة بدر).

وعن الحكمة فى مخالفة الترتيب الواقعى للحوادث فإن من سنة القرآن فى ذكر القصص والوقائع أنه لا يعرض لها مرتبةً حسب وقوعها، وذلك لأنه لا يذكرها على أنها تاريخ معين لها الوقت والمكان، وإنما يذكرها لما فيها من العبر والعظات وما تتطلبه من الأحكام والحكمة مثل: قصة البقرة التى أمر فيها موسى بالذبح؛ فقد قدم الأمر بالذبح على بيان السبب لبيان أنهم معاندون.

ولهذا يقول:

«ويجب أن ننظر إلى قصص القرآن فى جميع موارده هذه النظرة فلا يعاب على القرآن إهمال الأماكن والأشخاص فيما يقص، ولا إهمال الترتيب بين الحوادث فإن هذا وذاك من شأن المؤرخ الذى يعنى بالقصص كتاريخ لا كعظات وعبر، أما القرآن فليس كتاب تاريخ وإنما هو كتاب هداية وإرشاد يذكر تارة القصة ويشير إلى بعض وقائعها فى موضع، ويشير إلى البعض الآخر فى موضع آخر ويستقصى مرة، ويقتصر أخرى، وهكذا يعرض القصص ويعرض القصة الواحدة فى أماكن متعددة وفى سور مختلفة باعتبار المناسبات والعبر التى يدعو إليها المقام الذى يتحدث فيه، ومن هنا نرى أن القصة الواحدة قد تذكر على وجوه مختلفة فى أماكن متعددة مختلفة بين الطول والقصر والإجمال والتفصيل والاقتصار والإكمال».

ويعرض لورود كلمة (يسألونك) فى سورة الأنفال، وإلى تتبع مادة السؤال فى

آيات كثيرة، أو (يستفتونك)، وأحيانًا يصرح القرآن بالمسئول عنه كذى القرنين، أو لا يصرح به، لكن المقام أو الجواب يرشد إليه، وأكثر ذلك فى الأحكام والمسائل الفرعية.

ثم فرق بين السؤال والاستفتاء، فالاستفتاء طلب المعرفة عما أشكل، أما السؤال فهو طلب معرفة المجهول ليعرف، أو ما وقع فيه الشك والترك.

ثم يتأمل تضمن الجواب لكلمه: قل أو عدم تضمنه، وتصدير الجواب بالفاء، والحكمة فى وجود العاطف.

وهكذا تتعدد موضوعات هذا الكتاب القيم وهو بصدد تفسير الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم.

٧ ـ القرآن فى شهر القرآن:

هذا الكتاب للشيخ الدكتور عبد الحليم محمود، وهو كتاب يبدأ من حقيقة مهمة هى أن الحديث فى القرآن الكريم لا ينتهى، إنه لا يحدُّه فكر بشرى ولا يقيده تصور إنسانى، ولقد كان من الحكمة العميقة أن رسول الله ـ ﷺ ـ لم يأخذ فى تفسيره كلمة كلمة وآية آية وإنما فسر كلمة من هنا وآية من هناك، ولم يقل صلوات الله وسلامه عليه إن تفسيره هو نفسه ـ رسول الله ـ يحد المعنى ويحدده ويقيده، وفسره رسول الله ـ ﷺ ـ بسلوكه أكثر مما فسر بقوله المباشر فى معناه، لقد كان خلقه ـ ﷺ ـ القرآن، فكان خلقه تفسيرًا للقرآن. ومن هنا كان شرحه الدائم له بأحاديثه الكثيرة بطريق غير مباشر أكثر مما فسره بطريق مباشر.

يقول الإمام الشيخ عبد الحليم محمود:

«لقد كانوا يعملون بالقرآن، ويتخذونه إمامًا وقائدا، إنهم لم يتخذوه دراسة نظرية وإنما اتخذوه هواية عملية حتى إن بعضهم ما كان يجاوز فى الحفظ السورة إلى غيرها إلا إذا حقق ما فيها من أوامر وانتهى عما فيها من نواه، لقد اتخذوه دستورهم فى الحياة وأقاموه إمامهم فى حياتهم، لقد طبقوا قواعده والتزموا بمبادئه: من جهاد، وضرب فى الحياة، وصدق فى القول، وإحسان فى العمل، وعبودية أسمى

وأقوى وأخشع ما تكون العبودية لله سبحانه وحده، وحققوا بذلك الأمة التى أحبها الله رسوله، ولقد ربى القرآن على مر العصور رجالاً اتخذوه إمامًا وهاديا فكانوا مثلاً عاليًا فى الإنسانية لايدانيهم غيرهم من سائر الدول، ولا يزال القرآن للآن هو القرآن الذى وحد قبائل وجمع أشتاتًا، وألف بين قلوب، وكون أمة، وأرسى قواعد حضارة نعتز بها؛ لأنها حضارة بنيت على التقوى من أول يوم».

لقد قسم المؤلف كتابه إلى فصول متتابعة، كل فصل يسلم للفصل الذى يليه، وقد دارت الفصول كلها حول قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾، وفيها يقف على المنهج القرآنى لحياة المسلم، وعن الليلة المباركة، وعن العلم فى الإسلام، شارحًا الآية الكريمة ومضمونها ومبينًا دلالاتها.

ثم ينتقل إلى بيان توجيهات الآية بالنسبة للغزو الفكرى والثقافات الأجنبية، وكيف كانت هذه الآية الكريمة بداية الوحى، وأول ما نزل من القرآن، ويبين صفات تتضمنها الآيات الكريمة من: التوحيد، والشجاعة الأدبية، والتسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة، ثم ينتقل إلى الدعاء، مبينًا أهمية الدعاء فى شهر رمضان، ويذكر جانبا من الدعاء فى القرآن الكريم وفضل الدعاء، واستجابة الدعاء، وأوقات الدعاء وأماكنه، ومن جوامع الدعاء. وينتقل بعد ذلك إلى أسس العقيدة الإسلامية، وإثبات الرسالة، ومعارضة العرب، ويبين معنى الوحدانية، والعلم، ومظاهر صفاته، والبعث، ومشاهد عن القيامة، ثم بيان طريق النصر وكيف يرسمه القرآن الكريم.

وينهى كتابه بخاتمة تتضمن قوانين ثابتة من القرآن الكريم يقول فى مطلعها:

«لقد تحدث القرآن عن القوانين التى إذا رعاها الإنسان باعتباره فردا، وعمل على تحقيقها فى جانب الخير، وعلى اجتنابها إذا كانت تعبر عن مجال اجتناب الشر، فإنه يسعد لا محالة، ولقد ضمن الله سبحانه ذلك.

وذكر الله سبحانه فى القرآن الكريم القوانين للمجتمع، حتى إذا اتبعها كان مجتمعا صالحًا، عزيزاً بعزة الله، منصورا بنصر الله، وهى قوانين تتنوع بين:

قوانين الخلافة على الأرض وقوانين سعة الرزق - وقوانين التيسير - وقوانين التعسير - وقوانين الفرج - وقوانين شاملة لمناحى الحياة.

وهكذا تتعدد موضوعات الكتاب وقضاياه حول القرآن الكريم.

٨ ـ **دراسات تاريخية من القرآن الكريم للدكتور محمد بيومى مهران:**

طبع هذا الكتاب على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود.

القرآن الكريم كتاب الله الذى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢).

وهو من هنا لا يقبل شكًا ولا جدلاً فيه أو حوله، كما أن من المقطوع به صحته ودقته، وقد حقق الله سبحانه له الخلود دون تحريف أو تبديل قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩).

ولم يصب القرآن الكريم ما أصاب الكتب الأخرى السابقة من التحريف والتبديل، وانقطاع السند، ذلك أنه جاء مصدقا لما بين يديه من الكتب، ومهيمنًا عليها، وكان جامعًا لما فيها من الحقائق الثابتة بزيادة أرادها الله تعالى مصداقًا لكون الرسول محمد ـ ﷺ ـ خاتم الأنبياء والمرسلين، وكون القرآن الكريم آخر الكتب السماوية.

وقد التفت مؤلف الكتاب الدكتور محمد بيومى مهران، إلى حقيقة مهمة، هى أن ميدان الدراسة فى التاريخ القديم قد حرم من هذا المنهل الغزير، ويعلل لذلك بقوله: «ربما لأن هذا الميدان إنما قد ظل إلى عهد قريب يكاد يكون مقصوراً على المستشرقين، وتلاميذهم من العرب غير المسلمين، وأن هؤلاء وأولئك لم يتطرقوا فى دراساتهم إلى الأحداث التاريخية التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم، ربما لأن هذه الدراسة بعيدة عن أغراضهم، أو لأن مجال البحث فيها قد لا يستهويهم لسبب أو لآخر، أو لأن العرب منهم إنما كانوا يحسون بحرج إن تناولوا أحداث القرآن التاريخية بالبحث والدراسة.

وأياما كان السبب فإن ميدان البحث فى التاريخ القديم إنما قد خسر بذلك أصح مصادره، وأصدقها على وجه الإطلاق، هذا فضلا عن أن الموقف إنما بقى كما هو، حتى بعد أن دخل نفر من المسلمين ميدان التخصص فى التاريخ القديم، وحتى بعد أن حاولت قلة نادرة فيهم ـ ربما لا يتجاوز عددها الواحد أو الاثنين ـ أن تعتمد فى كتاباتها على ما جاء من محكم التنزيل، فقد ظل المتخصصون فى تاريخ الشرق

الأدنى القديم، يعتمدون على المصادر التقليدية لدراسة هذا النوع من فروع الدراسات التاريخية، ولم يكن القرآن الكريم منها، على أى حال.

ومن عجب فإن المؤرخين المحدثين ـ الأوربيين منهم والشرقيين، المسلمين وغير المسلمين ـ إنما ينظرون إلى التوراة، وكأنها المصدر الأساسى لدراسة فترات معينة من تاريخ الشرق الأدنى القديم، برغم أنهم يجمعون ـ أو يكادون ـ على أنها غير موثوقة السند، وبرغم أن هناك مئات من الأبحاث التى كتبها المؤمنون بالتوراة ـ فضلا عن غير المغرمين بها ـ وهى جميعا إنما تثير جدلا طويلا حول وقاحة نصها، بل حول نسبة هذا النص لهذا الشخص أو ذاك، ذلك أن العنصر البشرى كان له دخل فى ذلك كله.

وبرغم ذلك كله، لم يفكر واحد من هؤلاء المؤرخين فى أن يرجع إلى القرآن الكريم، ذلك الكتاب السماوى العظيم، الذى تجمع آراء العلماء فى العالم كله على وثاقة نصه، أو كما يقول: سير وليم مويرى، وهو من أشد المتعصبين ضد الإسلام ـ:

يقول: (إن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن الكريم ظل أربعة عشر قرنا كاملا بنص هذا مبلغ صفائه).

هذا كلام مستشرق معروف بعدائه للإسلام، ولقد كرر رأيه كثيراً، ومضى فى المضمار نفسه، مضمار تأكيد وثاقة القرآن الكريم كثير من المستشرقين، ويمضى المؤلف: «مؤكدا أن القرآن الكريم ـ مع هذا ـ ليس كتاب تاريخ، يتحدث عن أخبار الأمم، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد للتى هى أقوم وأن قصص القرآن حق صراح».

وهكذا قدم المؤلف كتابه هذا فى خمسة أجزاء يتناول الجزء الأول بلاد العرب، والثانى: العراق، والثالث: مصر، والرابع: سورية (فلسطين)، والخامس: فى السيرة النبوية الشريفة.

فى الجزء الأول يتعرض للأحداث التى أشار إليها القرآن الكريم والتى كانت أرض العروبة وموطنها الأول مسرحًا لها، ومن ثم نراه يتحدث عن إبراهيم الخليل وعن الكعبة المشرفة، ثم عن العاديين: قوم هود، والثموديين: قوم صالح،

والمدينيين: قوم شعيب. فضلاً عن أحداث أخرى كان لها دور كبير فى تاريخ العرب قبل الإسلام كسيل العرم، وقصة أصحاب الأخدود، وأخيرا غزوة الفيل، والتى كانت واحدة من إرهاصات كثيرة، سبقت مطلع النور من مكة المكرمة حيث ولد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ورسول رب العالمين محمد رسول الله - ﷺ -.

إن مؤلف الكتاب متخصص فى التاريخ القديم، وملم بالثقافة الإسلامية حق الإلمام، وقد مهد الكاتب للكتابة بدراسة فى القرآن الكريم والحديث الشريف وعلم التفسير، لأن القرآن الكريم هو المصدر الأساسى الأول ثم الحديث النبوى الشريف.

ثم استعان بمصادر أخرى عديدة أساسية، أو مساعدة وثانوية أضاءت جوانب بحثه، وأمدته بمعلومات زاخرة وفيرة.

وهو يتناول قصة إبراهيم الخليل - عليه السلام - جد العرب، يتناول مولده وموطنه، وهجرته، ورحلته للحجاز، وقصة الذبيح، والكعبة المشرفة: البناء ودور إبراهيم الخليل، وقصص قوم عاد وثمود، وشعيب، وقصة سيل العرم، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الفيل، وغيرها من القصص والأحداث التى شهدتها الجزيرة العربية قديما.

وقد رجع المؤلف إلى مصادر ومراجع عديدة على رأسها القرآن الكريم، ثم كتب الحديث، وكتب التفسير المختلفة القديمة والحديثة ومراجع كثيرة عديدة.

والكتاب بذلك محاولة جديدة جديرة بالاهتمام لأنه يفتح المجال لبحوث أخرى عديدة تتخذ القرآن الكريم مصدراً لتاريخ حياة العرب فى جاهليتهم من جميع جوانبها: الروحية، والاجتماعية، والدينية، والاقتصادية وغير ذلك من المجالات لأن القرآن الكريم مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكل ما فيه حق فهو سجل حركة المجتمع البشرى فى الجزيرة العربية وما حولها، وهو مصدر العقيدة والمبادئ وهو بذلك مدخل دقيق لنفسية الإنسان وحضارته لا يمكن أن يتغافل عنه من يهتم بتاريخ الإنسان الروحى والاجتماعى، والعقدى. بل إن ذلك ليتسع ليشمل جوانب عديدة فى حياة الإنسان، فى سلمه وحربه، ونعيمه وشقائه.

وبذلك يكون القرآن الكريم سجلاً حافلاً (لتاريخ) الإنسان فى رحلته مع الإيمان

والتوحيد، مع الخير والشر، مع المثل النبيلة، وأنه من عند الله سبحانه وتعالى، وليس من عند بشر، ويكفى أنه أخبر عن أحاديث قرون وأمم أحاديث لم ترد فى كتاب من قبله باستخدام لغة تلك القرون والأمم منذ أقدم عصور البشرية.

٩ ـ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم:

إن العمل فى مجال المعاجم اللغوية شاق ليس باليسير، وذلك أنها تحتاج إلى قدرات لغوية، وتمرس لغوى، لأن المشتغل بهذا المجال لا يقف أمام موضوع واحد بل يبحث فى مفردات متفرقة متنوعة.

والعمل المعجمى قد يقتصر على الحصر والإحصاء، وهو جهد لا بأس به، يستحق التقدير، أما إذا أضيف إلى هذا الإحصاء شرح وتفسير، فإن المهمة تزداد أهمية وخطورة، لاسيما والقرآن الكريم يتميز بثروته اللغوية المتعددة، وبإعجازه البلاغى الذى أعجز العرب أجمعين، وكانت له المعجزة على مدى الدهر.

وهكذا تبدو أهمية هذا المعجم الذى يأتى بعد أن حفلت المكتبة المعجمية حول القرآن الكريم بمحاولات عديدة جديرة بالاحترام والاهتمام، فقد اتجهت عناية المسلمين، وغيرهم من المستشرقين إلى دراسة مفردات القرآن الكريم وشرحها، ووضع المعاجم والفهارس لألفاظ الغريب منها، وغير الغريب، وترتيبها ترتيبًا يسهل الاهتمام بها، منهم من رتبها حسب كل سورة على حدة، ومنهم من رتب الألفاظ ترتيبًا هجائيا. نذكر من هذه الأعمال على سبيل المثال:

١ ـ نجوم الفرقان فى أطراف القرآن لمؤلفه المستشرق الألمانى فلوجل.

٢ ـ فتح الرحمن لمؤلفه على زادة فيض الله الحسينى المقدسى.

٣ ـ مفتاح كنوز الرحمن لكاظم بك.

٤ ـ كتاب ترتيب زيبا محافظ محمود الوردارى.

٥ ـ معجم غريب القرآن للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى.

٦ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى.

٧ - معجم ألفاظ القرآن من وضع لجنة المجمع اللغوى بالقاهرة.

وكان المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أوفاها وأشملها.

وها نحن الآن مع عمل آخر فى سلسلة المكتبة القرآنية، وفى مجال المعجم القرآنى، وهو معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمؤلفه محمد إسماعيل إبراهيم وقد أقامه مؤلفه على أسس هى:

١ - سرد جميع ما جاء فى القرآن الكريم من مواد الألفاظ مرتبةً بحسب حروف الهجاء وكما وردت أصولها فى المعاجم اللغوية المتداولة.

٢ - ذكر مادة كل لفظ وعدد مرات وروده بالقرآن الكريم على اختلاف صيغه ومعانيه فى الآيات الكريمة.

٣ - تفسير كل مادة وألفاظها المشتقة منها بما يطابق معناها اللغوى أولاً ثم بما يوافق وجوه استعمالها فى السياق القرآنى كلما أمكن ذلك.

٤ - الإشارة إلى بعض الأساليب البيانية والمعانى الخاصة.

٥ - شرح التعبيرات القرآنية ذات المدلول الخاص مثل:

أرأيت بمعنى ألم تعلم، ولا أقسم بمعنى أقسم.

٦ - إيضاح مدلول الألفاظ التى استخدمها القرآن بمعانٍ جديدةٍ لم تكن مألوفة ولا معروفةً قبل الإسلام مثل كلمات:

النفاق - الشرك - الصور - الأعراف.

٧ - إيراد تراجم مبسطة وتعاريف موجزة لجميع الأعلام التى جاءت فى سياق القرآن، كما جاء الخبر عنها فى كتب التفسير المعتمدة بخاصة والمراجع الدينية بعامة.

والباحث فى هذا المعجم عليه أن يصل إلى مادة اللفظ ثم يجدها فى سياقها ليعرف معناها وعدد مرات ورودها، ثم يجد المعانى الموافقة لمقاصد الألفاظ فى الآيات، ثم يجد نصوص الآيات التى جاءت فيها الألفاظ على اختلاف صورها وصيغها، وإلى جوار كل نص منها اسم السورة التى جاء فيها اللفظ ورقم آيته.

وكثير من المواد يصعب معرفة أصل مادتها اللغوية مثل :

الله : مشتقة من أله ، واستبرق مشتقة من برق ، وماء مشتقة من موه ، والدنيا مشتقة من دنا ، وتارة مشتقة من تور ، وآية مشتقة من آيا . . . إلخ .

وهو يذكر النصوص كاملة فى حدود العشرين أو أكثر ، فإذا زادت أشار إلى مكان الآيات فى السور نظرًا لكثرة الشواهد .

ويمكن الوصول للكلمة فى أكثر من مكان ، فمثلا كلمة ذرة يمكن الوصول إليها فى مادة ظلم ، أو ثقل ، أو ذرر .

لقد مضى هذا العمل مع سور القرآن الكريم وآياته فى المصحف الشريف ليشمل ثلاثين جزءًا هى أجزاؤه بأحزابه الستين ، وأرباعه وعددها مائتان وأربعون ربعا ، وليشمل ستةً وثلاثين ومائتين وستة آلاف آية ، وليشمل أربع عشرة ومائة سورة منها ثلاث وعشرون مدنية وإحدى وتسعون سورة مكية .

ونقف أمام نماذج من مواد هذا المعجم :

مادة رأس: «رأس كل شيء أعلاه وقمته ، والرأس ما فوق رقبة الإنسان والجمع أرؤس ورءوس ورأس المال : أصل المال ، وجمعه رءوس أيضا ، ورأس القوم صار رئيسهم ، وقوله تعالى : ﴿**طلعها كأنه رءوس الشياطين**﴾ ، أى ثمرها قبيح كأنه رءوس الشياطين فى قبح منظرها .

مادة رأى: رأى رؤيةً : نظر بالعين ورأى رأيا : اعتقد بالعقل ، ورأى رأى العين : نظر بحاسة البصر ، وأراه الشيء : جعله ينظر إليه ، وتراءى الناس : نظر بعضهم إلى بعض ، والرؤيا ما تراه فى المنام . وقد يطلق لفظ الرؤيا على الإبصار بالعين قال الشاعر :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده ... وبشر قلبًا كان جمًا بلابله

﴿**ورأى برهان ربه**﴾ أشرقت نفسه بنور الله ، و﴿**ما أريكم إلا ما أرى**﴾ ما أشير بغير ما أشرت ، **يراءون الناس** : يتظاهرون بماليس فيهم ، **ألم تر** : ألم تعلم ، وهى حث على النظر والاختبار ، **أحسن رئيًا**: أجمل منظرًا ، **وأرنى أنظر إليك**: مكنى من

رؤيتك . راءى الناس . مراءاة ورئاءو رياء : تظاهر بينهم بالخير والصلاح على خلاف ما هو عليه ليخدعهم ، **أرأيت:** أأبصرت ، ويراد بها الشبيه ، **أفرأيتم:** أى أخبرونى - أرأيتك ، أخبرنى ، **أرأيتكم:** أخبرونى .

مادة : **رب:** رب الوالد ولده : رعاه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه ، ورب النعمة : زادها ، ورب الشيء : جمعه وملكه ، ورب الأمر : أصلحه ، والرب : المالك والسيد والمصلح ، والمنعم ، والمربى ، والجمع أرباب ، والرب من أسماء الله تعالى ، والنسبة إليه ربانى ، والربانى : العالم الراسخ فى علوم الدين ، والعامل به ، والجمع ربانيون ، **الربيون:** الجماعات الكثيرة ، وأصله من الربة وهى الجماعة ، **والربائب:** جمع ربيبة وهى بنت امرأة الرجل من غيره ، تعيش فى حجرة ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة ، لأنها مربوبة ، **ورب الناس:** مربيهم ومصلحهم ، ورب حرف ، يستعمل فى التقليل وفى الكثير ، وقد تزداد بعدها (ما) .

ونمضى مع هذا المعجم فنجد فيه الثراء اللغوى ، والتفسير ، كما نجد الضبط اللغوى ، وهو بذلك لا يقتصر على العمل المعجمى اللغوى فحسب . بل يضم إليه خدمة أخرى للمعنى وللتفسير ، وبذلك يتقدم هذا المعجم عن كثير من المعاجم السابقة فى كثير من الأمور ، وإذ لم يقتصر - مثل معظمها - على حصر الكلمات والألفاظ والأعلام فحسب . بل تعدى ذلك إلى شرح المعنى وإيراد وجوهه المتعددة .

١٠ - (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) وضعه محمد فؤاد عبد الباقى:

حفلت المكتبة العربية بالعديد من المعاجم التى تهتم بجوانب متعددة فى اللغة كمعاجم الألفاظ ، ومعاجم المعانى ، ومعاجم الأمثال ، ومعاجم المصطلحات . . إلخ .

أما فى مجال المكتبة القرآنية فقد تعددت جهود أصحاب المعاجم فى هذا المجال ، من ذلك على سبيل المثال :

رسالة الكلمات غير العربية فى القرآن الكريم لحمزة فتح الله وصدر سنة ١٩٥٢ وقد جمعه من كتاب (المعرب) للجواليقى، والمهذب، والإتقان للسيوطى، كذلك نجد فى هذا المجال كتاب: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل وصدر سنة ١٩٦٩، وكتاب المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته لمحمد فارس بركات وصدر سنة ١٩٥٧، ودليل الحيران فى الكشف عن آى القرآن للحاج صالح ناظم.

أما الكتاب الذى بين أيدينا اليوم فهو كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبد الباقى.

وهو كتاب لا غنى عنه لأى مهتم بالقرآن الكريم، وهو من أهم ما يفيد دارس القرآن وقارئه على حد سواء، ويذكر مؤلفه أنه انتهى من تأليفه فى جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨هـ، أغسطس ١٩٣٨ ويذكر فى مقدمته أنه اعتمد كتاب المستشرق فلوجل الألمانى المسمى (نجوم الفرقان فى أطراف القرآن) الذى طبع أول مرة سنة ١٨٤٢م وقد جعله أساسًا لمعجمه هذا، لكنه حين راجع عمل فلوجل هذا مادة مادة على معاجم اللغة، وتفاسير الأئمة اللغويين، وناقش مواده لم يقتنع بما صنع، واستشار طائفة من المختصين، ثم فزع إلى المعاجم والتفاسير يستوضحها ويسترشدها ويهتدى بها.

وقد لاحظ خطأ فلوجل فى بعض مواد المعجم، وذكر هذه الأخطاء فى مقدمة كتابه هذا.

وقد رمز الكاتب إلى الآية المكية بحرف (ك)، وأما الآية المدنية فقد رمز لها بحرف (م)، ولكى يضمن عدم وقوعه فى الخطأ جعل يضع فى مصحفه خطًا تحت كل كلمة يذكرها حتى إذا انتهى الكتاب رجع إلى مصحفه وتصفحه لفظة لفظة فاطمأن، إلى أنه لم ينس شيئا من كلمات القرآن الكريم.

وقد رتب معجمه على حروف المعجم حسب ترتيب الحروف الهجائية بادئا بحرف الهمزة: حيث الهمزة مع الباء ثم ما يليهما من حرف ثالث بدءًا بالهمزة أيضا حتى ينتهى ما يبدأ بالهمزة وهنا ينتهى باب الهمزة، ومثال ذلك أن يبدأ بكلمة:

أبًا، ثم أبدا، ثم إبرهم، ثم أبق حتى يصل إلى نهاية باب الهمزة حيث الألفاظ:

أيها - أيهم - إياك - إياكم - إيانا - إياه - إياهم - إياى .

فيبدأ فى باب الباء على النسق نفسه أى بما أوله باء فألف ثم بما أوله باء وتاء . . إلخ ، حتى يصل إلى نهاية باب الباء حيث نجد كلمات : بينهما - بينهن - بينى .

عندئذ ينتقل إلى باب التاء ، فالثاء ، فالجيم ، فالحاء ، فالخاء ، فالدال ، فالذال ، فالراء ، فالزاى ، فالسين ، فالشين حتى يصل إلى حرف الياء ، وهو آخر أبواب المعجم حيث كلمات : يئس ومشتقاتها ، حتى آخر كلمة فى المعجم وهى كلمة اليوم .

ويقدّم لكتابه هذا بمقدمة عرضنا بعض محتوياتها منذ قليل ، وفيها يقول أيضا : «أما بعد ، فهذا كتاب العالم الإسلامى وكتاب العالم العربى ، يحرص عليه المسلم لأنه كتاب دينه ، ويحرص عليه العربى لأنه كتاب لغته ، هو كتاب القرآن الكريم مرتبة مواد ألفاظه حسب ترتيب حروف الهجاء» .

ثم يقول : «والله ما أقدمت على وضعه وإرهاق نفسى وإضناء جسمى ، وإنهاك قواى فى عمله ، . . . إلا ما أيقنت من شدة الحاجة إليه ، وفقدان ما يسدّ مسدّه مما ألف فى بابه» .

والحق أن هذا الكتاب قد سدّ فراغا فى المكتبة العربية والمكتبة القرآنية ، وساعد قرّاء القرآن الكريم ، وحفظته ، ومفسريه ، ودارسيه فى الاهتداء إلى موقع الكلمة فى القرآن الكريم ومعرفة مكان ورودها ، ومواضع ذكرها ، ليهتدى إلى ضبطها ، وتفسير ورودها المتنوع فى القرآن الكريم .

ومن هذا المعجم نستطيع أن نعرف مرات ورود الكلمة فى القرآن الكريم وعدد ورودها ، فى سورها وآياتها ، وهو بذلك يوفر الوقت والجهد لكل مطّلع وقارئ ، فقد تخون الذاكرة أو تضعف الحافظة ، وحينئذ يكون المعجم منقذا للإنسان وهاديا .

وقد طبع الكتاب أول أمره فى مكتبة دار الشعب بالقاهرة ، ثم طبع طبعات عديدة ، أحدثها ظهوره فى شكل أكثر تطورا ؛ إذ وردت المادة أو اللفظة باللون الأحمر تمييزا لها ومساعدة للعين فى الاهتداء إليها ، ثم أضيفت فائدة أخرى هى

طبع القرآن الكريم فى وسط الصفحة ليسهل الرجوع إليه متصلا بالمعجم لا منفصلا عنه، وبذلك يسهل على الباحث استخدام المعجم والإفادة منه.

وهكذا نجد أهمية كتاب «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبدالباقى الذى يسدّ فراغا فى المكتبة العربية والإسلامية. بل فى المكتبة القرآنية بما ييسره ويسهله من حصر الكلمات الواردة فى القرآن الكريم حصراً شاملا وافيًا، ومن بيان مكان ورودها فى القرآن ببيان اسم سورتها ورقم آيتها.. جزاه الله خير الجزاء.

١١ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم، وضعه بالفرنسية جول لابوم ويليه المستدرك وهو فهرس مواد القرآن الكريم الذى وضعه إدوار مونتيه، بترجمته الفرنسية للكتاب الكريم، نقلها إلى العربية محمد فؤاد عبدالباقى:

وقد قسّم كتابه هذا إلى ثمانية عشر بابا هى: التاريخ، ومحمد ـ ﷺ ـ، والتبليغ، وبنو إسرائيل، والتوراة، والنصارى، وما بعد الطبيعة، والتوحيد، والقرآن، والدين والعقائد، والعبادات، والشريعة، والنظام الاجتماعى، والعلوم والفنون، والتجارة، وعلم تهذيب الأخلاق، والنجاح، وقد جعل فى كل باب منها فروعا تبلغ عدة جميعها ثلاثمائة وخمسين فرعا، وتحت كل فرع جميع ما ورد فيه من آيات التنزيل مما لم يسبق جمعه وتنسيقه فى كتاب.

أما منهجه فإنه جعل للسورة رقما هو رقم وضعها وتسلسلها فى المصحف الشريف، وبذلك فإنه يضع العنوان كالتاريخ مثلا فيذكر أولا رقم السورة، ثم رقم الآية ثم يذكر ما يليها إذا اقتضى الأمر مما يندرج فى الموضوع الذى يذكره.

وقد بدأ الباب الأول بفصل التاريخ، وتحت فصل التاريخ أخذ يذكر ما يلى:

أبابيل: حيث قصة حرب الفيل بين أبرهة والعرب، ثم يذكر يأجوج ومأجوج، ثم يذكر ذا القرنين، ثم الروم، وبذلك تنتهى موضوعات باب التاريخ.

فينتقل إلى باب آخر هو الباب الثانى، وهو باب محمد ـ ﷺ ـ، وفصول هذا الباب هى: طبيعة رسالته، ثم تأييد رسالته، ثم فى شأن بعض مآثر وخصائص عنه

- ﷺ - ثم الهجرة، ثم قريش، ثم المدينة، ثم المهاجرون، وهو باب يطول نظراً لأهمية اتصاله بالرسول - ﷺ - ثم الباب الثالث وعنوانه التبليغ، وفصوله: الدعوة، ولسان التبليغ، والأنبياء والمرسلون، وأنبياء التوراة وقد فصلها فى فصل آخر هو اليهود، ثم يذكر فصلا عنوانه: أنبياء لم تذكر فى التوراة، ثم شعيب، ثم ذوالكفل، ثم إدريس، ثم هود، ثم صالح، ثم عاد، ثم الطوفان، ثم فرعون، ثم ثمود، ثم لقمان، ثم إسماعيل، ثم الاضطهاد بسبب العقيدة، ثم المسيح، ثم الكلمة، ثم الصم والبكم، ثم ينتقل إلى الباب الرابع وعنوانه بنو إسرائيل وفصوله تحت عنوان فرعى هو: كليات - وأخلاقهم، ثم يتأتى ذكر فصول هى: عموميات، وأخلاقهم.

حتى يصل إلى الباب الخامس وعنوانه التوراة، أنبياء وأناس، ثم تكون فصوله: كليات، قرون، قابيل وهابيل، إبراهيم، آدم، قارون، داود، إلياس، اليسع، إدريس، عُـزَيْر، إسرائيل، أيوب، يونس، يوسف، لوط، موسى، نوح، سليمان. ثم يكون الباب السادس وعنوانه: النصارى وفصوله: كليات، ثم يحيى، ثم مريم، ثم عيسى، ثم الإنجيل، ثم التثليث.

حتى يكون الباب السابع وعنوانه، وراء الطبيعة أو الإلهيات وفصوله: الروح أو النفس، والأفئدة، والفطرة أو الغريزة، والهوى، والضمير أو السريرة، والكسب والاختيار، والمسئولية الشخصية، والقضاء والقدر، وفضل الله.

ثم يكون الباب الثامن وعنوانه التوحيد، وفصوله: الله سبحانه، وجوده، والله سبحانه، وحدانيته، الله سبحانه: قدرته، الله سبحانه: اليوم الآخر، الله سبحانه: أوامره، الله سبحانه: حبه، ثم التوكل عليه، ثم خشيته، ثم ملائكته، ثم جبريل، ثم ميكال، ثم الشياطين، ثم إبليس، ثم السحر، ثم أذى السحر، ثم الجن، ثم الخلق، ثم العدم.

ويكون الباب التاسع وعنوانه: القرآن الكريم، ثم النسخ، ثم التعبير، ثم الشراح، ثم الأمثال، ثم أصحاب الكهف، ثم ليلة القدر.

ويكون الباب العاشر وعنوانه الدين، وفصوله: التقوى، والكتب المقدسة، والإيمان، وشعب الله، وأهل الكتاب، والإسلام، والمسلمون، والمؤمنون،

والمنافقون، والكافرون، والمكذبون، وعبادة الأوثان، والكافرون الملحدون، والمرتدون، والارتداء والنفاق، والظن، والشهداء، والمعجزات أو الآيات، والموت، والإذاعة، والدعوة إلى الدين، والتعصب، والتشدد، والتساهل، والجدال، والفرق أو الشيع، والاعتقادات الباطلة، والحيوان.

ثم يكون الباب الحادى عشر وعنوانه العقائد وفصوله : الوحى، والمعصية الأصلية، والقضاء والقدر، ويوم الحساب، وجهنم، والجنة، وخلود العذاب والثواب، والأعراف، والذنب، والفتنة، والجزاء، والتوبة، والاستغفار، والشفاعة. ثم يكون الباب الثانى عشر وعنوانه العبادات : وفصوله : صبغة الله، والصلاة، والزكاة والصدقات، والوضوء، والطعام والأغذية، والصيام، والسبت، والمساجد، ومكة، والكعبة، والحج، والإفاضة، والنحر، والمناسك، وحب الله، والقسيسون، والرهبان. ثم الباب الثالث عشر وعنوانه الشريعة، وفصوله : القصاص والعفو. ثم الباب الرابع عشر وعنوانه النظام الاجتماعى وفصوله : الرجل، الخصيان، النساء، النكاح والزواج، الطلاق، النشوز، الزنا، السرارى، العزوبة، الأولاد، المرضع، التبنى، اسم النسب، اليتامى، الوصاية، الحجر، ذو القربى، الرقيق، الموالى والإماء، الفرائض، الأسرة، العرب، الأمم، القبائل، التفضيل، الشورى، الشركة، السلطة الشعبية، الظلم، الجمعيات السرية، المؤامرات، النفى فى البلاد، الملك والتملك، الضرائب. . إلخ. ثم يكون الباب السابع عشر وعنوانه علم تهذيب الأخلاق بما فيه من خير وفلاح وسعادة، وزهد، واتخاذ الأولياء، والمودة، والتعاون، والإحسان، والرفعة، والصدقة والإحسان، والعفة، وحسن السلوك، والرحمة والوفاق، والإصلاح، والإحصان، والمداينة، والاستعفاف . . . إلخ.

ثم يكون الباب الثامن عشر، وهو الأخير، وعنوانه النجاح فى العمل، ونبذ الريب والشك . . إلخ.

وقد تلاه ما سمى المستدرك بما استدرك على المؤلف وعد تكملة لعمله، وبهذا يكون العملان هاديين لمن يبحث أمور القرآن الكريم أن يضع بين يديه وحدة موضوعية لآيات القرآن الكريم المبثوثة فى السورة الكريمة وآياته المتعددة، ويذكر

محمد عبد الباقى أن دروس الإمام الشيخ محمد عبده كان يلاحظ المجتمعون أنه إذا شرح آية فى كتاب الله يسرد الآيات التى تنتظم معها فى سلك واحد كلها أو جلها مالم يسبق لمفسر الإتيان به، فلما سئل أجاب باطلاعه على هذا العمل الذى نقدمه للمجتمع الكريم اليوم وهو تفصيل آيات القرآن الكريم.

وحسنا صنع المؤلف، وحسنًا صنع المترجم حين يسرا للقارئ المسلم هذا التصنيف الموضوعى لآيات القرآن الكريم الذى يعين فى تتبع الموضوع الواحد، والذى يعالج أمور ضعف الحافظة فى عمل يخدم القرآن الكريم خدمة كبرى، سواء أكان ذلك لطلاب العلم، ودارسيه، أم لأساتذته ومدرسيه، أم الخطباء، أم الكتاب، أم المحدثين.

١٢ ـ (مباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحى الصالح):

يقع الكتاب فى ٣٨١ صفحة، ويدور حول علوم القرآن الكريم، وقد ظهر فى طبعته الأولى سنة ١٩٥٨ متناولا قضايا علوم القرآن بشكل بسيط سهل موجز، ثم اتخذ الكتاب شكلاً من التوسع والاستقصاء فى الطبعة التالية.

وقد قسم الباحث كتابه أربعة أبواب تتسلسل تسلسلاً منطقيًا، وقد جعل الباب الأول بعنوان (القرآن والوحى) فى فصول ثلاثة، ففصل الحديث عن تفسير ظاهرة الوحى، لأنها تمهيد طبيعى بين يدى هذه الدراسة القرآنية، كما فصل الحديث عن وصف تنجيم القرآن الكريم وأسراره، خلال ثلاثة وعشرين عاما هى سنى الوحى.

ثم كان الباب الثانى، وعنوانه (تاريخ القرآن) وهو فى ثلاثة فصول أيضا يتناول فيها جمع القرآن وكتابته، ويرد على كثير من شبهات المستشرقين و«المستعجمين» وناقش قضية الأحرف السبعة، وما طرأ على المصاحف العثمانية من وجوه التجويد والتحسين، وقد أضاف تحقيقات رأى أنها جديدة فيما يتصل بالرسم القرآنى وتطوره، مما يهم دارس الخط العربى والمشتغلين به وبإصلاحه.

أما الباب الثالث فيتناول (علوم القرآن)، ولعله هو الباب الأساسى فى الكتاب، وقد وقع فى ثمانية فصول، ولا غرو، فقد استغرق أكثر من نصف الكتاب، وذلك

أن الكتاب سمى (مباحث فى علوم القرآن)، ولهذا دارت فصوله حول العلوم القرآنية، وقد تناول فيها قضية الناسخ والمنسوخ، أما فصول هذا الباب، حسب ترتيب ورودها فى الكتاب، فهى هكذا: الفصل الأول: لمحة تاريخية عن علوم القرآن، منذ جهود الصحابة - رضى الله عنهم - فعصر التابعين، فجهد السلف، ثم جهود المعاصرين أمثال: الرافعى، وسيد قطب، ومالك بن نبى، ومحمد رشيد رضا، والدكتور محمد عبد الله دراز، والشيخ الغزالى وأمثالهم.

ثم يكون الفصل الثانى عن علم أسباب النزول، مما يقتضى معرفة قصة الآية والأسباب التى اقتضت نزولها، وأثر ذلك فى حسن تفسيرها، وغير ذلك مما يتصل بمعرفة أسباب النزول وأهميتها.

ثم يكون الفصل الثالث، وعنوانه (علم المكى والمدنى) والرد على ما أثاره المستشرقون من شبهات، ثم التدرج على التنزيل القرآنى مرحلة مرحلة وبيان أهمية معرفة المكى والمدنى فى تتبع المراحل التى مرت بها الدعوة الإسلامية، ثم الإلمام بما نزل ليلا وما نزل نهارا، وما نزل فى شدة البرد وشدة الحر .. إلخ، ثم يقدم تحليلا لتسع سور اتفق المفسرون على أنها من المرحلة المكية الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة أو النهائية وطول سورها النسبى.

أما الفصل الرابع فيتناول لمحة خاطفة عن فواتح السور، بسرد فواتح هذه السور، والآراء فيها وحولها ومناقشتها والرد عليها، ومناقشة آراء المستشرقين والرد عليها.

أما الفصل الخامس فيتناول علم القراءات ولمحة عن القراء، وبيان عدد هذه القراءات، وضابط القراءات المقبولة، وكيف أن القرآن الكريم حكم على قواعد اللغة والنحو لا العكس.

أما الفصل السادس فيتناول علم الناسخ والمنسوخ بما يفيده من تاريخ الوحى، وحصر بعض علماء النسخ فى القرآن الكريم ومذاهبهم، وما قام به عالم مثل السيوطى فى مجال النسخ.

أما الفصل السابع فيتناول علم الرسم القرآنى، بما فى ذلك من إحاطة الرسم القرآنى بالتقديس، وأهمية التزام هذا الرسم، ثم ينتقل إلى الفصل الثامن وهو عن

علم المحكم والمتشابه، وذلك من خلال الآية السابعة من سورة آل عمران، وأن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله، متناولاً مذهب السلف ومذهب الخلف فى المتشابه، والحكمة فى ورود المتشابه فى القرآن الكريم.

ثم ينتقل إلى الباب الرابع وعنوانه (التفسير والإعجاز) وفيه أربعة فصول، الفصل الأول يتناول: التفسير: نشأته وتطوره، وكيف أن الرسول - ﷺ - هو أول شارح للقرآن الكريم، وأن أجدر الصحابة بلقب مفسر هو ابن عباس - ﵄ -، ثم يعرض للمفسرين من التابعين، ويبين التفسير بالمأثور عند الطبرى وابن كثير والسيوطى، ثم التفسير بالرأى والشروط الواجب توافرها فيه، ثم نماذج لبعض المفسرين، ثم يعرض للطابع العقلى والمذهب الكلامى فى تفاسير المعتزلة، وتفاسير بعض المفسرين مثل: الزمخشرى، ومحيى الدين بن عربى، ثم ينتقل إلى تفاسير المعاصرين أمثال: الإمام محمد رشيد رضا، وطنطاوى جوهرى، وسيد قطب، وأمثالهم.

أما الفصل الثانى فتناول (القرآن يفسر بعضه بعضا) بما فى ذلك من دقة دلالة القرآن الكريم ومفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة، والمفهوم الوصفى والمفهوم الشرطى، والمفهوم الحصرى، ثم يتناول علم القرآن، والمجمل والمفصل، والنص الظاهر.

أما الفصل الثالث فيتناول إعجاز القرآن، وكيف انهزم فصحاء البلاغة من العرب أمام تحدى القرآن إياهم بمعارضته، ثم يتناول كتاب نظم القرآن للجاحظ، وإعجاز القرآن لمحمد بن زايد الواسطى، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة فى جهود البلاغى الكبير عبد القاهر الجرجانى، وجهود الرمانى فى كتابه (النكت فى إعجاز القرآن)، والباقلانى فى (الإعجاز)، ثم عناية المحدثين بهذا الجانب أمثال: مصطفى صادق الرافعى، وسيد قطب، ثم يفصل بعض القول فى تشبيه القرآن واستعاراته ويحلل بعضها لبيان مواطن الجمال فيها، والمجاز والكناية فى القرآن الكريم، حتى يصل إلى الفصل الرابع حيث يتناول الإعجاز فى نغم القرآن الكريم، أسلوبه الإيقاعى، والموسيقى الداخلية من اللفظة القرآنية وتناسق الكلمات فى الآية، وانسجام الآية فى السورة، والإيقاع الرخىّ المناسب فى سورة الرحمن،

والإيقاع فى الدعاء القرآنى، مثل : دعاء زكريا، ودعاء جماعة من أولى الألباب، ويذكر أنواعا متعددة من الدعاء، وهكذا نصل إلى نهاية هذه الجولة الطيبة مع القرآن الكريم فى كتاب (مباحث فى علوم القرآن) للدكتور صبحى الصالح.

١٣ ـ (أخلاق القرآن للدكتور أحمد الشرباصى):

يقع الكتاب فى ٢٦٠ صفحة يبدؤه المؤلف بقوله :

إن كثيرا من كتابنا المعاصرين الذين يكتبون فى الموضوعات الأخلاقية يوردون أكثر من تعريف للأخلاق، وينقلون هذه التعريفات عن باحثين غربيين كقول بعضهم : الأخلاق هى مجموعة عناصر الشخصية كالفكر والعاطفة والغريزة، وقول الثانى : الأخلاق طبيعة الإرادة، وقول الثالث : الخلق ميل نفسى يتحكم فى الغرائز، وقول الرابع : الأخلاق تنظيم الغرائز، وقول الخامس : الأخلاق تنسيق لميول الطبيعة والعواطف وترتيبها . . إلخ.

ولكن ينبغى لنا ونحن نبدأ دراسة (أخلاق القرآن) أن نعود إلى لغة القرآن ـ وهى اللغة العربية ـ نستنبئها فى يسر وسهولة عن معنى الأخلاق، إن اللغة تقول : الخلق هو السجية والطبع، ويقول الغزالى : إن الخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا، سميت تلك الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقًا سيئا.

ويقول ابن الأثير : حقيقة الخلق ـ لصورة الإنسان الباطنة وهى السمة وأوصافها ومعانيها المختصة بها ـ بمنزلة الخلق بصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصور الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصور الظاهرة.

وهناك فرق بين الخلق والتخلق، فالأخلاق سجايا وطبائع ولكن التخلق تكلف من الإنسان يحاول به أن يظهر من أخلاقه خلاف ما يبطن. ومن السلف من يعد

الدين هو الأخلاق الكريمة، ويعد الأخلاق الكريمة هى الدين، ولذلك تعرض ابن عباس لتفسير قوله تعالى، ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾، فقال إن المعنى: «لعلى دين عظيم، لادين أحب إلىَّ، ولا أرضى عندى منه، وهو دين الإسلام».

ولذلك يقول ابن الهيثم: «الدين كله خلق، فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الدين».

ولقد أقبل رجل على رسول الله - ﷺ - فصار من بين يديه، فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فأجاب الرسول: حسن الخلق.

فأتاه الرجل من قبل يمينه وقال: يارسول الله ما الدين؟.

فأجابه الرسول ثانية: حسن الخلق، ثم أتاه الرجل من قبل شماله وسأله: يارسول الله ما الدين؟ فأجابه الرسول مرة ثالثة: حسن الخلق. ثم جاءه الرجل من ورائه وسأله يارسول الله ما الدين؟ فالتفت إليه الرسول - ﷺ - وقال له: أما تفقه؟ هو ألا تغضب. ولعل هذا هو السبب فى أن يقول ابن عباس: لكل بنيان أساس، وأساس الإسلام حسن الخلق».

وهذا يتفق مع ما يراه علماء الأخلاق من أن الأخلاق ترجع إلى قيم ثلاث هى: الجمال والخير والحق، وأن الدين هو القوام على هذه القيم، الداعى إليها الحارس لها.

ولهذا يرى المؤلف أن القرآن الكريم وهو أساس الإسلام وينبوعه الأول، كما أنه كتاب دين وتشريع وعقائد وعبادات ومعاملات وعظات فهو كتاب أخلاق، وقد تحدث القرآن الكريم عن مكارم الأخلاق ومحامد الخصال قال تعالى: **﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾**.

وقد تعرض المؤلف الدكتور أحمد الشرباصى فى كتابه (أخلاق القرآن)، لصفات الأخلاق فى القرآن ا لكريم وحصرها فيما يلى: العفة - المراقبة - العزة - العدل - العفو - الصدق - الإيثار - الرضا - التواضع - الطمأنينة - الحياء - الثبات - السكينة - الشكر - الرحمة - الاعتبار - التذكر - العبودية لله - الخوف من الله - الاستقامة - الخشوع لله - الحلم - الصبر - التقوى - الحمد - التدبر - التفكر - البر - المسارعة إلى الخير - الإنابة.

ويذكر المؤلف أنه إذا كان رسول الله - ﷺ - هو المثل الأعلى فى مكارم الأخلاق، لأن الله صنعه على عينه، حتى قال - ﷺ -: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى»، فإن هذا الكمال الأخلاقى قد تحقق للرسول لأنه كان خير من اهتدى بهدى القرآن، وتحلى بأخلاق القرآن، ولقد سأل هشام بن حكيم السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله - ﷺ - فقالت السيدة عائشة - رضي الله عنها - بقولها: «كان خلقه القرآن» أى كان متمسكا بآدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف.

وكان هذا الجواب المختصر سببا فى أن يقول هشام: لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئا.

ولأن القرآن الكريم كتاب إعجاز وإيجاز فإنه لم يتحدث الحديث التفصيلى عن كل صغيرة وكبيرة فى الأخلاق، وإنما هو يضع أمام المؤمن علامات الطريق وإشارات التوفيق ويترك للمؤمن الاستنباط والإدراك، ومن هنا جاءت فى القرآن الكريم آيات قصيرات بألفاظها، واسعات فسيحات بمفاهيمها ومضامينها مثل قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ صدق الله العظيم.

١٤ - (منهج القرآن فى التربية - محمد شديد):

يصدر المؤلف كتابه بقوله: «عالم كأنه غابة تسودها شريعة المخلب والغاب، حياته كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، جاء محمد - ﷺ - ليقضى على الجهالة والظلمات فاتخذ مدرسته الأولى دار الأرقم التى ربى فيها قلة من المؤمنين قوية بإيمانها وعزيمتها وأشخاصها، استطاع الرسول - ﷺ - بهذه القلة أن يكوّن أمة تحمل رسالة وتنشئ حضارة وإنسانية ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾.

ذلك أن الرسالة المحمدية أخرجت العالم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، فكانت بعثته نهاية لعهد الجهالة البشرية وبداية لعهد الرشد والاكتمال.

كيف استطاع الرسول - ﷺ - أن يكوّن من عرب الجزيرة أمة تحمل رسالة وتنشىء حضارة وتصنع تاريخا كأنه ضرب من الأساطير؟ .

وكيف خلقت رسالة الإسلام من الفرقة وحدة، ومن الضعف قوة، ومن الأمية علمًا، ومن البداءة حضارة، ومن الجهل حلما. ذلك سر القرآن، وعمل منهجه التربوى فى تقويم النفوس والأمم، لابد من معرفة الميزان الذى توزن به الدعوات، هل توزن الدعوة بميزان القوة والاندفاع والاتساع.

عناصر الرسالة: عقيدة وعبادة وتشريع، فالعقيدة أصل وفطرة، والعبادة صلة وتربية، والتشريع أمن ونظام، وجوهر الرسالة: خلق وإحسان، ووسيلتها قدوة وتربية، وأولى ميادينها: النفس والضمير.

ومن ثم كان هدفها إقامة مجتمع إنسانى نظيف فى عقيدته، وعلاقاته، ومشاعره وسلوكه، تبدأ بالفرد فترده إلى فطرته السليمة، وتربى فيه الضمير المرهف الحساس، وتروضه على الخلق الفاضل الكريم، وتقيم الأسرة على المودة والفضل والرحمة، وتكون المجتمع على الحب والتكافل والعدل، وتنظم العلاقات بين المجتمعات على أساس الوفاء والحق.

وتربية القرآن شاملة لا تعنى مفهومها المألوف، فهى لا تقتصر على المسجد أو المعهد، ولا تختص بالعبادة دون السلوك، أو تهتم بالفرد وتترك المجتمع، أو تعنى بالعقيدة وتهمل العمل، إنما تشمل كل جوانب النفس، وتعمل فى كل ميادين الحياة.

وعلى هذا الأساس من الشمول يقوم منهج القرآن فى التربية، إذ كان الرسول - ﷺ - وصحابته حريصين على تربية الأمة تربية قرآنية وإقامة الدولة على أساس قرآنى سليم.

وهكذا يمضى المؤلف محمد شديد فى كتابه (منهج القرآن فى التربية) فى فصول كتابه، فيتحدث فى جولة مع الرعيل الأول عن الرسول - ﷺ - والدعوة، واستمرار التربية الإسلامية بعد العهد المكى، ثم يعرض لمناهج التربية الحديثة وعدم مضارعتها منهج الرسول - ﷺ - وكيف أن العقوبة وحدها لا تكفى فى دور التربية، ثم يبين كيف حُرمت الخمر، ويبين موقف الثلاثة الذين خلفوا وكيف عوقبوا، ويبين الضمير ودوره فى التربية، ثم يعرض لاختيار الخليفة بعد وفاة الرسول - ﷺ -، ثم ينتقل إلى

عهد الخليفة الأول أبى بكر وارتداد العرب بعد وفاة الرسول - ﷺ - وقتاله من فرق بين الصلاة والزكاة، وكيف أن الإسلام ليس مجرد نطق بالشهادتين ثم كيف عهد أبو بكر - ﷺ - للخليفة عمر - ﷺ - بالخلافة ثم عهد عمر بن الخطاب - ﷺ - وتوصيته لأمراء الأمصار بأن يعاملوا الرعية بالحسنى، وكيف خلق الإسلام من الرجل شديد القسوة رجلا رحيمًا حتى بالدواب، وكيف ضرب سعد بن أبى وقاص بالدرة، وكيف كانت معاملته لأهل الرأى وكيف كان يخاف من التحاسد والتباغض على الدنيا، ثم ينتقل إلى عهد عثمان بن عفان - ﷺ - وكيف ارتفع مستوى المعيشة فى عهده، وأمراء الأمصار فى عهده، ومفهوم الحرية والمساواة.

ثم ينتقل إلى منهج القرآن فى دعوة النفس، وكيف كانت البشرية متردية قبل القرآن الكريم، وكيف لفت القرآن الكريم النظر إلى حقائق الكون العلمية كما تحدث عنها العلم الحديث، بما فى ذلك من حقيقة تركيب جسم الإنسان.

ثم ينتقل إلى منهج المعرفة، وكيف أن صلة الإنسان بربه لا تحتاج إلى وسيط أو كاهن، وكيف تتجلى معية الله، وكيف يخلق الإسلام القوة لا الضعف بما فى ذلك من بيان أسباب القوة ومن هذا موقف المستضعفين فى مكة وكيف خلقت منهم المحنة رجالاً لا يتهيبون موقف المحن من قريش ولا بطشهم.

وهنا تبدو حقيقة استخلاف الإنسان على الأرض.

أما منهج الإسلام فى العلم فهو رحب واسع فسيح، فقد اهتم القرآن الكريم بالعلم وبيّن قيمته وأهميته، وكيف أن الكون كتاب المعرفة.

ثم ينتقل إلى منهج الفكر، وكيف أن الشرك حجر على العقول، ثم يبين آداب البيت والمجتمع فى القرآن الكريم، وأن الأخوة الإسلامية تقوم مقام الدم والنسب والحلف والجوار، ثم بين منهج الفرد والأسرة فى المجتمع القرآنى وكيف أن الزوجية سكن ومودة ورحمة، وكيف يتوعد القرآن من لا يصلون الرحم، ثم يبين آداب المجتمع وكيف رقى الرسول أصحابه، وكيف شرعت الحدود لتطهير المجتمع من الفساد وكيف يأمر الإسلام بالمعروف وينهى عن المنكر، وكيف بين أسس العلاقة بين أمم أهل الكتاب، والوفاء بالعهد ونبذ الغدر، وكيف يأمر بتأمين الخائف حتى ولو كان مشركًا.

ثم ينتقل إلى منهج العبادة مبينًا معنى القوة فى الإسلام وأهمية الدعاء، وأثر الصلاة، وكيف أن المؤمن ضيف الله فى المسجد، إذ يدعم المساواة الحقة عمليًا، وكذلك أثر الصوم وكيف يضبط ويقيم من الإنسان رقيبًا على نفسه ويدربه على مغالبة الشهوة والانتصار على النفس. ثم يبين أثر الزكاة وتطهيرها النفس من الشح والبخل، وأهمية البذل عن طواعية وكيف أن المال فى يد صاحبه له وظيفة اجتماعية وأن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن إفساد النية إفساد وإشراك.

ثم ينتقل إلى منهج الدعوة والداعية، ثم يبين ميزان القيم فى الحكم والعلم، والأسرة ولهذا نزل القرآن الكريم منجمًا على حسب الحوادث والظروف حتى ليسمع الله سبحانه وتعالى شكوى المرأة من فوق سبع سماوات، وكيف أن المنافقين كالسرطان أينما كانوا.

وهكذا يبين هذا الكتاب جوانب من منهج التربية القرآنية المتكامل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هدى ورحمةً للناس فى وقت اشتدت فيه الحاجة للهداية والرحمة من الله سبحانه وتعالى.

١٥ ـ (نظرات فى القرآن الكريم ـ الشيخ محمد الغزالى):

يقع الكتاب فى ٢٨٢ صفحة.

يقدم المؤلف كتابه هذا قائلا: «سيجد القارئ فيه جملة معارف حسنة عن القرآن المجيد تضمنت ثمرات من غراس الأئمة الأقدمين والعلماء المحدثين وشدها جميعا نظام يوائم الأسلوب الذى استحسنه المثقفون اليوم، وألفوه فى مجال العلم والأدب، ولم أنس ـ وأنا أكتب هذا الكتاب ـ أن أمس قضايا دينية واجتماعية تشغل بال المسلمين خاصة، وبال العالم كله فإن العلم المعزول عن الواقع لا سبيل له فى قلبى ولا فى لبى.

والقرآن نفسه كتاب لا يستطاع عزله عن الحياة أبدا، وهل نزل إلا ليخطّئ أو يصوب من أفكارها وإلا ليمحو أو يثبت من أحوالنا؟

إنه كتاب الحياة المفعمة بالحركة المتجددة على الدهر ولكنها الحياة القائمة على الحق المطلق، الدارجة على الصراط المستقيم.

وقد تنوعت فصول هذا الكتاب، ونمضى نقلب صفحاته لنلتقى بقضايا متنوعة متعددة، أول هذه الفصول فصل بعنوان: هذا القرآن، وفيه يمضى المؤلف الشيخ محمد الغزالى مع قضايا القرآن الكريم أولها سؤال: كيف نزل ولماذا خلد هذا القرآن الكريم؟.

يقول: «لو أن القرآن نزل دفعة واحدة لأمكن لدارسه أن يفصل بين معانيه وبين الملابسات العديدة المتشعبة التى أحاطت بها، أو لحار فى وضع كل حكم بإزاء الحالة الدقيقة التى تناسبه، إنما جاء القرآن نزل مفرّقًا على بضع وعشرين سنة حفلت بالأحداث الجسام، وتتابعت عليها أطوار شتى، وكان نزوله على هذا النحو يمت بأوثق الصلات لتغاير الحوادث وتجدد الأطوار، لذلك لابد فى فقه القرآن من فقه الحياة نفسها التى أحاطت ببداية أمره ونهايته، ولابد من استيعاب التاريخ المفصل لهذه الفترة الخطيرة «وهذه نقطة جديرة بالاهتمام حقا». أما خلود القرآن فيجيب عنه المؤلف بقوله:

«وخلود القرآن يرجع إلى جملة الحقائق التى احتواها، إن هناك معارف يلحقها الخطأ والصواب فطروء التغير عليها مفهوم، أما ما ثبتت صحته فإن مرَّ الأيام لا ينال منه شيئا. إذا ثبت أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان أو أن الخطين المتوازيين لا يلتقيان فإن هذا الثبوت لا يتفاوت على اختلاف الليل والنهار، وهو بعد عشرة قرون مثله مثل قبل عشرة قرون»، ذلك أنه حقيقة إلهية وليس حقيقة بشرية، وفرق بين العلم الإلهى والعلم البشرى.

ثم يقول: «إن القرآن الكريم خلد على الزمان لأن كل كلمة فيه تنزهت عن هذه العلل ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ٢).

وقيام معانيه على الحق كقيام الشعاع على النور، والحق لا يزول ولا يحول وذلك سر خلود القرآن الكريم.

وفى صدد إجابته عن السؤال المطروح: كيف نزل القرآن ولماذا خلد! يتحدث عن ثبوت القرآن، وكيف تم جمعه؟. ثم ينتقل إلى نماذج وصور هى: الإنسان فى

القرآن ـ الحياة العامة فى القرآن ـ الثروة فى القرآن ـ الألوهية فى القرآن ـ النبوات فى القرآن ـ الجزاء فى القرآن ـ فساد الأمم كما يصوره القرآن ـ قصص القرآن . ثم ينتقل إلى قضية أخرى هى إعجاز القرآن وهنا يتناول الإعجاز من جوانب متعددة ، فهناك الإعجاز النفسى ، وهناك الإعجاز العلمى ، وهناك الإعجاز البيانى ، ثم يعرض للكتاب والسنة ، وللقرآن الكريم وأهل الكتاب ، وحاجة العالم إلى القرآن الكريم ، ثم يتناول قضية النسخ ، وتاريخ نزول القرآن وسببه ، ثم الخاتمة .

يقول فى بيان الأثر النفسى لإعجاز القرآن الكريم : «إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعا وكأنه عرف ضائقة كل ذى ضيق ، وزلة كل ذى زلل ، ثم تكفل بإزاحتها كلها كما يعرف الراعى أين تاهت خرافه ، فهو يجمعها من هنا وهناك ، لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منها» .

أما الإعجاز العلمى فيتحدث عنه قائلا : «لا سبيل إلى معرفة الله عن طريق التأمل فى ذاته ، فإن الوسائل إلى ذلك معدومة ، وإنما طريق التعرف على الله يبدأ من التأمل فى خلقه . وعن طريق التفكير السليم فى الحياة والأخبار واستخلاص المعارف القيمة الخارجية من الأرض أو النازلة من السماء ، يمكننا أن ندرك طرفًا من عظمة الخالق الأعلى وما ينبغى أن يوصف به من كمال يتجلى فى قدرته سبحانه في ملكوته ونظام كونه ، ونعمه على المخلوقات وفى مقدمتها الإنسان» .

ثم ينتقل إلى الإعجاز البيانى ، وقد روى أن الوليد بن المغيرة ـ وهو من زعماء الكفار فى مكة جاء إلى النبى ـ ﷺ ـ واستمع إلى ما يتلو من هذا القرآن ، فلما أنصت وتدبر ، كأنما رق له قلبه ، فبلغ ذلك أبا جهل فقال له : يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً ويعطوك إياه فإنك أتيت محمدا ، وملت إلى دينه ! .

قال الوليد مستنكرًا عرْضه المال عليه : لقد علمت قريش أنى من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك ، فيعلمون أنك مكذب له وكاره . قال : وماذا أقول؟ فوالله مافيكم رجل أعلم منى بالشعر لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول محمد شيئا من هذا ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإنه لمنير أعلاه ، مشرق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه .

وغضب أبو جهل لهذه الشهادة فإن الصدق فى هذه القضية لا يعنيه بل يؤذيه ،

والعراك على الرياسة فى هذه البيئات يذهل عن شئون الكفر والإيمان، فليكن محمد صادقا. وليكن كلامه وحيًا. بيد أن المصلحة القبلية تقضى بكتمان أمره وانتقاص شخصه. ولذلك عاد أبو جهل يلح على الوليد: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! فقال الوليد: دعنى أفكر. وفكر الوليد ثم أحب أن يكون منطقيًا مع نفسه فقال: هذا سحر. ولعله يقصد بالسحر ما جاءت به قوة خفية لا يعرف الناس عادةً حقيقتها، وقد سجل ذلك كله القرآن الكريم بما يؤكد كيف شهدت العرب بالفصاحة والبراعة والإعجاز للقرآن الكريم الذى جاء معجزة إلهية سماوية كبرى فى كل زمان ومكان.

١٦ ـ القرآن والتفسير ـ د. عبد الله شحاتة:

لقد جمع القرآن الكريم العرب بعد تفرقهم وتشتتهم، ووحّدهم ورسم لهم طريق الحياة المجيدة، وأعطاهم مفتاح السعادة فى الدنيا والآخرة، إذ إنه كشف لهم عن حقيقة أنفسهم، ووجه العناية الفائقة إلى تهذيب النفس، وشرع من العبادات والعادات والمعاملات ما هو كفيل بإيجاد الإنسان الفاضل، فإذا صلحت النفس فقد صلح الإنسان، وإذا صلح الفرد فقد صلحت الجماعة، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**. لقد غير الله هذه النفوس فصقلها وهذبها وجمع شتاتها وحارب أهواءها فإذا المسلمون أمة واحدة محرابها الصلاة، وميدانها الجهاد، وسباقها إلى الزكاة وفعل المعروف وعمل الخير، وسياحتها حج وعمرة فى سبيل الله، وتحولت أهداف الإنسان المسلم من طمع وغرور إلى إيمان وعمل، وخلق القرآن روحا جديدًا بين المسلمين فإذا المودة والمحبة وإذا الإخاء والمساواة وإذا التضحية والفداء صفات المجتمع الجديد. وخلق سلوكا جديدا عماده الصلاة والصيام والصدقة وصلة الرحم وتلاوة القرآن، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين، وخلق القرآن فجرا جديدا لدعوة جديدة تمتد رقعتها بين المشارق والمغارب، وتقوم دولة الإسلام لتؤدى واجبها فى نشر رسالة العلم والتعليم والإسلام فى بعث الحضارة الإنسانية وترجمتها وإثرائها وتقديمها للناس فى ثوب نافع جديد.

بهذا يقدم المؤلف الدكتور عبد الله شحاتة لكتابه (القرآن والتفسير) الذى وضع خطته على النحو التالى: الفصل الأول: يتحدث فيه عن الوحى وعن تاريخ القرآن وطريقة وصوله إلينا محفوظا من التحريف متلواً على الألسنة حتى جمع فى المصحف العثمانى، الفصل الثانى: يتحدث فيه عن أسباب نزول القرآن، وبيان الملابسات التى حدثت فى المجتمع الإسلامى فأدت إلى نزول القرآن الكريم، وفى الفصل الثالث يتحدث عن تاريخ التفسير ويتناول نشأة التفسير فى عهد النبى - ﷺ - وفى عهد الصحابة والتابعين، ويتحدث عن تدرج التفسير وتطوره وانقسامه إلى تفسير بالرأى وتفسير بالمأثور ثم يتناول تحقيقا علميا عن أول من دوّن التفسير، ويتابع موكب التفسير إلى عصر النهضة ويوضح أثر الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن.

وفى الفصل الرابع يتحدث عن مناهج التفسير، ويوضح لنا طريقة التفسير فى العصر الحديث، وما هى المراجع والكتب التى يرجع إليها المفسر، ويقدم تعريفا لعشرين كتابا من أمهات كتب التفسير، ثم يتحدث عن التفسير بالمأثور.

هذا عن خطة الكتاب ومنهجه بوجه عام، وفيه نرى جولة مع القضايا التى تتصل بالقرآن الكريم وعلومه من بعض الوجوه.

ثم يعقد فصلاً عن (الإسرائيليات)، حيث بدأ دخول الإسرائيليات - فى عصر الصحابة - فى التفسير، إذ ساعد على ذلك دخول عدد كبير من اليهود والنصارى فى الإسلام، ومعهم ثقافاتهم وأفكارهم، ومعلوماتهم الدينية حول كثير من قصص الأنبياء السابقين، فلما كان عصر التابعين زادت الإسرائيليات، وزاد الوضع فى التفسير، فقد عرض القرآن الكريم لكثير من قصص الأنبياء السابقين مقتصراً على مواضع العظة والعبرة مكتفيًا من القصة بما يحقق الهداية ويوحى بمتابعة الحق والإيمان، ولذا لم يتعرض للتفصيل، فلم يذكر تاريخ الوقائع ولا أسماء البلدان التى حصلت فيها، ولا أسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث وإنما تخير ما يمس جوهر الموضوع، وما يحرك العقول للتفكير، وينبه القلوب إلى الخير، وينفرها من عاقبة الشر، فقد وردت قصة آدم - عليه السلام - فى القرآن الكريم كما ورد ذكرها فى التوراة بيد أن القرآن لم يتعرض لمكان الجنة، ولا لنوع الشجرة

التى نهى آدم عن الأكل منها، ولا لبيان الحيوان الذى تقمصه الشيطان ليزلهما، ولا ما كان من تفصيل الحوار بين الله تعالى وآدم، ولا للبقعة التى طرد إليها آدم بعد خروجه من الجنة ولكن التوراة تعرضت لكل ذلك وأكثر منه، فأبانت موطن الجنة، وموضع الشجرة إلخ، وقد نقل المفسرون قصة آدم وإبليس فى تفسيرهم كما ذكروا كثيرا من قصص الأنبياء وغيرها، ومن المعروف أن الرسول - ﷺ - حين أذن بالتحدث عنهم أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم فأى تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان.

وقد أشار المؤلف الدكتور عبدالله شحاتة إلى أنواع الإسرائيليات وأقسامها، وهى ثلاثة أقسام: القسم الأول: ما يعلم صحته بأن نقل عن الرسول - ﷺ - نقلا صحيحا، أو كان من الشرع شاهد يؤيده، ومنه تعيين اسم صاحب موسى - عليه السلام - بأنه الخضر فقد جاء هذا الاسم صريحا فى حديث البخارى، وهذا القسم بنوعيه مقبول صحيح.

أما القسم الثانى: فهو ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو يكون مخالفا لما يقرره الفعل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

أما القسم الثالث: فهو المسكوت عنه، فلا هو من قبيل الأول ولا هو من قبيل الثانى، وهذا القسم نتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه.

وذهب ابن كثير إلى جواز رواية هذا القسم، وتابعه فى هذا الشيخ محمد حسين الذهبى فى كتابه «التفسير والمفسرون»، ولم يوافقه فى ذلك المحقق الشيخ أحمد شاكر، لأن رواية هذا القسم بجواز تفسير القرآن إقرار له وتصديق به قال ابن كثير: «ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا، مما نشهد له بالصدق فذلك صحيح. والثانى: ما علمنا كذبه لما عندنا مما يخالفه. والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم.

وهو حديث: «بلغوا عنى ولو آية، ومن كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

ومن أمثلة ما يذكرونه فى أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم وعددهم، وعصا موسى من أى شجر كانت؟ وأسماء الطيور التى أحياها إبراهيم، وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة، التى كلم الله عندها موسى، إلخ، يقول الشيخ أحمد شاكر:

«إن إباحة الحديث عنهم شىء، وذكر ذلك فى تفسير القرآن شىء آخر، إذ إنه يوهم البيان والتفصيل لكتاب الله، وحاشا لله ولكتابه من ذلك».

١٧ ـ (الظاهرة القرآنية ـ للكاتب مالك بن نبى):

لا يمكن قراءة هذا الكتاب دون الاهتمام بالتقديم الذى صدر به الكتاب وكتبه الشيخ محمود محمد شاكر وفيه بيان الصلة بين بيان العرب فى الجاهلية وقضية إعجاز القرآن وعنوان هذه المقدمة (فصل فى إعجاز القرآن).

ثم نلتقى بحديث الكاتب مالك بن نبى حيث يصدر كتابه بمدخل كان قد نشر فى رسالة مستقلة خارج هذا الكتاب ثم أضيف إليه من بعد، ويبين فيه كيف أنه يهدف إلى منهج تحليلى فى دراسة الظاهرة القرآنية وهو منهج يحقق من الناحية العملية هدفا مزدوجا هو:

١ ـ أنه يتيح للشباب المسلم فرصة التأمل الناضج فى الدين.

٢ ـ أنه يقترح إصلاحا مناسبا للمنهج القديم فى تفسير القرآن.

وهذه المهمة وتلك ترجعان إلى أسباب مختلفة يتصل بعضها بالتطور الثقافى الذى حدث فى العالم الإسلامى بصورة عامة، وبعضها يرجع إلى عنصر آخر يمكن أن نسميه (تطور نظرتنا فى مشكلة الإعجاز) بصورة خاصة.

ثم يعرض للأسباب وهى: تاريخية، ذلك أن التطور الثقافى الإسلامى يتلقى النهضة من الغرب ومن بين ما يتصل بالناحية الروحية ما يتلقاه المسلم عن المتخصصين الأوربيين عن طريق أداء المستشرقين ويحدثهم، وهكذا أدخل الاستشراق فى حياتنا العقلية وهكذا يقول المؤلف:

«تلكم هى الأزمة الخطيرة التى تمر بها ثقافتنا الآن»

ثم يشير إلى مظهرين من مظاهر الإعجاز القرآنى متمثلين فى تذوق العرب للقرآن فى جاهليتهم، هذان المثلان هما:

١ ـ إسلام عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ عندما تأثر بآيات سمعها من أخته أو قرأها فى صحيفتها.

٢ ـ حكم الوليد بن المغيرة حين قال فى القرآن الكريم: «والله لقد سمعت كلاما ما هو من كلام الناس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة»، وحين تقدم الزمن صار الإعجاز موضوع دراسة قائم بذاته فكتب فيه أئمة البيان من أمثال الجاحظ فى كتابه (نظم القرآن)، وعبد القاهر فى (دلائل الإعجاز)، ثم يرى أن الإعجاز هو:

١ ـ بالنسبة إلى شخص الرسول: الحجة التى يقدمها لخصومه ليعجزهم بها.

٢ ـ وهو بالنسبة للدين وسيلة من وسائل تبليغه.

وهذان المعنيان للإعجاز يضفيان على مفهومه صفات معينة:

أولاً: أن الإعجاز (كحجة) لابد أن يكون فى مستوى إدراك الجمع، وإلا فاتت فائدته، إذ لا قيمة منطقية لحجة تكون فوق إدراك الخصم فهو ينكرها عن حسن نية أحيانا.

ثانيا: ومن حيث كونه وسيلة لتبليغ دين أن يكون فوق طاقة الجميع.

ثالثًا: ومن حيث الزمن أن يكون تأثيرًا بقدر ما فى تبليغ الدين من حاجة إليه. وهذه الصفة الثالثة تحدد نوع صلته بالدين.

ثم ينتقل إلى فصل عنوانه (الظاهرة الدينية: المذهب المادى ـ المذهب الغيبى)، أى يعقد مقارنة بين مذهبين أحدهما مادى فى جوهره يرى أن كل شىء يتوقف على المادة، والثانى غيبى (ميتا فيزيقى) يعتبر المادة فى ذاتها محددة محكومة.

وهنا لابد أن نؤمن أن الله خالق ومدبر للكون، ثم يصل إلى ما يسميه الحركة

النبوية، فيتحدث عن جزئياتها: مبدأ الدعوة، وظهور النبي - ﷺ - وخصائص النبوة.

ثم ينتقل إلى فصل آخر سماه (أصول الإسلام - بحث في المصادر) يقول: «لقد امتاز القرآن الكريم بميزة فريدة هي أنه تنقل منذ أربعة عشر قرنا دون أن يتعرض لأدنى تحريف أو ريب، وليست هذه حال العهد القديم (التوراة) الذي لم تعترف له بالصحة الدراسة النقدية للشراح المحدثين فيما عدا واحدا من كتبه هو كتاب (أرمياء).

وليس العهد الجديد (الإنجيل) بأسعد حالا فلقد ألغى مجمع أساقفة (نيقية) كثيرا من أخباره مما وزع الشك حول ما تبقى منه وهو الإنجيل.

وهذه الأخيرة بدورها لا تعتبر الآن من الصحاح، لأن النقد أثبت أنها قد (وضعت) بعد المسيح بأكثر من قرن، أي بعد عصر الحواريين الذين تنسب إليهم التعاليم المسيحية، وعلى هذا فإن شكوكا كثيرة تحوم حول القضية التاريخية للوثائق اليهودية المسيحية».

هذا التحديد الكامل للنص القرآني على عهد النبي نفسه يعد ظاهرة جديرة بالملاحظة من وجهة علم الاجتماع، وعلم النفس بخصوص الوسط العربي في العصر المحمدي فتلك نقطة جوهرية تستحق البحث والوقوف أمامها، إذ ليست هناك مشكلة تدوين بالنسبة للقرآن، كما هو الأمر بالنسبة للكتاب المقدس .. حتى إذا قبض الرسول - ﷺ - كان القرآن محفوظا في الصدور مدونًا في الصحف فكان من الممكن كلما دعت الحاجة مقارنة الآيات بعضها ببعض، ولا سيما حين يعرض اختلاف من نوع صوتي أو لهجي.

ثم يشير إلى ما صنعه أبو بكر - رضي الله عنه - بواسطة لجنة برياسة أمين الوحي زيد بن ثابت حين جمع القرآن، ثم ما صنعه عثمان - رضي الله عنه - .

وهكذا حفظ الله القرآن الكريم.

ثم يعقد فصلا شيقا عن كيفية الوحي سواء في مدلول الكلمة مصطلحا، ثم ما يتصل بالمقياس الظاهري حيث سن الرسول - ﷺ - وهو في سن الأربعين، ثم

ا يحدث له من عوارض على وجهه أثناء الوحى . أما الناحية العقلية ، فالرسول ـ ﷺ ـ أمى .

ثم يتحدث عن مقام الذات المحمدية فى ظاهرة الوحى ، ثم ظاهرة الرسالة حمدية حتى يحدثنا عن الخصائص الظاهرية للوحى الذى يستمر سنوات طويلة ، الذى كان منجما ، ويتمثل فى أمور كثيرة منها أمثلة على وحدة التشريع كما نرى ، سورة النساء التى تقدم لنا نموذجا تشريعيا على قانون الأحوال الشخصية ، ثم دم مثالاً على الوحدة التاريخية فى سورة المنافقون ، ثم يتناول الصورة الأدبية قرآن الكريم حتى يصل إلى عقيدة مهمة هى العلاقة بين القرآن الكريم المقدس ثم ف وقفة طريفة أمام قصة يوسف ـ عليه السلام ـ بين القرآن الكريم والكتاب المقدس ارضا النص فى الكتابين المقدسين ، وبعد أن ينتهى من النصين يقدم لنا جدولا قارنا بين نقاط الاتفاق والاختلاف فى القصة فى النصين ، ثم يعقد فصلا لبعض قضايا ومنها فواتح السور بالحروف على غرار : ألم ، ص ، ق ، ن ، ونحوها تحدثا عن تلك الظاهرة .

وهكذا تتعدد قضايا هذا الكتاب الذى يقدم صورة نفسية معمقة لقضايا تتصل القرآن الكريم ، وهى قضايا جديرة بالدراسة والتأمل من جانب شبابنا المسلم فى كل كان وزمان .

١٨ ـ (دستور الأخلاق فى القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز):

إن الفراغ الذى يلاحظ فى مؤلفات علم الأخلاق العام فى الدراسات الأوربية تج عن تجاهل هؤلاء الباحثين وصمتهم عن علم الأخلاق القرآنى الذى تضمنه كتاب الله العزيز .

وهذا هو ما حدا بالمؤلف الدكتور محمد عبد الله دراز إلى أن يجعل هذه الرسالة سالته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة السربون بباريس ، وطبعت الطبعة الفرنسية ن هذا الكتاب على نفقة مشيخة الأزهر الشريف سنة ١٩٥٠ ، ثم ها نحن أمام لطبعة العربية من الكتاب حيث قام معربها ومحقق نصوصها بالتعليق عليها ، وهو الدكتور عبد الصبور شاهين ، وراجعها صهر المؤلف الدكتور السيد محمد بدوى

الذى يذكر أن الرسالة استغرق إعدادها ما يقرب من ست سنوات حتى نوقشت بباريس فى سنة ١٩٤٧ .

والهدف الرئيسى من هذا البحث يكمن فى إبراز الطابع العام للأخلاق المستمدة من كتاب الله العزيز ، القرآن الكريم ، وذلك فى جانبين : أحدهما نظرى ، والآخر عملى .

صحيح أن عدداً من فقهاء المسلمين قد بحثوا من قبل فى مقاييس الخير والشر ، وأن طائفة من رجال الشرع قد تكلموا فى شروط المسئولية ، وأن بعض الأخلاقيين قد ناقشوا جدوى الجهد الإنسانى ، وضرورة «النية الطيبة» ، وهى جهود للسلف قيمة طيبة . لكنها ظلت متناثرة فى مظانها المختلفة متعددة الموضوعات والتخصصات ، ومن الصعب على المحدثين الاهتداء إليها فى بطون الكتب وثناياها .

أما الدكتور «محمد عبدالله دراز» فقد أخذ على عاتقه فى مؤلفه هذا (دستور الأخلاق فى القرآن الكريم) معالجة مسائل الأخلاق كما هى عند المحدثين فى إطار نظرية سماوية كاملة سامية ، وقد ارتآها فرصة علمية ودينية وفكرية أن يناقش الحلول التى جاء بها بعض المفكرين فى الشرق أو الغرب متخذاً من آرائهم وسيلة للمقارنة جاعلاً من القرآن الكريم نقطة ارتكازه ، وموطن بحثه ، ومصدر رجوعه واهتدائه ، ومنارة يشع بها على الفكر العالمى المعاصر .

كان هدف المؤلف الإجابة عن سؤال جوهرى هو :

«كيف يصور القرآن الكريم عناصر الحياة الأخلاقية»؟

ويرتكز المؤلف إلى حقيقة هى أن الحاسة الخلقية انبعاث داخلى فطرى ، وأن القانون الأخلاقى قد طبع فى النفس الإنسانية منذ نشأتها ، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ . والحق أن الإنسان يستطيع أن يميز بين ما يقوم به من أنواع السلوك بين ما هو «خير» ، وما هو «شر» ، وما هو «محايد» أى لا ينفع ولا يضر ، مثلما يميز فى عالم المحسوس بين «الجميل» ، و«القبيح» ، و«المجرد» من كل تعبير ، ولا يقتصر الأمر على المعرفة . بل إن مظهر الفعل الحسن أو الفعل القبيح

يثير فينا مشاعر مختلفة نحو أنواع السلوك فنمتدح بعضها ونستهجن الآخر وفقًا لطبيعة هذا السلوك.

غير أن هذا القانون الأخلاقى المنطبع فينا لا يكفى وحده ليكون معياراً لهداية البشر وتوجيههم، لأن هناك أموراً أخرى تؤثر فينا كالعادة، والوراثة، وأثر البيئة، والمصالح المباشرة مما يجعلها تفسد تلك الفطرية التلقائية فى نفوسنا، من أجل هذا بعث الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء ملهمين بالوحى الربانى توقظ الضمائر، وتزيل الغشاوة عن النفوس مبينة المثل الأعلى الذي نتجه إليه.

وينتقل المؤلف إلى حقيقة مهمة هى: أنه لا أخلاق بدون عقيدة، والعقيدة تتصل بالأخلاق ذاتها، ومعناها الإيمان بالحقيقة الأخلاقية حقيقة قائمة بذاتها «تسمو» على الغرض، و«تفرض» نفسها عليه بغض النظر عن أهوائه ونزعاته ومصالحه ورغباته، وهذا سر ما نجده لدى المؤمن الذى يتعرف على هذا النداء الداخلى، على صوت ربه، ويتمثل الرسالة السماوية بكل توجيهاتها فيتولد عند الإنسان المؤمن عرف «الالتزام الخلقى» بشريعة الله سبحانه وتعالى، فيلتزم بأوامره، ويجتنب نواهيه فى طريقة واضحة لا هى «الخضوع المطلق» الذى يسلب الإرادة، ولا هى «الفوضى» التى لا تعرف الحدود.

هذا عن فكرة الالتزام عند المسلم، تليها فكرة «المسئولية» وهذه المسئولية كما أقرها القرآن الكريم تتعلق بالشخصية الإنسانية فى معناها الكامل، فالمسئول، حسب الشريعة الإسلامية، هو: الشخص البالغ العاقل الذى بلغته قواعد الدين بشأن التكاليف وكان واعيا لها أثناء سلوكه، وهو مسئول عن أفعاله الخاصة الشعورية والإرادية والتى عقد النية عليها، وهكذا تنتفى فكرة تحويل فضل عمل أو جزائه من شخص لآخر، وتنتفى فكرة المسئولية الوراثية أو نحوها، ولهذا يتحمل الإنسان مسئولية محددة به، ترجع إلى اختياره الذاتى الذى ينبع من داخل نفسه، ولهذا يهتم القرآن الكريم ببيان موقع «النية» وراء العمل، وأن يكون الهدف للعمل هو ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى.

وقد بين المؤلف الدكتور محمد عبدالله دراز، فى كتابه الذى بين أيدينا (دستور

الأخلاق فى القرآن الكريم)، الحياة العملية كما تفهم من القرآن الكريم فحصر آياتها وصنفها ثم ألحق بالكتاب ملحقًا خاصا بها فى طوائف مصنفة، هكذا:

الفصل الأول عن الأخلاق الفردية، والثانى عن الأخلاق العائلية، والثالث عن الأخلاق الاجتماعية مما يتصل: بالقتل، والسرقة، والاختلاس . . إلخ.

والرابع عن الأخلاق الخاصة بالدولة، والخامس عن الأخلاق الدينية، حتى تمت قضايا الكتاب القيم الذى يعتبر رسالة العالم الإسلامى إلى العالم الأوربى، ناشرًا الفكر الإسلامى والدعوة الإسلامية فى عالم هو أشد ما يكون حاجة إلى نور الإسلام وهديه المتمثل فى الكتاب العزيز (القرآن الكريم).

١٩ ـ (الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم للدكتور محمد محمود حجازى):

مؤلف هذا الكتاب هو صاحب كتاب التفسير الواضح.

أما موضوع هذا الكتاب فيردّ على ادعاءات بعض المستشرقين وإثارتهم شبهًا فى طريق القرآن الكريم فى أنه لا تضمه وحدة كاملة، وأنه على غير ترتيب كتب البشر.

وقد أفاض المؤلف فى هذه القضية فى أكثر من ٤٠٠ صفحة، مبينًا كيف أن القرآن الكريم نزل على محمد ـ ﷺ ـ منجمًا فى بضع وعشرين سنة تبعًا للحوادث والأحداث التى مرت بالدعوة المحمدية، وكان ذلك لأسرار وحكم إلهية، قال تعالى: ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً** ﴾.

كما قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾.

وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يرشد النبى ـ ﷺ ـ إلى موضع الآية من سورتها، ويقرأ الرسول الكريم على أصحابه وكتاب وحيه ثم يأمرهم بكتابتها فى موضع كذا من سورة كذا بين كذا وكذا كما ورد فى الحديث الصحيح، يتلو ذلك عليهم مرارًا وتكرارًا، وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يعارضه القرآن فى كل عام مرة، وفى العام الذى توفى فيه الرسول ـ ﷺ ـ عارضه جبريل مرتين، وكما روى البخارى بسنده

الصحيح عن ابن عباس : «كان ، أى جبريل ، يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن» .

على هذا تناقل الصحابة حفظ المصحف ، وانعقد إجماع الأمة على ذلك ، وقرأ الرسول - ﷺ - السورة بتمامها ، بل عدة سور فى صلاته أمام الصحابة .

وحين جمع أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - القرآن الكريم فى صحف منظمة فى مكان واحد بعد أن كانت فى ألواح وأحجار ولخاف وعظام كان ذلك اعتمادًا على لجنة خاصة ، وشهود فى مؤتمر عام مفتوح فى مسجد الرسول - ﷺ - وكان عمل عثمان - رضي الله عنه - هو انتساخ نسخ من هذا الأصل الموثوق به لتكون مراجع فى الأمصار ، ولتكون بلهجة قريش حتى لا يختلف القراء فى القراءات .

وهكذا كان ترتيب المصحف توقيفيًا من الله - سبحانه وتعالى - ، وتتصل الآيات بعضها البعض فى السورة الواحدة لسرّ إلهى عظيم وحكمة بالغة قال تعالى :

﴿**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾ . بل إن الإمام الرازى ليذهب إلى قوله : «ومن تأمل فى لطائف نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بفصاحته وشرف معانيه فهو معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته» .

وكانت فاتحة القرآن الكريم بمثابة المقدمة حيث اشتملت على أغراض القرآن الكريم جملةً من توحيد وتشريع وقص ، وافتتحت بالحمد لتعليم الناس ذلك ، وذكرتهم اليوم الآخر وما فيه ، ورسمت لهم طريق الخلاص بعبادة الله وحده والاستعانة به ، وذكرتهم بمن سبقهم من الأمم الضالين المغضوب عليهم .

والقرآن إذا كان معجزًا فى فصاحته وبلاغته ، وأحكامه وتشريعه ، وما فيه من حقائق ، وغير ذلك ، فهو معجز - أيضًا - من ناحية ترتيبه ونظمه فى المصحف مع أنه نزل منجما .

ويورد المؤلف الدكتور محمد محمود حجازى فى كتابه (الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم) المطبوع سنة ١٩٧٠ ، آراء العلماء والمفسرين فى هذا المجال ، من ذلك قول السيوطى فى الإتقان :

«إن الارتباط بين الآيات من جهة تعلق الكلام بعضه ببعض أو لكون الآية الثانية

بيانًا أو توكيدا، أو للتفسير، أو المشاركة فى حكم أو الاعتراض. وقد يكون بينهما جهة جامعة كالتضاد أو التنظير أو الاستطراد أو حسن التخلص».

وذكر الإمام الزركشى فى كتابه (البرهان): «ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعانى منتظمة المبانى، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد، والظاهر أنه أبو بكر النيسابورى».

ثم يسوق المؤلف أمثلة لهذا التكامل، وهذه الوحدة الموضوعية، حيث تكون سورة الإسراء، وبعد آية واحدة من أولها يجىء قوله تعالى: ﴿**وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل**﴾، أما المناسبة فلأن الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، وبيت المقدس مكان مقدس عندنا، إذ هو القبلة الثانية للإسلام، وثالث الحرمين فلابد من التعرض له ببيان الحقائق الدينية التى تتعلق به وخاصة عند اليهود، حتى تتعلق به قلوب المسلمين فلا يتركونه للصليبيين ولا لليهود، وليتذكر اليهود ما أنعم الله به عليهم قديما، على أن حادثة الإسراء من المعجزات الحسية التى تشبه معجزات موسى ـ عليه السلام ـ فى نوعها، واختيار هذا الجزء بالذات من قصة موسى ـ عليه السلام ـ لوجه الشبه الدقيق بين الموقفين.

﴿**لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾.

﴿**وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا**﴾.

وقد كان موقف قريش أشبه ما يكون بموقف اليهود فالكل كذّب رسله.

ويطبق المؤلف ذلك المنهج أيضا على أول سورة طه وما فيها من نعم الله على نبيه ـ ﷺ ـ، ومظاهر قدرة الله وعظمته ثم انتقال إلى قصة موسى ـ عليه السلام ﴿**وهل أتاك حديث موسى**﴾.

كذلك ترتيب سورتى البقرة وآل عمران؛ لما بينهما من مناسبة إثبات الألوهية والرسالة، كذلك بين سورتى المائدة والأنعام؛ إذ كان ختام المائدة أساسًا لبدء الأنعام برغم كون المائدة مدنية والأنعام مكية.

وهكذا تتعدد فصول الكتاب بين:

قضية: تكرار الموضوع الواحد فى القرآن الكريم، حيث حتمية التكرار، ورسم حدود لكل سورة وما فى ذلك من عجائب بيانية، وتعدد للموضوع بتعدد دواعيه.

قضية: ذكر الموضوع غير تام فى سورة، وموضوع كمال الوحدة الموضوعية وتناسقها فى جميع السور، وموضوع: الألوهية، فالتشريع، والقصة فى القرآن الكريم.

٢٠ ـ (المعجزة الكبرى: القرآن ـ نزوله ـ كتابته ـ جمعه ـ إعجازه ـ جدله ـ علومه ـ تفسيره ـ حكم الغناء به) للشيخ محمد أبو زهرة:

يقع هذا الكتاب فى ٥٣٧ صفحة، وكما هو واضح من العنوان الفرعى للكتاب يتناول موضوعات متعددة تتصل بالقرآن الكريم، فبعد أن يتحدث عن نزوله، وحكمة نزوله منجمًا، يتحدث عن المكى والمدنى من آياته، ثم يتناول كتابة القرآن وجمعه وطريقة الاستيثاق من النص، وترتيب الآيات والسور.

ثم يتناول قراءات القرآن، وأنها ليست الأحرف السبعة. بل هى على حرف واحد مبينًا وجوه الخلاف فى القراءات؛ إذ تلقاها الصحابة ـ ﷺ ـ عن النبى ـ ﷺ ـ.

ثم إلى قضية مهمة من قضايا القرآن، وهى إعجاز القرآن، حيث برع العرب فى البيان وتفوقوا فيه، وكان القرآن معجزًا ببيانه، وحين تلقاه العرب دهشوا به، واعترف فصحاؤهم بإعجازه، فحين سمعه الوليد بن المغيرة رق له قلبه، وقال:

«والله ما منكم أحدٌ أعلم بالأشعار منى، أعرف رجزها وقصيدها، والله ما يشبه الذى يقوله شيئًا من ذلك، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وان أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، ما يقول هذا بشر».

وقال عتبة بن أبى ربيعة لما سمع القرآن وهو على الشرك:

«قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالكهانة».

وكل من حاول محاكاته فشل فى ذلك فأقرت العرب بفصاحة هذا الكتاب العزيز، وعجزوا عن الإتيان بمثله.

ذلك أن إعجاز القرآن الكريم يتمثل فى بيانه المعجز وما اشتمل عليه من معلومات وأنباء الغيب، ولهذا كان عبد القاهر الجرجانى على حق فيما كتبه فى كتابيه : أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز عن أن الإعجاز والبلاغة فى الأسلوب كله لا فى كلمة أو حرف، وقد أفاض فى بيان ذلك فى حديثه عن آيات كثيرة من القرآن الكريم .

كما تناول الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه الذى بين أيدينا (المعجزة الكبرى : القرآن) ظاهرة التكرار فى القرآن الكريم وأسرارها الفنية والبيانية، وتناول قصص القرآن وكيف أنها حكاية لأمور واقعة، ثم تناول قصص بعض الأنبياء .

وتناول أساليب النفى والاستفهام فيه، والتعبير بالحقيقة والتعبير بالاستعارة والتشبيه، وما فى القرآن من نظم، وما فيه من إيجاز وإطناب .

ثم تناول قصار السور التى تكون على نسق واحد والتى تتسم بالإيجاز، والتى تدور كل منها حول موضوع واحد، وهى تمثل الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وهى مكية .

أما السور الطوال، والقريبة من الطوال، والقريبة من القصار فمعظمها مدنية .

ثم تناول منهج القرآن الكريم فى الاستدلال بالتعريف أو الاستدلال بالتقسيم، أو بالتعميم ثم التخصيص، أو بالعلة والمعلول، أو بطريقة المقابلة بين شيئين، كل ذلك بأسلوب سهل يسير، وقد تناول علم الكتاب بما فيه من حقائق كونية، ومعجزات الرسل، واليوم الآخر، ووصف الجنة والنار، وبيان العدالة والعبادات والحدود، والمعاملات وغير ذلك من أمور الدين والدنيا .

ثم تناول الكاتب قضية التفسير والمفسرين ومصادر التفسير، وأنواعه من تفسير بالسنة، وبالمأثور، وبالرأى، ثم عرض لقضية ترجمة القرآن بنقل معانيه وعدم اعتبارها قرآنا حتى لا يختلط بالقرآن تبديل أو تحريف، واقترح أن يطبع المصحف فى وسط الصفحة، وترقم آياته بأرقام أفرنجية، ويكتب حوله تفسير كل آية مرقما برقمها الذى رقمت به الآية حفاظًا على لغة القرآن وهى العربية، ويكتب التفسير باللغة المترجم إليها .

وقد تعرض للغناء بالقرآن ونوه بخطأ دخول ألحان الأعاجم على تلاوة القرآن، ورأى أن القراءة الصحيحة تكون بترتيل القرآن الكريم لما علمه الله تعالى لنبيه فى قوله تعالى: ﴿**فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه**﴾.

يقول المؤلف الشيخ محمد أبو زهرة فى مقدمة الكتاب: «المعجزة الخالدة التى يتحدى بها قريشًا وسائر العرب هى (القرآن الكريم)، ورأينا من مساوقة الحوادث أن نتكلم فى هذه المعجزة الكبرى على أن يكون كلامنا فيها تبعيًا وليس أصليا، وما إن قاربنا نوره حتى بهرنا ضياؤه، واستغرق نفوسنا سناؤه، وانتقلت نفوسنا إلى الاتجاه إليه قاصدين ذاته أصلاً لا تبعا للسيرة، ولو كانت سيرة من نزل عليه القرآن، وقد حاولنا أن نملأ نفوسنا من ينابيع الهداية فيه، وأن نشفى أمراض قلوبنا بما فيه من دواء، وأن نكشف الغمة بما فيه من حكم وعبر».

وهكذا تناول المؤلف فى كتابه المطول جوانب من جوانب المعجزة الكبرى، القرآن الكريم الذى تعددت وجوه إعجازه كما يذكر المفسرون فى أمور منها:

حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته وبلاغته الخارقة، وصورة نظمها ونثرها بمقاطعه وفواصل كلماته.

وما انطوى عليه من الإخبار بالغيبيات، وما أخبر به من أخبار القرون الأولى والأمم البائدة.

ليظل إلى الأبد نورًا وهدى متجددين يظلان باقيين أبد الدهر بهما يستظل المسلم، وبهما يهتدى ويقتدى فى خضم حياته الصاخبة المليئة بالمتناقضات والشرور والآثام، إنه دستور الإسلام والمسلمين.

٢١ ـ (من أسرار التعبير القرآنى ـ دراسة تحليلية لسورة الأحزاب) للدكتور محمد أبو موسى:

ينطلق المؤلف من حقيقة لا تقبل الجدال، هى أن أسرار القرآن كأسرار الطبيعة، وكأسرار الكون، وكأسرار النفس كلها آيات وكلها معجز، وأسرار الإعجاز فيها لا تتناهى، فالطبيعة منذ أن استشرف الإنسان إلى معرفة ما يحيط به كشف علماؤها

من قوانينها وأسرارها ما انتقل به من ذلك الكائن من كهوف الجبال ومجاهل الغابات إلى عصور العلم والفضاء والنور، ولا تزال هذه الطبيعة كتابًا لم نقرأ إلا سطوره الأولى.

وأسرار الكون والكواكب والأفلاك لا تزال البشرية على سطح محيطها ما أصابها منه إلا رذاذ يتساقط عليها كأنه أطياف من أضواء السماء تحمل كل رذاذة منه عجيبة من عجائب الغيب ينبهر لها جبروت العلم والعقل بعد ما أضحى إليه الإنسان.

وأسرار النفس لا تزال مبهمة فى كهوف الغيب بعد ما انقطعت أنفاس السير فى عالمها الرحب منذ أقدم فلاسفة اليونان، حتى جاء علماء النفس وخاضوا فى هذا المجال كما شاءوا، وكما أتيحت له المعرفة.

يقول المؤلف الدكتور محمد أبو موسى فى كتابه (من أسرار التعبير القرآنى): «ولهذا عُنيت هذه الدراسة بالمفردات القرآنية فوضحت معانيها اللغوية ومست أصولها الاشتقاقية ثم رددتها فى العبارات البليغة التى تحمل ريح البادية وأصالتها، ثم وقفت عند صور التراكيب وأشارت إلى أسرار البلاغة فيها محافظةً على دقة المفاهيم العلمية فى بيان هذه الأسرار لتكون هذه الصياغات مادةً أدبية يعيها الطلاب وعيًا حسنًا فتنفث فى قلوبهم أسرار الفصاحة وتكشف فيها عن منابع وحى الجمال، ويذكر أن هذه الدراسة تقدم فى البحث البلاغى فكرًا بيانيّا، اهتماما باللغة والتراكيب، والتأمل لأسرار الكون والحياة.

ويمضى المؤلف مع آيات سورة الأحزاب فيبين كيف أن النبى - ﷺ - نودى بوصف النبوة كما نودى بوصف الرسالة فى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول**﴾، ولم يناد باسمه فى القرآن، وقد نودى غيره من أنبياء الله المكرمين بأسمائهم قال تعالى: ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض**﴾: ﴿**يا إبراهيم أعرض عن هذا**﴾، ﴿**قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول**﴾، ﴿**يا صالح قد كنت**﴾.

وواضح أن النداء بهذين الوصفين الجليلين: النبوة والرسالة فيه تكريم للنبى - ﷺ - وتشريفًا له، وقد يكون نداء الأنبياء المكرمين فى كتبهم بهذه الأوصاف كما

قال صاحب الكشاف، وإنما عدل عن ذلك القرآن الكريم دفعا للإلباس لأنه لو قال: مكان: يا إبراهيم أعرض عن هذا: يا أيها النبى أعرض عنه هذا لا لتبس المنادى بين إبراهيم وغيره، وقد ذكر النبى - ﷺ - باسمه فى غير مواضع النداء لقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ آل عمران، ﴿وما محمد إلا رسول﴾.

ثم ينتقل إلى آيات السورة الكريمة حتى يصل إلى تفسير قوله تعالى:

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾، هذه الآية تصف رجالاً معينين من المؤمنين، فهى ليست فى جميعهم، وإنما هى فى خلاصة منهم قال الزمخشرى: «نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله - ﷺ - ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا، وهم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبدالله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وحمزة، ومصعب بن عمير، وغيرهم»، - ﷺ -، وقد أخرج الترمذى وابن ماجه، والحاكم: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض فلينظر إلى طلحة» وقالوا: المراد بهؤلاء الرجال غيرهم، ويلحظ المؤلف فى الإخبار عن هؤلاء الرجال بالصدق فيما عاهدوا الله عليه، بعد الإخبار عن الله ورسوله بالصدق مباشرة إشارة رامزة إلى أن الترقى فى مراشد الحق والخير يسمو بصاحبه إلى أوصاف الربوبية، حتى يكون ربانيّا يقول للشىء كن فيكون وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والتنكير فى (رجال) يفيد التعظيم لهؤلاء الرجال، وأنهم رجال أى رجال، وأنهم قلة فى كل زمان ومكان وفيه رمز إلى أنهم لا يرغبون فى التعريف بأنفسهم، والتشهير بأعمالهم، فهم هؤلاء الجنود المجهولون الذين ينطلقون فى غير صخب ولا دعاية ماضية فى الخير بعزائم صارمة وأقدام راسخة، وفى ضوء هذا تنحى الآية هؤلاء الذين يفاخرون بأعمالهم وينوهون ببلائهم من دائرة الصدق، لأن تنويه المرء بأعماله وتفاخره ببلائه لا يكون إلا لكسب الحمد، والثناء فى الناس، ومن فعل ذلك فقد حبط عمله، وكذب فى دينه، لأن الصدق معناه ألا تتجه فى أى أمر من الأمور إلا لله الذى هو أعلى وأكبر من أن يكون له فى عملك شريك، وكم تعانى الحياة من هؤلاء الذين يقولون فعلنا وفعلنا وهم لا يدرون أن سمت الصادقين هو التنكير لا التعريف والبعد عن التشهير والادعاء.

وقد لحظ الترمذى فى هذه الآية ربطًا وثيقًا بين صفتى الرجولية والصدق وجعل الصدق عنوان الرجولية، وأمارة عليها، قال رحمه الله: «خص الله الإنس من بين الحيوان، ثم خص المؤمنين من بين الإنس، ثم خص الرجال من المؤمنين، فقال: ﴿رجال صدقوا﴾ فحقيقة الرجولة الصدق، ومن لم يدخل فى ميادين الصدق فقد خرج من حد الرجولة».

وقوله تعالى: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ يقول المؤلف فى شرح هذه الآية أن من قضى نحبه هو من مات شهيدا كأنس ومصعب ومن ينتظر الشهادة كطلحة وعثمان.

ومن الأخبار ما أفاد أن من قضى نحبه هو طلحة، وكان حيًّا بعد نزول الآية، وقد روى أن طلحة ـ رضي الله عنه ـ ثبت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد، حتى أصيبت يده فقال عليه السلام: أوجب طلحة، أى أوجب الجنة لنفسه، أو أوجب أجر المجاهدين، قال الشهاب: أوجب طلحة أى استحق الجنة استحقاقا كالواجب على الله بمقتضى وعده وفضله، وأصله أوجب الجنة لنفسه على الله ومن كلامهم: أوجب الرجل إذا فعل فعلاً وجبت له به الجنة، وفى الآية نوع من البديع يسميه البلاغيون التقسيم، فالذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه قسمان: منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وليس هناك ثالث، قال تعالى: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾**.

وانظر إلى إيجاز التعبير وروعته، وكيف توزعت الجماعة قسمين، يتباعدان بتباعد الوجود والعدم بين الحياة والموت، وهى سنة الله فى خلقه ولله فى خلقه شئون.

وهكذا تتعدد وجوه الأسرار البيانى فى التعبير فى سورة الأحزاب فى صورة من صور الإعجاز البلاغى القرآنى فى كتاب الله العزيز.

٢٢ ـ (معجزات قلب القرآن ـ هاشم محمد سعيد دفتردار المدنى):

يقول المؤلف فى مقدمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب: «إنى قصدت أن يكون

حديثى فى هذا المؤلف مقتصرا على كشف حقائق سورة (ياسين) القطعية، وبيان ما أمكن من معجزاتها المتحدية: مفسرة بما وصلت إليه معارف الحضارة الحديثة من يقينيات وطرح الظنيات وريبها.

كذلك لم تكن كتابتى عن سورة (يس) سطحية. بل هى دراسة علمية بكل ما يسعه الجهد، وإتقان العمل، وإخلاص النية، أسوة بالكاتبين السابقين من علمائنا الأعلام، أجزل الله لهم حسن المثوبة، وكل ذلك بين يدى المثقفين المتعمقين يلمسونه لمس اليد».

ولهذا يرى المؤلف أن سورة (يس) هى قلب القرآن، وأنها حجة قاطعة لإثبات رسالة محمد -ﷺ-، لأنه يجدها مشتملة على فريق كبير من معجزات علمية متحددة متجدية سابقة لمعارف الأجيال، وهو فى هذا يتبع منهجا يجمع بين التفسير والتأويل، اعتماداً على مدلول الوضع اللغوى والألفاظ، ولهذا يكون التأويل كشفا لمضمون مدلولات الجمل التى تدل عليها الآيات من قريب دون خروج بالألفاظ عن مدلول وضعها اللغوى إلا لسبب مقصود أصالةً مع البعد عن التلاعب بالمجازات والاستعارات والتوريات، مع حسم مفتريات الرواية الإسرائيلية فى الإسرائيليات، وأضاليل القصاص.

وهو لهذا لا يوافق من يرى أن فى قوله تعالى: **﴿نار الله الموقدة. التى تطلع على الأفئدة﴾**، هذه الأشعة التى يصور بها الأطباء ما خفى، ولهذا لا يوافق على هذا التأويل وأمثاله ما يحمل شيئا من التعسف، ولهذا يقول: «قد بذلت وسع جهدى ليكون هذا المؤلف عن العلم اليقينى فى كل موارده ومصادره»، وها نحن مع موضوعات الكتاب نستعرضها بإيجاز وتحديد.

وقد ركز موضوعات الكتاب فى خمسة وجميعها تتصل بآيات سورة يس من قريب أو بعيد.

الموضوع الأول: الأبحاث العامة، التى تكشف حقائق الإيمان بالله وكتبه ورسله، وما يتصل بها، حيث يبين أن القرآن الكريم معجزة كونية أبدية، ويكشف الجهل بيقين العلم والدين، ويبين عالمىْ النعيم والعذاب، وحقائقهما، ووجود

الطاقات الروحية العاقلة، والاتصال بعوالمها، والتمييز بين عوالم الطاقة والمادة، ودلائل العلم على وجود الطاقات العاقلة، وتعريفات بعوالم الطاقات العاقلة، وثمرة الإيمان بالله واليوم الآخر.

أما الموضوع الثانى من موضوعات الكتاب الخمسة فهو: المعالم والهدى التى تعين الطريق المؤدى إلى فهم آيات سورة يس، حيث معجزة البعث، وحقائق العالم الثانى، والحقائق الثلاث التى بها تكشف حقائق العلم اليقينى، وتحريم الإيمان بدون برهان، والنصوص الدالة على أن القرآن الكريم مشتمل على تأويل مدخر للمستقبل، وسعة الفضاء وعوالمه، وأسباب الجرأة على الكفر بوحى الله اليقينى.

ثم ينتقل إلى الموضوع الثالث وهو تفسير ألفاظ سورة يس، ثم إلى الموضوع الرابع وهو تأويل سورة يس، ثم إلى الموضوع الخامس وهو عرض المعجزات المدخرة فى آيات سورة يس، وهذا القسم الأخير مهم جدا فيما يرى المؤلف ـ لأن فيه البراهين العلمية اليقينية المؤيدة صدق قسم المولى ـ عز وجل ـ بالقرآن الكريم على إثبات رسالة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ، زيادةً عما ذكره العلماء من معجزات فى صياغة الأسلوب، وروعة السياق، واختيار الألفاظ التى تكشف حقائق المعارف كشفا يتجلى فى روعة البيان وإعجازه، وفق صعود المعارف واطراد الحضارات.

وفى عرض لمعجزات سورة يس فى هذا البحث الخامس نراه يقدم تمهيداً ثم يبين معجزة الإنسان الكامل فى مدلول لفظة ياسين، ومعجزة القسم بالقرآن الكريم على صدق الرسالة، ومعجزة الرسالة، وإصرار أكثرية البشر على الإيمان بالظنون والأوهام، ومعجزة كشف واقع التقاليد وأضرارها، ومعجزة إحياء الموتى، ومعجزة انتصار الرسل ومصير المكذبين، وبيان تكذيب البشر للرسل، ومعجزة تكوين الأرض، ومعجزة الأرواح فى التكوين، ومعجزة الأزواج فى الكائنات، ومعجزة جلال الله وكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله ـ ومعجزة تكوين العوالم السماوية، ومعجزة منازل القمر، ومعجزة تنظيم مسيرة أجرام السماء، ومعجزة المواصلات العامة، ومعجزة المواصلات فى الجزيرة العربية، وسبب الإعراض عن الإيمان، ومعجزة حرية الإرادة، ومعجزة الشجر الأخضر والنار لإثبات حقائق البعث، ومعجزة خصائص صفات الله جل وعز، ومعجزة خصائص صفات الله

الخالق العظيم، والمعلم والوحى اليقينيين وكيف يقدمان خصائص صفات الله جل وعز اليقينية.

ونقف أمام نموذج من حديث المؤلف عن بعض المعجزات المتضمنة فى سورة (يس)، تحت عنوان: معجزة تنظيم مسيرة أجرام السماء، يقول بعد أن يصور حديثه يقول الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠).

يقول المؤلف: «نفهم من بحث أنواع جريان الكائنات فى الفضاء أن الشمس لها مستقرها الخاص بها ومجراها الذى لا تتجاوزه قدر سمسمة.

وأن القمر له فلكه الخاص به حول الأرض الذى لا يتعداه قيد شعرة، وهذا شأن الكائنات المترامية فى الفضاء كافةً! إبان سبحها الدائم. وهنا يفكر المتأمل فى عظمة هذه الأجرام السماوية السابحة فى الفضاء سواء أكانت من ذوات المستقرات الخاصة المسماة بالبروج أو من ذوات المدارات التى تجرى فيها أو سوى ذلك مما أحاط به العلم أو لم يحط به حتى عصرنا.

أجل يتفكر المتأمل فى كل ذلك أعمق التفكير، وإذا كان خفيف الإيمان ربما يخشى التصادم حين يعلم أن بعض الكواكب تجرى معاكسة لسواها كالنجم المذنب بالنسبة لمجرى الأرض فإنه يمر مخترقا فلكها، وقد يكون قريبا من الأرض جدا حين مروره فيخشى العلماء أن يؤدى ذلك إلى التصادم والتدمير واختلال فى موازين سبح الكواكب ومسيرة الكائنات، وقد حدث هذا الخوف فعلا فى عصرنا حتى اعتقدوا أن الأرض ستدمر.

ولكن وحى الله يزيح من الفكر أثر ذلك الخوف لأنه يفهمنا أن التصادم محال أن يكون، والذين يتخوفون أن يصدم كرتنا الأرضية مذنب من المذنبات التى تمر قربها أو قرب سواها من مجموعة الكواكب الشمسية، هم غير عالمين بما أنزل على نبينا - ﷺ - فى هذه الآية الكريمة.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ صدق الله العظيم.

٢٣ ـ (أساليب الاستفهام فى القرآن، للدكتور عبد العليم فودة):

يوضح المؤلف مقصده من كتابه فى هذا الموضوع المهم بما يذكره فى مقدمة كتابه وفى قوله: «لما كان القرآن الكريم أفصح نص عربى، وأصدق مأثور لغوى لم ينله تحريف أو يتطرق إليه تبديل، وكان يحتوى مع ذلك على ثروة كبيرة من أساليب الاستفهام المنوعة التى تدعو إلى التأمل وتبعث على الدرس عزمت على أن أجعل (أساليب الاستفهام فى القرآن) موضوعا لبحثى، فأبين خواصها وما تدل عليه من معان، فهو يبحث فى النحو لا بالمعنى الذى يتبادر إلى الذهن، وهو ضبط أواخر الكلمات. بل بالمعنى الذى دعا إليه عبد القاهر، وسار عليه فى درسه (للنظم) الذى يرجع إليه سر فصاحة الكلام، وأوضح أنه سبيل الإبانة والإفهام، وهو يذكر ما سبقه من بحوث حول الاستفهام فى القرآن من كتب النحو، أما عند البلاغيين فيقول: «ولم أجد عند علماء البلاغة إلا سرداً لبعض الأمثلة القرآنية يستشهدون بها لبعض المعانى التى تفيدها، ووجدت تقسيمهم للأغراض البلاغية يشوبه القصور والخلط والتداخل». كما رجع إلى التفاسير ملاحظا اختلافهم فى معانى التفسير الاستفهامى برغم جهودهم المشكورة، ومن المحدثين كانت رسالة الدكتور عبدالعظيم الشناوى فى (الهمزة: أثرها وأحوالها فى لغات العرب) جامعا فيها آراء النحاة وعلماء الصرف، ورتب ما جمعوه وناقشه وأبدى فيه رأيه، وهكذا رأى المؤلف عبد ا لعليم فودة أهمية دراسة الاستفهام دراسة شاملة متأنية، فرجع إلى القرآن الكريم والتفاسير، وكتب إعراب القرآن، وكتب علوم القرآن، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ومراجع الحديث الشريف، والمراجع البلاغية واللغوية والنحوية والأدبية.

وقد قسم بحثه إلى ستة أبواب، فى الباب الأول واسمه: أدوات الاستفهام فى القرآن الكريم بدأ بالهمزة، فهل، فما، ثم أساليب: ما يدريك، ما أدراك، مالك ألا، ماذا. ثم أدوات الاستفهام: متى، وأيان، وأين، وكيف، وأنى، وكم، وأى، ولم، ومن. ثم ينتقل إلى الباب الثانى وعنوانه: أغراض الاستفهام فى القرآن الكريم وفيه يتناول الاستفهام الحقيقى وغير الحقيقى حيث: الاختيار ـ الإنكار ـ التعجب ـ الوعيد ـ التنظيم والتهويل، التحقير، التهكم، والمعانى البلاغية من الاستفهام وأغراضها، واختلاف المفسرين فى فهمها، ثم ينتقل إلى الباب الثالث

وعنوانه : القراءات وأثرها فى الاستفهام القرآنى ، وبيان مدى ما يقبل منها وما لا يقبل وما يغير منها فى أسلوب الاستفهام ومالا يغير ، وبعض القضايا المتصلة بقراءات القرآن الكريم ، ثم ينتقل إلى الباب الرابع وعنوانه : أساليب الاستفهام الجوازى مثل : أى ، ومن ، وما . ثم ينتقل إلى الباب الخامس وعنوانه : ظواهر فى الاستفهام القرآنى وهذه الظواهر هى :

١ - كثرته فى الأفعال وعلته .

٢ - كثرته فى الإيجاب وقلته فى النفى .

٣ - تنوع أساليبه : للخطاب ، والتكلم ، والغيبة .

٤ - مجيئه تمهيداً لما بعده لتأكيد المعنى البلاغى .

٥ - صرف السؤال عن المقصود تحقيراً له .

٦ - مجىء الشرط بعده مفيداً مجرد التعليق أو تمكين التحقير ، أو إفادة الجهل .

٧ - تأكيد المعنى البلاغى بتكرار الأداة وما يتصل بها وكثرته مع الهمزة .

٨ - كثرة التصرف فى أساليبه فى الصدور والخواتيم .

٩ - كثرته بعد القول وما فى معناه .

١٠ - ما بعد القول منه له دلالته القوية .

١١ - كثرة وقوعه بعد الأفعال .

١٢ - الاستفهام يألف أساليب الإنشاء الأخرى كالنداء ، والأمر ، والنهى ، والنداء ، والتخصص ، والترجى .

١٣ - كثرة الحذف فى أسلوبه ، كحذفه كلمة بعد أرأيت ، وفى غير ذلك .

١٤ - مصاحبة أسلوب الاستفهام للعاطف وتجرده منه ومواضع تحريره وسببه .

١٥ - جواب الاستفهام أتى على نوعين :

أ - من كلام السائل .

ب - ومن كلام المخاطب .

١٦ ـ كثرة الاستفهام فى الحكم بدلالاته البلاغية المتعددة من: إنكار، وتعجب، وتوبيخ، ووعيد، وقلته فى المدنى، مع قلة الأفكار والتوبيخ والوعيد فيه، وبيان بالسور التى خلت من الاستفهام. ثم ينتقل إلى الباب السادس وعنوانه: (الاستفهام فى القرآن والاستفهام فى الشعر والنثر)، وفيه نرى ثراء الاستفهام فى القرآن الكريم وتنوعه، ووجود أساليب فيه لا توجد فى سواه مثل: ما أدراك؟ من أظلم؟ أإذا؟ أين؟، وهناك أساليب قلت فى غير القرآن وكثرت فيه، وهناك أساليب خاصة بالشعر مثل: أحقا، أشوقًا، لمن الديار، من مبلغ، ليت شعرى، لعمرى، ما أبالى؟ وبين أثر الاستفهام القرآنى فى الشعر والنثر مثل أساليب: أإن، ألم تر كيف، أرأيتك، أرأيت.

ثم يخلص المؤلف عبد العليم السيد فودة فى خاتمة كتابه (أساليب الاستفهام فى القرآن) إلى «أن الاستفهام القرآنى ـ شأنه شأن أساليب القرآن الأخرى ـ أمد اللغة بأساليب جديدة وعبارات فى الاستفهام منوعة، كان لها بعيد الأثر فى اللغة إذ أعانت ذوى البيان على التصرف فى التعبير، وأداء ما يجول فى نفوسهم من خواطر، ويثور فى وجدانهم من مشاعر».

ومن أمثلة تناول المؤلف لموضوعه قوله تحت عنوان (ظواهر فى معانى الاستفهام القرآنى): وفيها يصل إلى أن دلالة الاستفهام على معناه الأصلى قليلة، والغالب أن يفيد الاستفهام معنى بلاغيّا، ويندر أن يكون المعنى البلاغى واحدا كأساليب الاختبار، وبعض أساليب التمنى والأمر، وإنما يغلب أن تتنوع تلك المعانى البلاغية فى الأسلوب الواحد فيكون مع الإنكار التقبيح والتعجب والتهكم، وسر ذلك يرجع إلى أن القرآن يحكى أقوال قريش وغيرهم من الكافرين فى مواقف تمتلئ نفوسهم فيها بانفعالات عاطفية مختلفة فيها الإنكار والتعجب والسخرية والاستبعاد والعناد وغير ذلك فكان كلامهم الذى يصدر عنهم حينئذ مشحونا بتلك الانفعالات. وأسلوب الاستفهام أقدر أساليب الكلام على أداء ما يجيش بالنفس من انفعال، كما يتصدى القرآن الكريم لهؤلاء الكفار رادًا عليهم مطابقا أسلوبه أسلوبهم ملاقيا فيضهم النفسى الزاخر بفيض مثله، يشتمل على الإنكار والتعجيب والتقبيح والتهكم والأمر والتقرير والتوبيخ والوعيد، كما أن القرآن الكريم نزل للإقناع والتأثير فيضرب فى النفس على أوتارها ليصل إلى قرارها.

٢٤ ـ (قصص القرآن ـ تأليف على محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاتة، ومحمد أحمد جاد المولى):

للقصص القرآنى غاياته ومقاصده السامية، بما فيه من فصول أخلاقية، وطرق للتهذيب والتربية، وبما حواه من تخويف وإنذار وتوجيه وإرشاد، وبشرحه أخبار الأمم والقرون السابقة.

ومن المؤسف حقا أننا نجد انصراف الناس عن تأمل هذا القصص القرآنى الكريم، وانصراف الناشئة عن قراءة هذا القصص والاقتداء بتوجيههم الكريم، واستخلاص العبر منه، والدروس المستفادة.

لهذا كان هذا الكتاب (قصص القرآن) خير معين للقارئ المسلم على تبسيط مضمون القصة القرآنية وشرحها، وعرض أحداثها وعظاتها على المسلمين، وتقديم مادة تهذيبية للناشئة من شبابنا.

يقول المؤلفون فى مقدمة الكتاب:

«ولما رأينا من إقبال الناس على قراءة القصص، ولما شاهدنا من انصرافهم عن قصص القرآن ـ على ما فيه من شريف المقاصد والأغراض ـ وضعنا هذا الكتاب قصصًا شتى فى ضوء القرآن وهديه، وعلى طريقته الحكيمة من الاقتصار على بسط موضوع العبرة، إلا أن يكون موضعًا يحتاج إلى بيان، أو إشارة يعوز فيها القارئ التوضيح، وجلوناه فى ثوب أدبى، وأسلوب سائغ، ولم نخرج فيما كتبناه عن آراء انتحلناها من كتب التفسير المشهورة، وأخبار رويناها عن ثقات المؤرخين.

وغرضنا من هذا أن نحبب إلى الناشئين والناشئات أسلوب الموعظة القصصية فى القرآن الكريم، وأن نحملهم على الاستفادة من هديه وقويم نهجه».

وقد قسم المؤلفون كتابهم إلى الفصول التالية:

قصة آدم ـ عليه السلام ـ قصة نوح ـ هود ـ صالح ـ إبراهيم ـ عليهم السلام.

وفى قصة إبراهيم عرض القصص: إبراهيم وآية البعث، وإبراهيم يتلطف فى

دعوة أبيه ـ إبراهيم يحطم الأصنام ـ إبراهيم يلقى فى النار، إبراهيم ونمرود، إبراهيم يهدى قومه عن طريق الحوار، إبراهيم فى مصر.

ثم قصة إسماعيل ـ عليه السلام ـ، وفيها قصص:

نبع زمزم ـ إسماعيل الذبيح ـ إسماعيل وجدهم ـ بناء الكعبة ـ ثم قصة لوط ـ عليه السلام ـ ثم قصة يعقوب.

ثم قصة يوسف ـ عليه السلام ـ، وفى قصة يوسف عرض لقصص: يوسف بين إخوته وأبيه، يوسف فى الجب ـ يوسف وامرأة العزيز ـ يوسف السجين ـ خروج يوسف من السجن ـ يوسف وعزيز مصر، اللقاء.

ثم قصة شعيب، وقصة موسى ـ عليه السلام ـ.

وفى قصة موسى نجد عرضا لقصص: ولادة موسى وتربيته ـ خروج موسى من مصر ـ موسى ينزل أرض مدين ـ موسى يصاهر الشيخ ثم يعود إلى وطنه ـ موسى الرسول ـ معجزات موسى ـ عناد موسى ـ خروج بنى إسرائيل من مصر ـ مواعدة موسى ـ التيه ـ البقرة ـ موسى والخضر ثم قارون.

ثم قصة طالوت، فداود حيث فتنته، ثم قصة أصحاب السبت.

ثم قصة سليمان حيث قصص: سليمان وبلقيس ـ حكمة سليمان ـ سليمان على عرش أبيه ـ قضاء الله فى بنى إسرائيل.

وقصة عزير: صراع بين الحق والباطل، أصحاب الجنة.

ثم قصة أيوب، فيونس، فزكريا ويحيى، فمريم، فعيسى عليهم السلام، وفى قصة عيسى نجد: عيسى الوليد ـ نبوة عيسى ـ المائدة ـ النهاية.

ثم قصة ذى القرنين، فأصحاب الكهف، فأصحاب الأخدود ثم قصة: سيل العرم ـ أصحاب الفيل ـ قصة بلال، قصة الإسراء، قصة الهجرة ـ بدر ـ أحد ـ بنى النضير ـ قصة الإفك ـ المنافقون ـ نبأ الفاسق ـ الفتح وحوله قصص: الرؤيا ـ الصلح ـ نقض العهد ـ نصر مبين ـ يوم حنين ـ الثلاثة الذين خلفوا ـ مسجد الضرار ـ المباهة ـ المجادلة ـ التحريم ـ زينب بنت جحش.

يقع الكتاب فى ٣٦٩ صفحة حافلاً بصفحات من ماضى الشعوب والحضارات. وقد رجع إلى مراجع ومصادر عديدة، على رأسها كتاب الله العزيز القرآن الكريم - وجملةً من التفاسير مثل: تفسير الطبرى، والكشاف، والفخر الرازى، وأبو السعود البيضاوى - والألوسى - وتفسير المنار. كذلك رجع إلى: سيرة ابن هشام - والسيرة الحلبية، والمثل الكامل، وحياة محمد، ونور اليقين، وقصص الأنبياء.

ومن المصادر القديمة: البداية والنهاية لابن كثير - وتاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى - ونهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى - ومعجم ما استعجم للبكرى - ولسان العرب لابن منظور - والقاموس المحيط للفيروز ابادى - ومعجم البلدان لياقوت.

والكتاب نافذة يطل منها الكاتب على عرض شيق لقصص القرآن الكريم مما يتصل بالأنبياء والرسل - عليهم السلام -، وفيما يتصل بأحداث الأمم السابقة ممن قص القرآن الكريم على الرسول الكريم، وعلى المسلمين فى كل حين التماسًا للعظة والعبرة، وتأكيدا لقدرة الله تعالى فى كونه الفسيح الواسع الكبير ولروعة القصص القرآنى فى سرد أنباء الغيب مما حدث فى القرون الغابرة والأمم البائدة ليتعظ المتعظون، وليعتبر المعتبرون، وكما كان القصص القرآنى ذا فوائد فى القديم بالنسبة للرسول - ﷺ - وبالنسبة للمسلمين، وبالنسبة للمشركين، فإن أهدافه متجددة دائما، إذ يكون للمسلم بمثابة اليقين والثقة ولغيره بمثابة الدعوة للإسلام.

٢٥ - (القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه) لعبد الكريم الخطيب:

يقع الكتاب فى ٤٩٤ صفحة، وهو دراسة تلتقى بالقصة القرآنية للكشف عن أسلوب من أساليب القرآن الكريم فى تبليغ الرسالة السماوية، وفى لفت العقول والقلوب إليها، إذ يريها الحق مشرقًا لا تملك معه إلا التسليم، والإيمان بأن الدين الإسلامى هو خاتم الديانات، وأن الرسول - ﷺ - خاتم الأنبياء والمرسلين.

ذلك لأن القصص هو أحد الأساليب التى حملها القرآن الكريم ليحاج الناس بها، وليقطعهم عن الجدل والمماحكة، شأنه شأن ما جاء به القرآن الكريم من المناظرة

والاستدلال والتعجيز، والوعد، والوعيد، والتهديد، وغيرها سواء أكان ذلك فى قصار السور أم فى طوالها من سور القرآن الكريم.

والقرآن الكريم فى قصصه ذو نهج واضح محدد فريد، فهو فى موضوع نسيج من الصدق الخالص والحقيقة المصفاة، ليس به وهم أو خيال، فى صدق أداء، وحقيقة واقع، وهو نقل حى للأحداث حتى لكأنها تتجسد فى الزمان والمكان.

وقد انخدع بعض الدارسين المحدثين بكلمة (قصص) التى جعلها القرآن عنوانا دالاّ على ما ذكر فيه من سير الأولين وأخبار الغابرين، فخيل إليهم أن دراسة هذا القصص القرآنى تكون بدراسته حسب معايير القصص الأدبى الفنى المستحدث بما فيه من تلفيقات الوهم والخيال، فجرهم هذا إلى تفهم وجود عدم الصدق فيه، وهذا خطأ فى التصور والفهم.

أما مقاصد القرآن الكريم فى قصصه فهى الدعوة إلى الحق، والهداية إلى مواقع الخير، والميل بالإنسانية إلى مسارها الصحيح بعيدا عن الضلال.

لقد حلق المؤلف فى قضايا ذات أهمية بالغة من قضايا القصص القرآنى بادئا بمدخل عنوانه (القصة فى الحياة العربية) بيّن فيه قرب القصص من عقلية الإنسان العربى، واتخاذه وسيلة لتصوير حياته وما يحدث له، وما يقابله من أحداث، وما يشترك فيه من أمور فى سلمه وحربه، حيث تحفل حياته بالمغامرات والمخاطر والحروب والمواقع.

ثم ينتقل إلى الباب الأول وعنوانه (القصة ومفهومها فى القرآن) ليبين لنا أن القصة القرآنية ذات مفهوم خاص بها يتسامى إلى مدلولها بما فيها من واقعية الحدث والدلالة، وبما فيها من أشخاص غير مقصودين لذاتهم بل لدلالاتهم وما فيها من عبرة وعظة، وما يرمزون إليه من رموز.

ثم ينتقل إلى الباب الثانى وهو (عناصر القصة فى القرآن) مبينا هذه العناصر المتمثلة فى قالبها ومضمونها، وفى أسلوب عرضها، وفى عنصرى الزمان والمكان فيها ضاربا المثل بقصة يوسف - عليه السلام - ودلالة (بضع سنين) فى السورة، وكذلك فى غيرها من السور، كذلك المسميات والتسميات فى قصص القرآن.

أما الباب الثالث فيتناول الحركة والحوار فى القصة القرآنية بما فيه من إعجاز بيانى.

وفى الباب الرابع يتناول المؤلف عبد الكريم الخطيب فى كتابه (القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه) القوى الغيبية فى القصص القرآنى، حيث القصص القرآنى وحتمية التاريخ، وما فى القصص القرآنى من خوارق ومعجزات، ثم يكون الباب الخامس عن القدر وحسابه فى القصص القرآنى، وفى الباب السادس حديث عن الصراع فى القصص القرآنى، حيث قضايا: الصراع وواقع الحياة، والإنسان والصراع، وتصوير الصراع داخل الإنسان، ثم ينتقل المؤلف إلى التكرار فى القصص القرآنى وذلك فى الباب الرابع حيث يبين المؤلف دواعى التكرار، ويناقش الآراء المتداولة فى هذا المجال مبينًا السر البلاغى، والإعجاز البيانى فى التكرار القرآنى، مستندا إلى آراء البلاغيين. ثم ينفى عن القصص القرآنى صفة الأسطورية التى يزعمها بعض الزاعمين.

وفى الباب الثامن نجد الحديث عن الرمز فى القصص القرآنى، ودلالاته فى كثير من الآيات والسور وهو رمز إلهى ذو دلالات عميقة.

وفى الباب التاسع نجد المنهج فى دراسة القصة القرآنية، حيث نجد وقفة مع قصة آدم - عليه السلام - وخروجه من الجنة، ثم تعقيبات على القصة، ثم حديثا عن قصة يوسف - عليه السلام - فى محاولة تطبيقيه على القص القرآنى.

وقد رجع الكاتب إلى مراجع عديدة، وكان القرآن الكريم وحده هو مصدر الإشعاع لهذا البحث، كما يعبر المؤلف، يقول: «كان وقوفنا بين يدى آياته وكلماته فى عبارة خاشعة ضارعة، هو الذى فتح لنا وجوهًا من النظر فى كتاب الله، وأرانا الرأى الذى جعلناه كلمات مسطورة فى هذا البحث».

كما رجع إلى كتب التفاسير، ثم إلى بعض المصادر العربية القديمة، وبعض المراجع الحديثة.

وبعد أن يتناول قصة يوسف - عليه السلام - فى نهاية كتابه يقول: «وهكذا حياة أصحاب الرسالات من الأنبياء والرسل والقادة والمصلحين، إنها زرع وحصاد،

وإنه بقـدر الجهـد المبذول فى الزرع، وبقـدر العناء والمكابدة فى الغـرس والسـقى والرعاية يكون الثمر كثرة وطيبًا.

فإذا نظر ناظر إلى هذه الأمة، أمة الإسلام، فى كثرة أعدادها وفى وفرة عطائها، وفى قوة تأثيرها فى الحيـاة، عـرف قـدر الجهـد الذى بـذله النبى - ﷺ -، وقـدر ما احتمل من عناء، وما كابد من مشقة، وما بذل من جهد. إن كل مؤمن برسالة هذا النبى الكريم، هو ثـمـرة من ثمـار هذا الزرع الذى غـرسـه النبي بيـده، ورواه بعرقه، ونماه بسهره وأرقه».

حقًا إن كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو أثمن ما تملكه البشرية الآن وأعظم ما تستند إليه فى حياتها، أقـول البشـرية بوجـه عام ولا أقتـصر على المسلمين فـحسب، إذ إن كنوزه العظيمـة تشـمـل بنفعـها وهديها ونورها كل فـرد فى مـجتـمعـاتنا المعاصـرة التى هى أحـوج ما تكون إلى هدى الله - سبـحانه وتعـالى - فى عـصرنا، عصـر المادة والتناحـر والخصومـات، العصر الذى يحتاج إلى أن يدنو شيئًا فشيئا من الروحية والإنسانية.

٢٦ - (الدستور القرآنى في شئون الحياة - محمد عزة دروزة):

القـرآن الكريم هـو الهـدى الذى اهتـدت به الأمـة الإسـلاميـة فى صـدر الإسـلام واستـمدت منه نشاطها وحيويتها، فكان لذلك الأثر الأكبر فى تلك الصـورة الرائعة القوية التى كـانت لها. وليس من ريب فى أن القـرآن الكريم سيظل أقـوى مؤثر فى حياة الأمة العربية، لأنه كتاب دين المسلمين، ومن واجب كل مخلص لدينه وقـومه وإنسانيته، أن يبذل جهده فى سبيل ذلك، لأن القرآن قد احتوى من النظم والقواعد والمبـادئ ما من شـأنه أن ينهض بهـا إلى ذرى الكمـال فى كل مـجـال من مـجـالات الحياة، ويوجـهها فى أحسن السبل وأشرفها وأنزهها وأعدلها وأتمها صفاء وسناءً وكمـالاً، ولأن الدين الإسلامى الذى يمثله القـرآن ليس دينًا روحـيا أو أخلاقـيّا أو عنصريا أو محليا فحسب، كما هو الحال فى جل الديانات الأخرى. بل هو دين كيان وسياسة ونظام وعمل وواقع، ثم هو دين إنسانية شاملة وعالم عام سياسى

واجتماعى، يدخل فى نطاقه الناس جميعهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم ومواطنهم، فلا جرم أن يكون مدد الأمة العربية فى حياتها الجديدة تستمد منه نشاطها وحيويتها، وتستبين منه صراطها المستقيم الذى تسير عليه فى شئونها السياسية والاجتماعية والأخلاقية الشخصية، حتى تكون لها تلك الصورة التى تتوق إليها، والمركز الذى تتطلع إليه.

والدعوة إلى الاستمداد بالقرآن الكريم والاهتداء بهداه والسير عليه، تحتوى جميع عناصر الاستجابة، لما احتواه من تلك النظم والمبادئ والقواعد، ولا يستطيع أى فرد أن يرتاب فى قوتها وتأثيرها النافذ العميق فى نفس الأمة، إذا ما صدرت عن قوة وجد وإيمان وحسن فهم.

ولاشك أن تجلية الفصول من الآيات القرآنية، وخاصة ما يتصل منها بشئون الحياة ـ على اختلاف وجوهها وتنوع غاياتها وبأسلوب سهل موجز من أجل ما يقوم به الدعاة من خدمة للقرآن وأهدافه السامية، من ناحية، وللمسلمين بعامة وناشئتهم بخاصة تلك التى كانت تنبت صلتها به من ناحية أخرى. لاسيما أن جل تلك الفصول متصل بشئون الحياة ومحتوى ما يجب أن يسير عليه المسلم والمجتمع الإسلامى والدولة الإسلامية من نظم وأحكام ومبادئ وقواعد، وأسس.

ويتساءل المؤلف فى المقدمة قائلا: «ولقد يقول بعض المثقفين العرب: ما بالك تدعو إلى الرجعة إلى الوراء أربعة عشر قرنا، بينما العالم يتقدم طائرا إلى الأمام؟

وما بالك تبشر باستمرار حوافز حركة الأمة العربية ونشاطها فى يقظتها من شىء مضى عليه الأمد الطويل؟»، ثم يسوق أسئلة عديدة قد تتبادر إلى ذهن المتسائلين عن حالة الارتباط بتعليمات وأسس هى فى نظم البعض مستمدة من القديم، ولهذا يقول لهم رادّا ومفندًا ذلك فى النقاط التالية:

أولا: أن القرآن الذى نزل قبل أربعة عشر قرنا ليس رجعةً وقهقرى، لأنه مرن سامٍ يدعو للتقدم.

ثانيًا: لا مفر من الإفادة من تأثير المثل العليا والأفكار الفلسفية الإصلاحية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية للأديان والفلاسفة، فما بالك بخاتم الديانات.

ثالثًا : النظام شيء والتطبيق شيء آخر ، وعدم تطبيق نظام ما لا يعنى عدم صلاحيته . بل يعنى تقصير المطبقين وتخاذلهم عن التطبيق السليم .

رابعًا : جذور الدين متأصلة فى نفوس الناس تأصلاً لا يمكن لأية قوة أو دعوة أن تقتلعها منهم .

خامسًا : هذه المبادئ والأهداف من المرونة والسعة والسمو ما يبيح اقتباس ما هو صالح نافع مثير للهمم وموقظ للضمائر .

سادسًا : الاستناد إلى الدين ليس فيه تعصب ولا جمود ، ولا يحول دون التقدم والإصلاح .

سابعًا : طغت المادية على المدنية الغربية مما عطل شعور الرحمة والبر والتسامح والأخوة مما يوجب الاهتمام بالناحية الروحية وسموها .

وهكذا يمضى هذا الكتاب (الدستور القرآنى فى شئون الحياة) لمؤلفه محمد عزة دروزة فى ثلاثة أبواب وتمهيد فى أكثر من ٦٠٠ صفحة . وفى التمهيد شرح النظرية القرآنية ، وبداية لتعليماته ، وحثه على الاستمتاع بالدنيا وخيراتها لصلاح الفرد والمجتمع ، ومدى وعد الله - سبحانه وتعالى - للمسلمين بالتمكين فى الأرض ، وما ورد فى القرآن من آيات عن الحياة الدنيا ، وإباحة الطيبات والحث عليها ، وعناية القرآن بشئون الحياة الدنيا والتوحيد وأثره فى صلاح الإنسان فى الدنيا ، ثم ينتقل بعد هذا التمهيد . إلى الباب الأول وهو : فى النظام السياسى ، وإقرار القرآن لفكرة الدولة وولاة الأمر ، والشورى ، وحقوق المسلمين ، والنظام المالى للدولة ، والصدقات والتبرع ، ومبادئ العدل والإنصاف ، والقضاء ، ومعاقبة الجرائم بأنواعها ثم ينتقل إلى النظام الجهادى ، والدفاع عن الوطن ، والجهاد فى سبيل الله ، ثم ينتقل إلى الدعوة فى سبيل الله وعناية القرآن بها ، والدفاع عن الدين ، وأسلوب القرآن فى الدعوة وحفاوته بالعقل ، وكونها ركنا من أركان الدعوة .

ثم ينتقل إلى النظام الاجتماعى ، حيث التضامن الاجتماعى وحيث الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتكليف المسلمين بها جميعا ، وواجب الدعوة إلى الخير وفعله ودلالته ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالحق والصبر

والرحمة والتضامن فى سبيل وحدة المجتمع الإسلامى، وعناية القرآن بالفئات الضعيفة والفقيرة، ثم ينتقل المؤلف إلى الحرية والإخاء والمساواة فى الإسلام وصلة ذلك بحياة المجتمع وكيانه، وتوطيد القرآن لحرية المسلم وأخوته ومساواته وحقوقه.

ثم ينتقل إلى نظام الأسرة والآداب السلوكية مبينا هدف القرآن فيما أعاره للأسرة من عناية وما يجب استهدافه فى الحياة الزوجية، والأسلوب الحكيم فى خطة الطلاق، وحكم الأيمان السوقية والغضبية، ثم رخصة تعدد الزوجات وقيود التزاوج، وقوامة الرجل على المرأة، وبعض حالات النساء، ثم آداب الزيارة واللبس بما فيه من سفور وحجاب، وحكم تناول الطعام . . إلخ.

ثم يعقد فصلاً عن المبادئ الاجتماعية حيث: أخلاق الفرد، وواجب عباد الله الصالحين، ووجوب التروى فى رواية الأنباء، وخطر التفرق فى الدين.

ثم يكون عنوان الباب الثالث: النظام الشخصى حيث تتعدد القضايا حول الأخلاق والصفات الشخصية، حيث دعوة القرآن الكريم إلى تقوى الله، والصبر، والصدق، ونبذ الكذب، ونبذ الظلم، وتحريم الخمر والميسر، وتحريم الربا، والنهى عن الطمع والتحايل والنهى عن أكل حقوق الناس، والحث على العمل وابتغاء الرزق.

ثم يعقد فصلا عنوانه: إصلاح المسلم ومعالجته روحيا، حيث تتجلى أهمية التقوية والاستغفار، وكيف تكون وسيلة لاستئناف حياة جديدة ويذكر الآيات القرآنية حول الرجاء والأمل ونبذ اليأس والقنوط.

وهكذا تتعدد قضايا هذا الكتاب الذى تتسع آفاقه بقدر اتساع آفاق القرآن الكريم الذى أنزل من عند الله - سبحانه وتعالى - نبراسًا وهدى وتبيانًا لكل شىء، من استرشد به واهتدى حقق الآمال والطموح، ومن نسيه وهجره وتركه ضل وحاد عن طريق الهدى والصواب.

نفعنا الله - سبحانه وتعالى - بكتابه الكريم، وهديه القويم وألهمنا الصواب والرشاد ونفع الناس أجمعين.

٢٧ ـ (التصوير الفنى فى القرآن ـ سيد قطب):

يبدأ المؤلف كتابه منذ السطر الأول بقوله: «لهذا الكتاب فى نفسى قصة، ولقد كان من حقى أن أحتفظ بهذه القصة لنفسى، ما ظل هذا الكتاب خاطرا في ضميرى، أما وقد أخذ طريقه إلى المطبعة فإن قصته لم تعد ملكًا لى، ولا خاصة بى.

لقد قرأت القرآن وأنا طفل صغير لا ترقى مداركى إلى آفاق معانيه، ولا يحيط فهمى بجليل أغراضه، ولكننى كنت أجد فى نفسى منه شيئا.

لقد كان خيالى الساذج الصغير، يجسم لى بعض الصور من خلال تعبير القرآن، وإنها لصور ساذجة، ولكنها كانت تشوق نفسى وتلذ حسى، فأظل فترة غير قصيرة أتملاها، وأنا بها فرح، ولها نشيط.

من الصور الساذجة التى كانت ترتسم فى خيالى إذ ذاك صورة كانت تتمثل لى كلما قرأت هذه الآية:

«ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة».

يقول: «لقد كان يشخص فى مخيلتى رجل قائم على حافة مكان مرتفع: مصطبة ـ فقد كنت فى القرية ـ أو قمة تل ضيقة ـ فقد رأيت التل المجاور للوادى ـ وهو قائم يصلى، ولكنه لا يملك موقفه، فهو يتأرجح فى كل حركة، ويهم بالسقوط وأنا بإزائه أتبع حركاته فى لذة وشغف عجيبتين».

ومن تلك الصور جميعها فى القرآن الكريم خطر للكاتب سيد قطب أن يعرض للناس بعض النماذج مما يجده فى القرآن من صور، فنشر فى مجلة المقتطف سنة ١٩٣٩ تحت عنوان (التصوير الفنى فى القرآن) مقالاً تناول فيه عدة صور كشف عما فيها من جمال فنى، وبين القدرة الفائقة التى تصور، بالألفاظ المجردة، ما تعجز عن تصويره الريشة الملونة والعدسة الشخصية، يقول: «ومرت السنوات وصور القرآن تتخايل لى، وتتراءى فيها آثار الإعجاز الفنى، وكلما عدت إليها قوى فى نفسى أن أتولى هذا البحث، وأن أكمله وظللت أعكف على القرآن الكريم بين الحين

والحين أتملى صوره الفريدة إلى أن توافرت عليه ومرجعى الأول هو المصحف لأجمع الصور الفنية فيه». ويستعرضها المؤلف، ويبين طريقة التصوير فيها، والتناسق الفنى فى إخراجها وإذا به يجد أن التصوير هو قاعدة التعبير فى القرآن الكريم.

وهكذا كان كتاب التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب متضمنًا الفصول التالية: سحر القرآن، منبع السحر فى القرآن، كيف فهم القرآن، التصوير الفنى، التخييل الحسى والتجسيم، التناسق الفنى، القصة فى القرآن ومن جزئياتها: أغراض القصة، خضوعها للغرض الدينى، والدين والفن فى القصة، الخصائص الفنية للقصة، التصوير فى القصة، رسم الشخصيات فى القصة، نماذج إنسانية، المنطق الوجدانى، طريقة القرآن.

هذا حديث المؤلف عن تأثير القرآن الكريم فى العرب، وهم أهل البيان، واستحواذه عليهم وهم أهل فصاحة، يقول:

«يجب إذن أن نبحث عن «منبع السر فى القرآن» قبل التشريع المحكم، وقبل النبوءة الغيبية، وقبل العلوم الكونية، وقبل أن يصبح القرآن وحدةً مكتملة تشمل هذا كله، فقليل القرآن الذى كان فى أيام الدعوة الأولى كان مجردًا فى هذه الأشياء التى جاءت فيما بعد، وكان - مع ذلك - محتويًا على هذا النبع الأصيل الذى تذوقه العرب، فقالوا: ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾».

ثم يتساءل عن السحر الذى أثار الوليد بن المغيرة فى هذه السور المكية، إنه ليس التشريع والغيبيات والعلوم الكونية فحسب، يقول المؤلف: «لابد أنه كان فى صميم النسق القرآنى ذاته، لا فى الموضوع الذى يتحدث عنه وحده، وإن لم نغفل ما فى طبيعة العقيدة الإسلامية من قوة ومن جاذبية، فهذه الخصائص إنما تتجلى من خلال التعبير المؤثر المعبر المصور.

فلننظر فى السورة الأولى: سورة العلق، إنها تضم خمس عشرة فاصلة، قصيرة، وبما يلوح فى أول الأمر أنها تشبه سجع الكهان أو «حكمة السجاع» مما كان معروفا عند العرب آنذاك!

ولكن العهد فى هذه وتلك أنها جمل متناثرة، لا رابط بينها ولا اتساق، فهل هذا هو الشأن فى سورة العلق؟

الجواب لا! فهذا نسق متساوق يربط فواصله تناسق داخلى دقيق، هذه هى السورة الأولى فى القرآن، فناسب أن يستفتحها بالإقراء، وباسم الله: الإقراء للقرآن، واسم الله لأنه هو الذى يدعو باسمه إلى الدين والله «رب» فالقراءة للتربية والتعليم: اقرأ باسم ربك.

وإنها لبدء الدعوة فليختر من صفات الرب صفته التى بها معنى البدء بالحياة «الذى خلق»، وليبدأ من الخلق بمرحلة أولية صغيرة: «خلق الإنسان من علق» منشأ صغير حقير، ولكن الرب الخالق كريم كريم جداً، منذ رفع هذا العلق إلى إنسان كامل، يعلم فيتعلم: اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم».

وإنها لنقلة بعيدة بين ذلك المنشأ وهذا المصير، وهى تصدر هكذا مفاجأة بلا تدرج، وتغفل المراحل التى توالت بين المنشأ والمصير لتلمس الوجدان الإنسانى لمسة قوية فى مجال الدعوة العربية، وفى مجال التأملات الوجدانية».

ثم ينتقل إلى ما فى السور الأخرى من تصور تصدره رجفة الأرض، وصورة النفخ فى الصور وأن يصعق من فى السموات والأرض، ثم يعرض لتحليل عبدالقاهر الجرجانى لصور من القرآن الكريم مثل تحليل قوله تعالى: **﴿واشتعل الرأس شيبًا﴾** وروعتها التى تفوق تعبيرنا مثلا: اشتعل شيب الرأس، أو المشيب فى الرأس.

وهكذا يضع أيدينا على روعة التصوير الفنى فى آيات القرآن الكريم جملةً وتفصيلا، ذلك التصوير الحى المنتزع من عالم الأحياء والذى لا يكون ألوانا مجردة وخطوطا جامدة، هو تصوير تقاس فيه المسافات والأبعاد بالمشاعر والوجدانات، فالمعانى ترسم وهى تتفاعل فى نفوس آدمية حية، أو فى مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة.

ثم يعرض لنماذج ذهنية تخرج فى صورة حية كتحويل عمل الكفار إلى الهباء

المنشور، وهناك المعانى المجردة التى تصور الحالات النفسية والمعنوية، ومن بين الحالات النفسية فى صور القرآن وما يرسم نجد نموذجا إنسانيا واضحًا للعيان، وضرب الأمثلة التى تقرب المعنى وتصوره وتجسده، وبعض المظاهر القصصية مثل تصوير أصحاب الجنة وما حدث لهم فيها، ومن القصص الحقيقية كقصص إبراهيم وهو يبنى الكعبة مع ابنه إسماعيل - عليهما السلام - وقصة الطوفان وغيرها من القصص التى تصور تصويراً فنيّا يأخذ بالألباب.

٢٨ ـ العلم والدين فى الفلسفة المعاصرة:

تأليف أميل برترو، ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

(الهيئة المصرية العامة للكتاب)

أميل برترو مؤلف الكتاب فيلسوف فرنسى معاصر عاش معظم حياته فى أواخر القرن التاسع عشر، وتوفى بعد الحرب العالمية الأولى؛ يقوم منهجه فى البحث على رد الدين إلى عناصره، وإلى تحليل العلم وتبين أصوله التى يعتمد عليها، وبيان الصلة بين دائرتى الدين والعلم، وما يمكن أن تنتهى إليه العلاقة بينهما من وفاق أو خصام، وعلى الرغم من معاصرة هذا الفيلسوف الفرنسى لموجة الإلحاد فإنه يدافع عن الدين، وكأنه كان مبشرا بما آل إليه العلم من تقارب شديد من الدين فى وقتنا الحاضر.

ومن الملاحظ أن المؤلف لم يتناول كلية أمرا من أمور الدين الإسلامى وكذلك لم يتناول شيئا عن البوذية مع أنهما من أوسع الديانات انتشارا؛ ومن الواضح أن ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى جهله بالإسلام، ففاقد الشيء لا يعطيه، وربما كان من الأسباب أيضا ندرة المواقف المبحوثة حول علاقة الدين بالفلسفة والعلم، وخصوصا فى الأزمنة المتقدمة من العصر، ومن الجدير بالذكر أن بعض فقرات هذا الكتب ترجمها الشيخ مصطفى عبد الرازق، فى كتابه: (الدين والوحى والإسلام).

وتأتى أهمية الموضوع المثار من أن الدين روح الأمة، وسبب من أسباب

وحدتها، وعلة فى اتخاذها وجهة تشكيلها وتطبع سلوك أفرادها على هيئة خاصة بحسب الدين يعتنقه هؤلاء الأفراد، ولست تجد أمة تخلو من دين، حتى البدائيين الذين كانوا يعبدون الحجر، والشجر، والشمس والقمر؛ لأن الدين عبادة تقتضى عابدا ومعبودا، وتستلزم أن يكون المعبود مقدسا، وقد مرت البشرية فى أدوار كثيرة فى تدينها حتى بلغت الأديان السماوية التوحيدية. كان الناس يعبدون مظاهر الطبيعة وكل ما يجلب لهم الخير أو ينزل بهم الضر، فألّهوا البقر كما ألّهوا البرق والرعد، ثم انتهى الأمر بالبشر إلى تأليه كل قوة طبيعية ومن هنا نشأ تعدد الآلهة.

ثم أضفى الناس من خيالهم على هذه القوى التى ألّهوها الخرافات، وحكوا عنها الأساطير فكانت أقدم الديانات عند قدماء المصريين وعند اليونانيين خرافية أو «مثيولوجية»، ذلك أن تقدم البشرية فى البحث والتأمل والتفكير أفضى إلى أمرين: الأول الخروج من التعدد إلى التوحيد، كما حدث فى عصر أخناتون، والثانى تجريد الآلهة من مظهرها المادى المتشخص فى الميثولوجيا، واعتبار الله الواحد هو القوة العليا والكمال المطلق ليس كمثله شىء.

وتشترك الديانات السماوية الكبرى فى اعتقادات تعمها هى الاعتراف بوجود الله وأنه خلق العالم بعد إن لم يكن، وأنه بعث الأنبياء والرسل لهداية البشر، وأن الناس جميعا على موعد مع اليوم الآخر حيث الحساب، وحيث الجنة والنار.

وعلى رأس الأمور التى تشغل البال الإيمان بوجود الله، مهما انشغل الإنسان بأمور الدنيا ومهما حاول التغلب على صعابها بوسائل يتخذها فى حياته وفى أموره اليومية، وفى سبيل ذلك يسخر الكون بما فيه لخدمته ومن هنا يأتى العلم ودوره حيث تقدم بخطوات هائلة، وخصوصا منذ القرن الثامن عشر إلى أن توصل الإنسان إلى معرفة سر المادة وتركيبها وانتقل من عصر البخار إلى عصر الكهرباء إلى عصر الذرة والفضاء.

هذا العلم الذى يقوم على التجريب وعلى المشاهدة، والملاحظة، والإحصاء أثار تساؤلا مهما لدى الناس هو: لم لا نطبق المناهج العلمية على الدين وبخاصة بعد تطبيقها على ظواهر إنسانية أخرى مثل النفس الاجتماعية حيث نشأ علمان جديدان هما: علم النفس، وعلم الاجتماع؟

وهذا سؤال مهم، فهل يمكن أن يخضع الدين للمناهج العلمية؟، وهل إذا طبقنا المناهج العلمية على الدين يزيد إيماننا بالدين أو يتزعزع من قواعده باعتبار أن أساس الدين هو الوحى، أو هذه الصلة بين الله والإنسان؟.

فى القرن التاسع عشر سار العلم فى طريق معاد للدين، وانتشرت فى أوربا موجة شديدة من الإلحاد باسم العلم، ذلك أن العلم كان ينادى بالحتمية التى تعنى أنه إذا ما توافرت الشروط والأسباب تحتم وقوع النتائج، وبناء على ذلك يكتفى العالم بنفسه ولا حاجة به إلى علة أخرى خلاف وجود المادة، وحركتها، وتطورها، وسيرها فى طريقها المحتوم. ولكن منذ صدر القرن العشرين بدأ يرى أن الحتمية غير ضرورية، وأن القانون الذى يحكم العالم هو قانون الاحتمالات، وبذلك انفسح المجال للقول بقوة عليا تسير العالم خارج نفسه، ولذلك نرى فى الوقت الحاضر موجة من التدين تعم العالم باسم العلم ذاته، وقد ترجم فى مصر إلى اللغة العربية كثير من الكتب الحديثة التى تحث على الإيمان عن طريق العلم، مثل كتاب العلم يدعو إلى الإيمان، وكتاب الله يتجلى فى عصر العلم، وغير ذلك وراجت هذه الكتب رواجا عظيما، وطبعت أكثر من مرة مما يدل على تعطش قراء العربية إلى مثل هذا النوع من الدراسات، ولا غرابة فى ذلك، فنحن نعيش فى عصر العلم الذى تغلغل فى جميع شئون الحياة، وأصبح تفكيرنا فى الأعم الأغلب تفكيرا علميا.

خطة الكتاب:

يقع الكتاب فى مقدمة وجزأين:

الجزء الأول: موضوعه النزعة الطبيعية ويتكون من أربعة أبواب. الباب الأول: عن أوجست كومت ودين الإنسانية، وفيه نلتقى ببحث مذهب أوجست كومت، وتأويل المذهب وقيمته، وفى الباب الثانى: نلتقى ببحث عن هربرت سبنسر ومالا يمكن معرفته، وفى ذلك يصنع المؤلف ما صنعه مع كومت، أما الباب الثالث: ففيه الحديث عن هيجل والوحدانية وفيه الحديث عن مذهبه وقيمة هذا المذهب، والفلسفة الأخلاقية، أما الباب الرابع: فيتحدث عن المذهب النفسانى والمذهب الاجتماعى، وفيه نلتقى بالتفسير النفسانى والتفسير الاجتماعى، ونقد المذهب النفسانى والاجتماعى.

أما الجزء الثانى : فموضوعه النزعة الروحية وفيه الحديث عن ريتشل والثنائية المتطرفة ثم حديث عن الريتشالية وعن قيمها وذلك فى الباب الأول .

وفى الباب الثانى : يدور الحديث عن الدين وحدود العلم وفيه دفاع عن الدين ، وحديث عن صعوبات المذهب وحديث عن العلم باعتباره يتجه نحو الدين ثم حديث عن بعض الصعوبات القائمة .

وفى الباب الثالث : يدور الحديث عن فلسفة العقل وفيه حديث عن البرجماتية ، وعن تصور للعقل الإنسانى وملاحظات نقدية ثم ننتقل إلى الباب الرابع وفيه حديث عن وليم جيمس ، وملاحظات نقدية ثم خاتمة مفصلة .

يرى المؤلف أن أمر العلاقات بين الدين والعلم حين يراقب فى ثنايا التاريخ يثير أشد العجب ، فإنه على الرغم من جهود أعظم المفكرين التى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل حلا عقليا ، لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما صراع يريدكل منهما أن يدمر صاحبه لا أن يغلبه فحسب . على أن هذين النظامين لا يزالان قائمين ، ولم يكن مجديا أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق ، وكأنما انعكست الآية منذ ذاك وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان ، ولكن الأديان ظلت راسخة وشهد بما فيها من قوة الحياة عنف الصراع .

فإذا نظرنا إلى المذاهب التى تلخص الأخطار الراهنة عن علاقة الدين بالعلم وتعرفها ، رأينا أنها تتوزع إلى مجموعتين تمثل إحداهما ما يمكن تسميته بالنزعة الطبيعية ، وتمثل الأخرى النزعة الروحية .

وقد وضع المؤلف فى النزعة الأولى على سبيل المثال مذهب أوجست كومت الوضعى ، أو دين الإنسانية كما يقال ، ومذهب هربرت سبنسر فى التطور ونظريته فيما لا يمكن معرفته ، ومذهب هيجل الواحدى الذى يفضى إلى دين العلم ، والمذهب النفسانى ، والاجتماعى وهما يردان الظواهر الدينية إلى مظاهر طبيعية للنشاط النفسى والاجتماعى .

وقد أدخل فى النزعة الثانية ثنائية ريتشل المتطرفة التى تنتهى إلى التمييز بين

الإيمان، والاعتقادات ومذهب حدود العلم، وفلسفة الفعل باعتبار أنها تربط العلم بالدين بمبدأ مشترك، ومذهب التجربة الدينية كما يعرضه وليم جيمس.

ويضيف المؤلف إلى ذلك قوله إنه: (لو نظرنا نظرة كاملة لأضفنا إلى هذه الثنائية مذاهب أخرى كثيرة، ومع ذلك فهذه الأمثلة كافية فى بيان عنف ومثابرة وأسلحة هذا الصراع المتجدد على مر العصور، ومن الجرأة أن نتنبأ بنتيجة هذا النزاع باسم المنطق وحده، لأن أنصار كل قضية منهما يلحون منذ زمن طويل فى الجدل دون أن ينجحوا فى إقناع بعضهم بعضا، أما أن نقطع فى هذه المسألة بأن نرسم بادئ بدء خط التطور التجريبى للتطور المستخلص فى التاريخ أو الذى يظن استخلاصه منه، فهو أيضا منهج شديد السذاجة، ولا يكفى أن يصبح الشىء قديما ليقترب من نهايته وليس الحال بالضرورة فى حياة الأفكار والعواطف والمعنويات، كالحال فى حياة الأفراد، بل أكثر من ذلك عندما تموت هذه الأمور فقد يمكن أن تولد من جديد، وبخاصة إذا طال عليها أمد النسيان، وهذا هو شأن الثورات التى تكون أعنف بمقدار ما تحيى مبادىء أقدم، فعندما أراد روسو أن يجدد العالم رجع إلى الطبيعة باعتبار أنها أقدم من سائر التقاليد، هذا إلى أن التاريخ يقدم لنا ألوانا من التطور يلوح أنها تتجه وجهة محدودة، كما يقدم لنا كذلك حركات منتظمة تطور إحدى مراحلها هو نهاية مرحلة مضادة لها. أن سير الأمور، الإنسانية يبلغ من التعقيد حدا يمنعنا من الانتقال من تطور معين إلى أسبابه الميكانية المحدودة له، هذه الأسباب التى بدون معرفتها لا يتسنى التنبؤ العلمى الصحيح.

وإذا صح أن الدين والعلم يمكن تشبيههما بالأحياء، فكيف نقيس حيويتهما ومستودع طاقتهما، وإمكانيات يقظتهما، ألسنا نرى اليوم أن بعض علماء الطبيعة يفسرون التغييرات المفاجئة التى تظهر أحيانا فى بعض الأنواع الطبيعية بخصائص ظلت كامنة إلى ذلك الوقت حتى جاء الظرف الملائم، لظهورها فجأة فبدلا من التنبؤ عن مستقبل الأديان بأحكام أقرب إلى اليسر منها إلى التحقيق، قد يكون من المفيد أن ننظر إلى حالة كل منها الراهنة، وأن نحدد بمقتضى هذه الدراسة طريقة تصور العلاقات بينهما، وهى طريقة تبدو كما يقول أرسطو ممكنة ومناسبة فى آن واحد.

الصلة بين الروح العلمية والروح الدينية:

يقول المؤلف: (أيهما أجدر بالبحث أولا الدين أم العلم؟ لم يكن ذلك أمرا ذا بال فى الزمن القديم، أما اليوم فلم يعد الأمر كذلك، فقد تحرر العلم كما يقال فى التعبير المشهور، ففى الوقت الذى لم يكن للعلم من يقين سوى ما تخلعه عليه بعض المبادئ الميتافيزيقية التى كان يتسق بها ظواهر الكون، وجد فى التجربة مبدأ خاص به باطن فيه، منه تستمد على السواء بغير معونة سوى معونة النشاط الفكرى المشترك الواقع التى هى مادة عمله، والقوانين التى بها ينظم تلك الوقائع).

الروح العلمية:

بدت الروح العلمية مع «ديكارت»، وبوجه خاص مع «كانت» محدودة بصورة ثابتة عن طريق الشروط المنطقية للعلم، وطبيعة العقل البشرى، وقد ذهب ديكارت إلى النظر إلى سائر الأشياء من زاوية تسمح بردها مباشرة أو بالواسطة إلى عناصر رياضية، أما عند «كانت» فالروح العلمية هى الإثبات - أوليا - للرابطة الضرورية بين الظواهر فى الزمان والمكان، وبعد أن تسلح العقل بهذه المبادئ فنزل إلى الميدان بعزم جديد يكشف عن قوانين الطبيعة، وخيل إليه أثر النجاح الذى لقيه أنه قد وضع يديه من الآن فصاعدا على الصور الأزلية المطلقة للحقيقة، غير أن هذا الرأى تعدل حين اختبرت من قريب الطريقة التى بها يتكون العلم وشروط نموه ويقينه.

ويلوح من الثابت اليوم أن الروح العلمية، وكذلك مبادئ العلم ليست معطلة مقررة بل تكون نفسها كلما تجدد العلم وتقدم، فمن جهة العقل يصنع العلم الذى لا ينفصل عن الأشياء، كما ينفصل العنصر عن المركب الكيمائى، ومن جهة أخرى يؤثر المصنوع فى الصانع، إذ ليس ما نسميه بالمقولات العقلية إلا مجموع العادات التى كونها الذهن فى عمله لتمثل الظواهر، فهو يلائم بينها وبين غاياته، ويلائم بين نفسه وبين طبيعتها؛ ولا تتم هذه الملاءمة إلا بضرب من التوفيق.

الروح الدينية:

قد يبدو المؤلف ذا ميل كبير إلى الاعتقاد بأن العلم ينبع من العقل، وأن الدين خارج عنه، يقول المؤلف: (من أيسر الأمور لحل هذه المسألة، أن نقرر أن الروح

العلمية لها وحدها كل ما هو جوهرى فى العقل البشرى، وأن جميع الآراء أو النزعات التى بوساطتها تجلت الروح العلمية على مر العصور، لها فى مبادئ العلم تعبيرها الوحيد المحقق والمشروع، وعندئذ فكل ما هو خارج عن العلم، فهو من أجل ذلك خارج عن العقل، وحيث كان الدين بالضرورة شيئًا آخر خلاف العلم، فهو أوليا من بين مواد التجربة الخام التى من شأن العلم أن يحيلها إلى رموز موضوعية، قادرة أن تصاغ فى ثوب من الحقيقة).

والواقع أن هذا الرأى فى حاجة إلى نقاش، فالروح العلمية هناك تمتلك جوهر العقل بل تعتمد عليه بالدرجة الأولى، وهذا حق لكن الشطر الآخر من القضية، والذى يعنى أن كل ما هو خارج عن العلم فهو من أجل ذلك خارج عن العقل، هذا الشطر يبنى على أساس واه يجعله غير مقبول فى ميدان النقاش، فافتراض أن الروح الدينية لا تستند إلى العقل افتراض غير علمى وغير موضوعى، فالعقل البشرى فى مجال الاعتقاد أو فى الناحية الدينية يستند إلى تراث حضارى دينى يرجع إلى آلاف السنين من عمر البشرية، كانت البشرية فيه خلال هذا العمر الطويل تحاول ـ دائبة ـ التوصل إلى صيغة سديدة فى مجال الاعتقاد، وغنى عن البيان تتبع هذا التسلسل الطويل، والمحاولات المتعددة التى خاضتها البشرية فى هذا الصدد وبتأمل هذه المحاولات بما فيها من صواب وخطأ، وهدى وضلال، وصيحات أرضية ووحى سماوى ـ يمكن أن يصل الباحث إلى حقيقة مهمة، وهى أنه حين استخدم الإنسان عقله وعمل على ألا يقع فى تناقض وأن يضع الأمور فى نصابها، وأن يتغلب على هواه وعواطفه، وينتصر عليها، أى يحكم عقله، وصل إلى الحق، وحين ارتفع صوت الله ـ سبحانه وتعالى ـ على لسان رسله باليهودية والمسيحية والإسلام نطق الحق بإعمال العقل والتفكير، والنظر، فهذا تساؤل: هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

وهذا حض على إعمال العقل، وهذا تساؤل: أفلا يتدبرون؟ أفلا يعقلون؟ وغير ذلك مما يكثر حصره من آيات للقرآن الكريم التى تشيد بالعقل واللب والفكر والنظر، وتأمر بها، وتلوم من يبعد عن نطاقها.

وقد يحلو هنا الرجوع إلى كلام المؤلف ليبدو إيمانه بما نذهب إليه، أو بما هو

واقع . إنه يعود مرة أخرى إلى القول بأن الإيمان الحق هو ما يقوم على العقل ، وأن هناك صلة قوية بين الدين والعلم ، يقول : (الإيمان ، لسنا نقصد الإيمان الأعمى ، بل الإيمان الذى يسترشد بالعقل والفطرة ، ومعنى الحياة والمثل والتقاليد ، هذه الأمور يوجد فيها الباعث العلمى الذى يسمح لنا بالقول : هذا موجود ، ولما كان المقصود هو توجيه العقل فى طريق يختلف عن النتيجة الميكانية للأشياء فمن المستحيل هاهنا أن يكون العلم كافيا ، ولا تزال عبارة القديس «أوغسطين» التى لفتت نظر «باسكال» صحيحة ، وهى أننا نعمل للمجهول ، والحياة بالنسبة للإنسان الذى يفكر رهان ، ولا يمكن أن نتصور أن تكون غير ذلك .

يترتب على هذا الشرط الأول شرط ثان ، فالإيمان ليس بالضرورة قبولا سلبيا لما هو موجود ، على العكس إنه قادر على اتخاذ موضوع لم يوجد بعد ، ولا يبدو أن يكون واجبا ، ولعله يكون مستحيلا لولا هذا الإيمان نفسه ، ولهذا السبب كان الإيمان فى الإنسان بوجه عام ، وفى الصفوة الممتازة بوجه خاص ، يولد موضوعا من الفكر يختلف فى جدته ، فهو إدراك عقلى أصيل يركز فيه بصره ، والإنسان الذى يريد أن يعمل كإنسان لابد له من غاية ، وكلما كان الإيمان شديدا قويا كانت هذه الغاية مثلا أعلى يختلف فى تميزه وسموه عن الواقع ، فالإيمان أولا لايبصر موضوعه إلا غامضا ، وعلى بعد فى الغيوم ، ولكنه يجتهد فى تحديده بما يطابق حاجة العقل والإرادة فهو يحدد شيئًا فشيئًا كلما عمل على تحقيقه .

وأخيرا ينشأ عن الإيمان الخالق والموضوع الذى ينصبه أمامه ، شرط ثالث للفعل هو المحبة ، فالإرادة تعشق مثلها الأعلى بمقدار ما يتلون هذا المثل بظلال أكثر جمالا وحياة بالتأثير المؤتلف من الإيمان والعقل .

فهذه هى الشروط الثلاثة للفعل الإنسانى : الإيمان ، والمثل الأعلى ، والحماسة ، ولكن أليست هذه هى بالضبط المراحل الثلاث لنمو الروح الدينية؟ ألا تعبر هذه الألفاظ الثلاثة تعبيرا أمينا عن الصورة التى تلبسها الإرادة والعقل والعاطفة بتأثير الدين؟ .

فالحياة إذن من أحد وجوهها تعنى من جهة مطامحها المثالية تشارك مشاركة طبيعية فى الدين ، وإذ كان من الواضح من جهة أخرى لا من جهة صلة الحياة

الإنسانية بالطبيعية أنها تشارك فى العلم لأنها تطلب منه وسائل بلوغ غاياتها، فقد يبدو من الصواب أن نرى فى الحياة همزة وصل بين العلم والدين ا. هـ.

ويمضى المؤلف فى حديثه المتنوع ذاكراً أن هناك كثيراً من المفكرين يعترضون على المكانة التى ننسبها إلى الدين فى حياة الإنسان ويقولون كان من المباح للدين - إلى عهد قريب - أن يعمل على تقدم الإنسانية، ولأن الأخلاق كانت إلى حد ما متوقفة عليه، ولكن هذا التضامن بينهما لم يكن إلا عارضا مؤقتا، فقد نشأ الدين والأخلاق تاريخيا ونما كل منهما بعيدا عن صاحبه، بل إن تقدم الأخلاق نفسه هو الذى أرغم الدين أن يتلاءم وإياه وأن يصطنعه، ولكن كما أنهما نشآ فى ابتداء الأمر مستقلين، فكذلك هما فى الوقت الحاضر فى طريق الانفصال، وأصبحت الأخلاق منذ أن تحررت وأضحت شبيهة بغيرها من العلوم كافية، وكافية جدا فى توجيه الإنسانية.

والمؤلف ينشط فى بيان أهمية الدين، ويرد على من يقلل من أهميته، فهو يرى أن الدين يستهدف تحويل الناس والأشياء من الباطن لا من الخارج بالاعتقاد والمثال والمحبة والصلاة، واتصال النفوس، لا بالقهر أو بالسياسة ومن البين أنه ليس على الدين أن يخشى تقدم العلم أو الأخلاق أو النظم.

ويأخذ الأستاذ الدكتور المترجم على المؤلف - ونوافقه على ذلك - انصرافه عن الإسلام تماما، فهو يتحدث عن المسيحية ويقول:

(وهى آخر ما شهدته الإنسانية من الأديان الكبرى)، ويثبت بذلك جهله بالإسلام، وهو خطأ فادح يقع فيه فيلسوف كهذا، فخاتم الديانات الإسلام لا المسيحية، وخاتم الأنبياء والرسل محمد - ﷺ - وليس المسيح - عليه السلام - وخاتم الكتب السماوية هو القرآن الكريم، كيف يغيب عن المؤلف ذلك والإسلام ينتشر بين أكثر من أربعمائة مليون مسلم ينتشرون فى بقاع الأرض وقت صدور الكتاب؟

ومع هذا كله فالكتاب يعد بحثا أصيلا فى تقريب الهوة المصطنعة بين العلم والدين، وفى ذلك تأكيد للحق والصواب، يقول المؤلف:

(والأمر كذلك بالنسبة إلى الدين والعلم، فالنزاع يشمل أحدهما كما يشمل الآخر، وإذا ساد العقل فسينبثق من مبادئهما المتميزة، بعد أن أصبحت أعظم وأقوى وأطوع، صورة من الحياة على الدوام، أضخم، وأعنف، وأعمق، وأكثر، وأضخم، وأغنى، وأعمق حرية وجمالا وفهما، ولكن هاتين القوتين المحتفظة كل منهما باستقلالها الذاتي، لا يمكن إلا أن يسيرا في طريق السلام والتوافق والائتلاف دون أن يزعما أبدا بلوغ الغاية، لأن هذا هو شرط الحياة الإنسانية).

٢٩ ـ القرآن وتفسير الكون والحياة:

مؤلف هذا الكتاب محمد العفيفي، وهو كتاب ينطلق من حقيقة مسلم بها هي أن في القرآن تفصيل كل شيء، والمؤلف يسارع فيدفع وهما قد يتسرب إلى أذهان البعض، الذي يظن أن القرآن الكريم فيه تفصيل مادة الحياة بذاتها، وأن به ذكر أجزاء المادة، أو تفصيلات المعادلات الرياضية أو الكيميائية، إلى غير ذلك من تفصيلات الوقائع المادية ذاتها.

ولهذا يسارع المؤلف بالرد، أن القرآن الكريم أعظم من ذلك وأعلى قدرا من أن يكون ضمن محتويات الحياة المادية.

ذلك أن القرآن الكريم كلام الله، وهو فوق الحياة وليس ضمن محتوياتها.

أما كون القرآن الكريم ففيه تفصيل كل شيء فمن حيث كونه مهيمنًا على تفصيلات المادة، بتفصيلات الحقيقة المحيطة بسائر علاقات الأشياء بعضها ببعض.

والحق تعالى ليس كمثله شيء لأنه هو رب كل شيء، والأشياء ليست تكراراً ذاتيًا وحسب!!.

ويشير المؤلف إلى ما تتضمنه سورة (الرعد) عن حقيقة الحركة والتضاد والتغير والاتصال.

ويشير إلى تفصيلات القرآن، وإلى أنه يفصل بين مراحل الجهل الإنساني بحقيقة عملية، ومن التفصيل القرآني أن نجد الآية الواحدة مقسمة في فصول من الحقيقة المطلقة اليقينية التي لا شك فيها.

وتفصيل القرآن هو تفصيل فى كلمات القرآن كلها، حيث هى مفصلة تفصيلاً يعجز عنه الناس جميعا، لأنه تفصيل لا يتخلف عن كلمة واحدة من كلمات القرآن كله.

إن المؤلف يقف أمام مفتتح السور التالية: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة وهى ست سور تبدأ بقوله تعالى: ألم.

المطلع واحد لا يتغير، لكن هناك تفصيلا لاشك فيه بين الحقيقة التى تحملها كل آية من السورة فى الآيات الست فى هذه السور.

ففى سورة البقرة حديث عن الكتاب الذى لا ريب فيه هدىً للمتقين، وفى سورة آل عمران حديث عن الله الحى القيوم الذى لا إله إلا هو، وفى سورة العنكبوت مواجهة مع تساؤل عن الإيمان القولى دون ما يصدقه من عمل مع بيان أن هناك اختباراً يظهر الحقيقة، وفى سورة الروم فقد سبقت حدثا تاريخيا، بما يكون من أمر انتصار الروم على الفرس، وقد كان، كما هو مشهور فى التاريخ، ثم نجد فى سورة لقمان تحدثنا الآيات عن الكتاب الحكيم، وفى سورة السجدة نجد الكلام عن التنزيل وعن كونه لا ريب فيه لأنه من رب العالمين.

وهكذا يصل المؤلف إلى أن التفصيل القرآنى تفصيل مطلق شامل يتصل بكلمات القرآن جميعا، كما يتصل بمواضع الخضوع لها فى وقائع الحياة، سواء أكانت وقائع فكرية أم عملية فى المجتمع الإنسانى أو فى رحاب الكون المادى نفسه.

والمؤلف يتخذ من ذلك مدخلاً لعرض فصول الكتاب وهى سبعة فصول جمع فيها بين حقيقة التفصيل القرآنى وبين سبع من القضايا الفكرية والعملية الكبرى فى رحاب الوجود الإنسانى، وما يتصل منه بالكون المادى كله، حيث كل وجود إنسانى أو مادى.

وهذه القضايا السبع تبدأ بالكلام عن تفصيل القرآن لكل شىء، على أساس أن الحياة المادية مفصلة تفصيلا قائمًا على الاختلاف، والاختلاف هو التكاثر الذى يلبى حاجات الإنسان من الكلمات كما يلبى حاجاته من المنتجات المادية.

ثم يتبع ذلك فصل عن ضرورة إدخال وعينا فى الحساب لتتحقق لوعينا معادلة اتصال احتمالاتنا بيقين القرآن فنتيقن .

ويتصل بذلك فصل عن علاقتنا بالمكان وكيف يتصل البعد الإنسانى بالكتلة وبالحركة والتغير والتضاد والاتصال .

ثم أتبع ذلك فصلاً عن حقيقة ما وراء الوقائع المادية ، من آثار القدرة الإلهية وحقيقة فطرة الله فى خلقه وما يدل على ذلك من أن إحساسنا بالزمن هو إحساس المخلوقين المتفانين بالحقيقة التى لا تخضع للحدود وما يتعلق بذلك من تعلقنا بكلمة «أبدًا» دون أن يكون لنا الحق فى إطلاق هذه الكلمة .

ثم نقرأ فى الفصل الخامس عجز الجنس البشرى عجزا مطلقًا عن إطلاق الأسماء على سائر المنتجات المادية لأن المنتجات والمكتشفات متغيرة ، بينما الأصل فى الأسماء أن تكون ثابتة لتستطيع حكم التغير بالثبات .

فهكذا تتبين حتمية وجود القرآن وحتمية حكمه لأحوال الحياة جميعا .

ثم ينتقل إلى الفصل السادس وفيه يبين دراسة تفصيلية مستلهمة من تفسير القرآن لآفات الخوف والحزن والجنون ، وارتباط ذلك كله بعتاة الإلحاد وما يتجلى فى مشاهيرهم من الجنون أو إشاعة الجو المأساوى فى عالمهم الفكرى الغارق فى الأوهام .

وهكذا يكون المؤلف قد وصل إلى الربط بين التفصيلين : تفصيل القرآن ، وهيمنة تفصيله على تفصيل كل شىء من ظواهر العلاقات بين الوعى البشرى ، وبين المسيرة الكونية ، بليلها ونهارها ، وما يتبع ذلك من عدد السنين والحساب أى من أبعاد التاريخ وسائر معادلات الرياضة والعلم والأخلاق .

وهكذا نجد هذا الكتاب فى جولة مع تفسير الكون والحياة فى القرآن الكريم .

٣٠ ـ القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم:

يبدأ المؤلف كتابه ببيان أن لغتنا العربية ما زالت حية قوية ، لأنها أخذت من فيض

القرآن ما يضمن لها طول البقاء، فقد أخذت منذ أربعة عشر قرنا تتقدم فى قوة وثبات فى طريق الحياة، تاركة وراءها لغات أخرى انتقلت من ميدان الحياة إلى سجلات الآثار والمحفوظات.

لقد قامت فى العصر الإسلامى الأول حركة علمية لصيانة القرآن الكريم من العامية المستبدة والعجمى الوافدة تتمثل فى تنقيط المصاحف تنقيط إعراب. ولم يكتف العلماء بهذا. بل تجاوزوه إلى دراسة الشعر العربى، دراسة نقد وتمحيص من أجل أن يكون صورة صادقة للغة القرآن الكريم.

من أجل القرآن الكريم جمع سيبويه كتابه ليكون مناراً يهدى المتعلمين وبخاصة، الأعاجم إلى لغة القرآن.

من أجل القرآن ألفت كتب فى موضوعات مختلفة فى التفسير وفى المعانى وفى الإعراب وفى الغريب.

ومن أجل القرآن ازدهرت الحركة النحوية فى البصرة، وانتقلت إلى الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى الأندلس ثم إلى مصر والشام.

ومن أجل القرآن تعددت المناظرات واحتدم النقاش وكثر الجدل وفاضت كتب النحو بمعين لا ينضب من هذه المناظرات أو المناقشات.

ومن أجل القرآن قامت حركة التيسير النحوى على يد ابن مضاء القرطبى، ثم على يد ابن هشام الذى جعل من القرآن الكريم ميدان تدريب، ومجال إعراب ومضمار دراسة.

ومن أجل القرآن وبفضل معجزته الخالدة استمرت هذه اللغة العربية حيةً متجددة.

وحين نمضى مع فصول الكتاب نجد قضايا متعددة من هذه القضايا: القرآن من حيث المعنى والاشتقاق، فهو مشتق من: القرائن، أو القرء أى الجمع، أو من الإظهار، أو مصدر قرأ، أو أنه علم على القرآن.

ومن حيث التوثيق، توثيق النص القرآنى، نجد توثيقه أيام الرسول - ﷺ - بالنهى عن كتابة أى شىء سوى القرآن.

«لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه».

ويستنتج المؤلف من ذلك أن القرآن كان موثقًا مكينًا فى عهد الرسول - ﷺ - ثم يعرض لتوثيقه فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق - رضي الله عنه -، حيث جمع زيد القرآن الكريم من اللخاف، وأفواه الرجال فى مصحف واحد أو فى صحف لا فى مصحف واحد فى روايات أخر.

وبجانب مصحف أبى بكر كانت هناك مصاحف خاصة لبعض كبار الصحابة - رضي الله عنهم -. ثم كان توثيق النص القرآنى فى أيام عثمان - رضي الله عنه - .

أما اللغة التى كتب بها القرآن فى هذه المرحلة، وكتب بها زيد بن ثابت فهى لغة قريش، لأن القرآن نزل بلغة قريش.

أما رسم المصحف، فهو رسم حروفه الهجائية، واختلف الرسم العثمانى عن الرسم الإملائى، كحذف ألف التثنية، وحذف الألف عن الجمع فى كلمة كالصلوت وقبلها واوا، وهو يكثر لا يحصر.

ثم ينتقل المؤلف إلى فصل عنوانه: أثر القرآن الكريم فى نشأة النحو وتطوره إلى عصر سيبويه.

وهو يبدأ بتفسير معنى اللحن، وبيان وقت ظهوره، ويناقش رأى جولد تسيهر فى أن القراءات نشأت عن رسم المصحف، وصلة المصحف العثمانى بالقراءات، وإعجام القرآن الكريم، ومتى وضع هذا الأعجام.

إن المؤلف يبين متى ظهر اللحن سواء لدى الخاصة أو العامة، ثم نمو الحركة النحوية ومظاهر هذه الحركة، ويقدم تراجم موجزة لأشهر هؤلاء النحاة وطائفة من آرائهم النحوية فى مجال القرآن الكريم من أمثال: عبدالله بن أبى إسحاق، وأبى عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفى، ويونس بن حبيب، والخليل بن أحمد.

ويناقش المؤلف أثر القرآن الكريم فى اتجاهات المدارس النحوية، فيتناول مدرسة البصرة وأثر سيبويه فيها، مبينًا منهجها، شارحًا القياس، ومصادره اللغوية، وأثر القرآن الكريم فى التخريجات النحوية عند البصريين، واستشهاد البصريين بالقرآن الكريم.

كما يتناول أثر القرآن الكريم فى مدرسة الكوفة مبينًا نشأة المدرسة ومنهجها وطائفة من المسائل النحوية التى استشهد بها الكوفيون.

ثم ينتقل إلى الحديث عن أثر القرآن الكريم فى مدرسة بغداد، مبينًا أثر القرآن فى آراء نحاة مدرسة بغداد أمثال: الزجاج، وابن كيسان، وأبى على الفارس، وابن جنى، وابن الشجرى، وابن الأنبارى.

ثم يتحدث عن مدرسة الأندلس، وأثر القرآن الكريم فى تلك المدرسة، ثم يتحدث عن: ابن عصفور وابن مضاء القرطبى، ودعوته الجديدة فى النحو وأثر القرآن فى تلك الدعوة.

ثم يتحدث عن مدرسة مصر والشام، ويتحدث عن ابن الحاجب وطائفة من آرائه فى محيط القرآن الكريم، وعن أبى حيان الأندلسى وابن مالك، وابن هشام، وآرائهم فى محيط القرآن الكريم.

وهنا ينتقل إلى الباب الثانى وعنوانه نحو القرآن، حيث يتحدث عن مصادر النحو القرآنى، ونشأة التفسير، وطبقات المفسرين، وتفسير الكشاف للزمخشرى ومصادره، وعن البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، وغريب القرآن، ومجاز القرآن، ومعانيه وبعض ما أنتجه السلف فى هذا المجال، حتى يقدم نماذج من النحو القرآنى، فى الحروف، والزيادة، والعطف وغيرها من القضايا على نحو يحيط بأثر القرآن الكريم فى الدراسات النحوية.

٣١ ـ (الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير تأليف الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة):

يقع الكتاب فى ٤٨٨ صفحة، ويتضمن قضايا ذات أهمية بالغة إذ يبدأ ببيان معنى الإسرائيليات، وموضوعات، ثم بيان معنى التفسير والتأويل.

أما الإسرائيليات فهى جمع إسرائيلية نسبة إلى بنى إسرائيل وهى كل ما نسب إليهم من معارف كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التى زخرت بها كتب التفسير

والتاريخ والكتب والمواعظ، وهذه المنابع وإن كان فيها حق، ففيها باطل كثير، وإن كان فيها صدق ففيها كذب صراح، وإن كان فيها سمين ففيها غث كثير وقد يتوسع البعض ويضيف إلى ما ينتسب لليهود، ما ينسب للنصارى من معارفي. .

وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بنى إسرائيل أو من كتبهم أو من أساطيرهم وأباطيلهم.

أما الموضوعات فهى جمع موضوع، أى الحديث المختلق المصنوع المكذوب على النبى - ﷺ - أو الصحابة - ﷺ - مما نسب إليهم فى بدء الخلق وإخبار الأمم الماضية والكونيات وقصص الأنبياء.

ثم ينتقل المؤلف إلى بيان حكم الكذب على رسول الله - ﷺ - وهل تقبل رواية من كذب فى الحديث وتاب؟، ويبين حكم رواية الموضوعات والإسرائيليات الباطلة.

ويبين المؤلف كيف بدأ الوضع فى الحديث الشريف، ويقدم عرضًا سريعا لحركة الوضع. ثم ينتقل إلى بيان معنى التفسير، والتأويل والحاجة إلى علم التفسير، وكيف أنه من أشرف العلوم، وأن هناك علومًا لابد منها للمفسر، وأن هناك أمورا يجوز الخوض فى تفسيرها وأخرى لا يجوز الخوض فى تفسيرها، وينتقل إلى أنواع التفسير من تفسير بالمأثور، وتفسير القرآن بالقرآن ويقدم أمثلة لتفسير القرآن بالقرآن، وأمثلة تفسير القرآن بالسنة، وأن الصحابة - ﷺ - لم ينقلوا عن النبى - ﷺ - كل التفسير، وأن ما نقل عنه - ﷺ - أقل مما نقل فى الأحكام.

ويعرض لتفسير الصحابة - ﷺ - وأقوالهم فى التفسير، والأمثلة من تفسيرهم، ثم أمثلة من تفاسير التابعين، ويبين المفسرين من الصحابة - ﷺ - أمثال: على بن أبى طالب - ﷺ - وعبدالله بن مسعود - ﷺ -، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، - ﷺ - ثم يبين المفسرين من التابعين، ويذكر مدارس التفسير: مدرسة مكة ومنها:

مجاهد بن جبير، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبى رباح وعكرمة مولى ابن عباس.

ومدرسة المدينة ومنها: زيد بن سالم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القوطى.

ثم يذكر المفسرين من مدرسة العراق ومنهم: مسروق بن الأجدع، وقتادة بن دعامة، والحسن البصرى، ومرة الهمدانى، والضحاك بن مزاحم.

ثم يذكر مدرسة الشام ومنهم: عبد الرحمن بن غنم الأشعرى، وعمر بن عبدالعزيز، وكعب الأحبار وغيرهم. ثم مدرسة مصر ومنها: يزيد بن أبى حبيب الأزدى، ومدرسة اليمن، ثم يذكر طبقة أخرى من المفسرين بالمأثور وطبقات أخرى.

وكيف أن كتب التفاسير تلونت بتلون ثقافة مؤلفيها وكيف ظهرت تفسيرات المبتدعة والباطنة، والملحدة، والتفاسير بغير المأثور، وأهمية التفسير بالرأى والاجتهاد وكيف أن الضعف طرأ على بعض التفاسير بالمأثور، وكيف تبدو خطورة نسبة الإسرائيليات إلى النبى - ﷺ - وكيف أن علينا أن نتحوط فى ذلك ويذكر طائفة من آراء علماء الجرح والتعديل وكيف أن هذا العلم صنف الرجل وبين ما فيهم ومالهم، وما عليهم وكيف شدد سيدنا عمر بن الخطاب - ﷺ - على من يكتب شيئا من كتب اليهود، ويذكر المؤلف مقالة لابن تيمية فى هذا.

ثم ينتقل إلى تفاسير المعتزلة، وابن جرير وابن عطية وكيف اختلفت تفاسير السلف، ثم يذكر أهم كتب التفسير بالمأثور مثل جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى، وما أخذ عليه، ويذكر الدر المنثر فى التفسير بالمأثور بجاهل الدين السيوطى، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للنيسابورى، ومعالم التنزيل للبغوى، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير.

ويذكر آراء مجملة فى كتب التفسير بالرأى مثل: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى، ثم يذكر تفسير مفاتيح الغيب للرازى، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى وغيرها من التفاسير وهو فى ذلك كله حريص على أن يعقب على كل تفسير بيان منهجه وميزاته وسماته وخصائصه، وما أخذ عليه، ومدى موقفه من الإسرائيليات حتى يحيط بمجموعة ضخمة من التفاسير فيها ما يقيد القارئ فى خصائص كل منها، ثم يبين أنواعا من

الإسرائيليات فى قصة هاروت وماروت والمسوخ، وبناء الكعبة . ، وقصة العنكبوت، وقتل داود وجالوت، وقصص الأنبياء والأمم السابقة، وقصة آدم ـ عليه السلام ـ، وابنى آدم وقتل أحدهما الآخر، ومجموعة ضخمة من ألوان الإسرائيليات المبثوثة فى التفاسير، وفى القصص القرآنى: قصص الأنبياء، وقصص الأمم وغيرهما .

٣٢ ـ (بحوث فى قصص القرآن ـ للسيد عبد الحافظ عبد ربه):

القرآن أصدق الحديث وخير الهدى، وقد احتل القصص القرآنى بجميع أبوابه المتكررة فى القرآن الكريم أمكنة عديدة ووجهات شتى متنوعة، وفى القصص عبرة لأولى الألباب، وفى القصص آيات بينات على أن هذا النبى ـ ﷺ ـ رسول من عند الله أرسله يعلمه أنباء القرون الخالية والأمم البائدة، وفى ذلك القصص تثبيت للنبى ـ ﷺ ـ وتعليم له على الاستمرار فى الدعوة، وفى تحمل الأذى كما تحمله من قبله من الرسل، وفى ذلك القصص إهابة بالناس لقبول دعوة الإصلاح حتى لا يصابوا بالنكال ويذوقوا عذاب الله .

وهكذا كان للقصص مكانة ومنزلة، ولهذا عنى به الأئمة، وأعلام الباحثين، من هؤلاء: المحقق الإمام ابن كثير فى تاريخه الذى جعله سرداً لقصص قد لا تخلو من بعض الدخيل، كذلك الإمام الواحدى المحدث والمفسر الكبير، كذلك الإمام الثعالبى، وإن كان ابن كثير أقوى فى تحقيق الرواية وتحرى الصدق من الواحدى، كما أن الثعالبى خلط كثيراً بين الحلو والمر والخبيث والطيب .

ويذكر المؤلف أن هذا بعض دوافع تقديمه لهذا البحث الذى قسمه إلى سبعة أبواب فى أكثر من ثلاثمائة صفحة .

الباب الأول: عنوانه المدخل إلى البحث، ويتناول قضايا هى:

كيف نشأت القصة؟ ـ أول خطوة إلى طريق الأساطير، الميثولوجية والإنسان، الأبطال والملاحم، القصة عند العرب، خرافات العرب وأساطيرهم، مع المثل

والأقصوصة والحكاية، الالتزام فى القصة العربية ـ العربى والواقع، قلة القصص عند العرب، المستشرقون والمستغربون والقصة العربية، عناصر الصدق فى قصة العرب ـ المدلول اللغوى للقصة ـ مفهوم القصة فى القرآن، بين القصص القرآنى والقصص الأدبى .

أما الباب الثانى : فعنوانه (عناصر القصص القرآنى) حيث يتناول القضايا التالية : القرآن مصدر تاريخى، قصص لا خيال فيه، قد تهمل بعض العناصر ـ بين الحديث والشخص ـ تكرار الشخصية دون الحادثة ـ التركيز على ماله دلالة مقصودة ـ هل القصص من المتشابه؟ ـ القصص والعنصر الزمنى ـ الزمن والتدرج فى تتابع الأحداث ـ وعاء الأحداث فى القصة، الشخصيات ـ الأسماء والصفات، التفكير فى الأمثال ـ المرأة ـ الحوار ـ بعض قصص الحيوان، قصة آدم وإبليس والملائكة فى نظر بعض المنحرفين .

ثم ينتقل إلى الباب الثالث : عن (أهداف القصص القرآنى) وفيه يبين منزلة القصة فى النفوس وعلاقتها بالدين، وظيفة القصة فى القرآن ـ تثبيت العقائد ونفى الخرافات ـ أسلوب القرآن فى جذب الشاردين ـ تحمل المشاق من أجل الدعوة ـ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها .

أما الباب الرابع : فيتناول (غير المرسلين فى قصص القرآن) حيث يتناول بدء الخلق وإعادته ـ اليهود وإيذاء الأنبياء ـ مصدر الحقيقة للرسول ـ ﷺ ـ الشيطان يعد الفقر ـ الله سبحانه ـ يعد الفضل، حظ المرأة فى القرآن ـ مقاييس الدين ومقاييس الفلسفة .

أما الباب الخامس : فيتناول (الإعجاز فى قصص القرآن)، وفيه نجد القضايا التالية التى تتصل بإعجاز القرآن من : وجوه الإعجاز، وملامحه ووجوه الأساليب، والمعانى المتداولة والمعانى المبتكرة، القرآن مصدر النهضة الإسلامية ـ القصص المعجز، أربع آيات وأبرهة والفيل، نواحى الأسرار البيانية ـ بيان القرآن ـ قصص ومفاجآت وخوارق ـ آراء الجرجانى والباقلانى والجاحظ، الأصوليون والبلغاء ـ موسى وفرعون والبحر ـ القوى الغيبية فى القرآن ـ التكرار، القرآن كتاب سماوى لا علمى ـ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت .

أما الباب السادس: فيتناول (عبر من القصص القرآنى) وفيه يتناول المؤلف معنى العبرة والعظة، وما فى دعوة النبى - ﷺ - من إصلاح، والجانب العملى فى الدعوة، ومجاهدة النفس ومجاهدة الغير ويبين العلاج فى: محو الجهل وتمكين دعائم العلم، والسبيل فى انتهاج الأسوة والقدوة فى حياة الأنبياء، وكيف تكون مكارم الأخلاق ثم يذكر طرفًا من قصص القرآن حول صالح وثمود والناقة، وكيف أن إبراهيم كان أمة، ويتناول عزائم الصديقين والمصلحين.

وفى الباب السابع: يجعل عنوانه (قول فصل وما هو بالهزل) مبينًا الصدق فى أخبار القرآن، والفن الرفيع فى كتاب الله، ثم يناقش بعض القضايا المثارة فى كتب بعض الباحثين، ثم يعرض للمفسرين والإسرائيليات لدى بعض الباحثين، وضرورة التفرقة بين القصص القرآنى والقصص الأدبى.

ثم ينتقل إلى ملحق مهم ألحق به رسالته، وهو مقال عنوانه (مدخل جغرافى إلى قصص القرآن الكريم) بقلم الدكتور عبد العزيز كامل وهى محاضرة قيمة فعلاً، إذ تتناول عناية المراجع بالمكان فى القرآن الكريم، كما تبحث المكان فى القرآن ويبين الباحث أو المحاضر الدكتور عبد العزيز كامل مركز الخريطة ومنطقة القلب متمثلا فى البيت الحرام فليس هناك مكان آخر يدانيه فى أهميته والأحكام المرتبطة به فى الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾، فإليه يتوجه المسلمون فى الصلاة، وكتب عليهم حجة، وأسكن إبراهيم زوجه وولده إلى جواره، واستجاب له فجعل أفئدة من الناس تهوى إلى البيت ومن حوله رزقهم من الثمرات، وامتنن على قريش به، وقد سماه الله سبحانه وتعالى بأكثر من اسم: فهو مكة، وهى أم القرى، وفيه أماكن الحج المتعددة: مقام إبراهيم، والصفا والمروة.

ثم يذكر الدكتور عبد العزيز كامل (النطاق الأوسط) حول منطقة القلب، وأول هذه الأماكن: المدينة المنورة دار هجرة النبى - ﷺ -، وخص الله غزوة بدر بثلاثة أماكن فى الشمال الغربى من منطقة القلب. وإلى الجنوب الشرقى مكان واحد هو وادى حنين، ويرى الدكتور عبد العزيز كامل أن هذه الأماكن تمثل حول منطقة القلب نطاقا.

أما الدائرة الثالثة فيتحدث عنها قائلا :

«وهناك ملاحظة جغرافية تستوقف النظر وهى أننا إذا اعتبرنا البيت الحرام أو مكة المكرمة (أم القرى) مركز دائرة نصف قطرها نحو ١٢٠٠ كم، وجدنا اليمن والعراق والشام ومصر تقع على محيط هذه الدائرة أو قريبة منه، وفى نطاق هذه الدائرة أو الحلقة الثالثة وقعت معظم أحداث قصص القرآن.

ومع هذا التوسط الجغرافى هناك ارتباطات تاريخية دينية بين أم القرى ومراكز الاستقرار القديمة فى العالم العربى، لعل من أروعها قصة إبراهيم، فحياة أبى الأنبياء ترتبط بالعراق والشام ومصر، وإلى جوار البيت العتيق كانت هجرته حيث أسكن من ذريته ليقيموا الصلاة، وإسماعيل - بعد استقراره فى مكة - تزوج من قبيلة جرهم المهاجرة من اليمن، ومن هذا النسب الطاهر الذى يضم هذه الأقطار جميعا جاء النبى - ﷺ -.

ثم يذكر محاور تربط بين مركز الخريطة ومناطق الاستقرار على محيط الدائرة والثالثة وهى :

المحور الجنوبى ويمتد من مكة إلى اليمن، وترتبط به قصة هود نبى عاد، وقصة سبأ (حيث سد مأرب)، ودلالة نبات السدر، على قلة الماء، وقد تتصل بهما قصة نصارى نجران فى بعض الروايات.

وبهذا يعتبر خليج عدن والمحيط الهندى الحد الجغرافى الجنوبى لقصص القرآن.

أما المحور الشمالى : ففيه غزوات الرسول - ﷺ -، وقصة لوط، وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر، وهى بيئة أوفر غنى من سابقتها، وينقسم هذا المحور الشمالى إلى شعبتين هما : مصر، والشام، فى الأول قصص موسى وفرعون فى مصر، وفى شبه جزيرة سيناء، ثم الشام حيث المسجد الأقصى، والعراق هو الحد الشرقى لقصص القرآن حيث بابل وقصص نوح ولوط وإبراهيم ويونس، وهكذا يكون النطاق الجغرافى واسعًا أمام أحداث القصص القرآنى وعبرته».

الفصل الثالث:

الدراسات الحديثة حول القرآن بالجامعات:

تعددت الدراسات الحديثة حول القرآن الكريم فى رسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعات المصرية .

من ذلك الرسائل العلمية الآتية :

تأويل القرآن عند محيى الدين بن عربى ، لنصر حامد أبو زيد ، ١٩٨١ .

والتشبيه التمثيلى فى القرآن الكريم لحسين عبد البارى رمضان ، ١٩٨٠ .

وتطور البلاغة حول إعجاز القرآن وأثرها فى البلاغة العربية ، لعمر حامد الملاجويش ، ١٩٧٦ .

وحول إعجاز القرآن أو تاريخ مسألة الإعجاز ، لطه عبد القوى ، ١٩٤٢ .

ودراسة وتحقيق كتاب الإيجاز فى علوم حقائق الإعجاز فى تقرير العلوم البيانية والأسرار المعنوية للإمام يحيى بن حمزة العلوى (٦٦٩ - ٧٤٩هـ) لرياض عبدالحبيب أحمد القرشى ، ١٩٨٤ .

وعلاقة التفسير بالبلاغة عند الزمخشرى ، لعمر حامد الملاجويش ، ١٩٦٤ .

وقضية الإعجاز القرآنى فى تفسير المنار ، لعفاف أحمد محمد خليفة مرعى ، ١٩٨٥ .

وقضية المجاز فى القرآن عند المعتزلة ، لنصر حامد أبو زيد ، ١٩٧٦ .

والمتكلمون ونظرية إعجاز القرآن ، لمنير عبد القادر سلطان ، ١٩٧١ .

والمجازات القرآنية ومناهج بحثها، دراسة بلاغية نقدية، لكامل حسن عزيز البصير، ١٩٧٥ .

والمجاز القرآنى فى تفسير الطبرى، لصالح عطية صالح مطر، ١٩٨٧ .

وكتاب الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون من أول القرآن إلى نهاية المائدة، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى (٧٥٦هـ) لأحمد محمد الخراط، ١٩٧٧ .

وكتاب إعراب القرآن ومعانيه للزجاجى، تحقيق ودراسة، هدى محمود قراعة، ١٩٧٥ .

وبناء الجملة الخبرية فى القرآن الكريم، لطالب محمد إسماعيل، ١٩٨٠ .

وكتاب إعراب القرآن لأبى جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٧هـ) تحقيق ودراسة زهير غازى زاهد، ١٩٧٦ .

وتفسير مشكل إعراب القرآن لابن طالب القيسى الأندلسى، دراسة وتحقيق عبد الحميد عوض محمد السيورى، ١٩٧٥ .

وصيغ الأمر والنهى فى القرآن الكريم، لتقى محمد على الطحان، ١٩٨٠ .

والضمائر فى القرآن الكريم، لمحمد طاهر جعفر صادق، ١٩٨٦ .

والفصل فى القرآن الكريم : تعديه ولزومه، لإبراهيم سليمان الرشيد الشمان، ١٩٨٤ .

والقرآن والنحو، لشكرى السيد الخلوى، ١٩٥١ .

وقضايا الجملة الخبرية فى كتب إعراب القرآن ومعانيه حتى نهاية القرن الرابع الهجرى، لمعيض مساعد العوفى، ١٩٨٠ .

والقضايا الصرفية والنحوية فى القراءات القرآنية لمحمد خليل نصر الله فراج، ١٩٩٠ .

والقضايا النحوية فى تفسير القرطبى، لكاظم إبراهيم كاظم، ١٩٨٢ .

والمشتقات فى القرآن الكريم، لمحمد خليل نصر الله فراج، ١٩٨١ .

ومعانى القرآن للأخفش الأوسط لفائز فارس محمد الحمد، ١٩٧٧ .

ـ الألوسى مفسراً، محسن عبد الحميد أحمد؛ إشراف يوسف خليف، ١٩٦٧ ، ٤١٣ص ـ م .

آيات الجهاد فى القرآن الكريم: دراسة موضوعية وتاريخية وفنية، كامل سلامة الدقش؛ إشراف محمد كامل جمعة، ١٩٧٣ ، ٥٨٣ص ـ د .

الإسرائيليات فى تفسير قصة يوسف عند المفسرين، سهير عبدالرحمن عطية؛ إشراف النعمان عبد المتعال القاضى، ١٩٨٢ ، ٢٧٢ص ـ م .

الإنسان والشيطان فى القرآن الكريم، منير أحمد قاضى؛ إشراف شكرى عياد، ١٩٧١ ، ٢٨٥ص ـ م .

ـ تاريخ القرآن وعلومه فى مصر فى عصر الولاة، عبد الله خورشيد البرى؛ إشراف عبد العزيز الأهوانى، ١٩٦٧ ، ٢٨٤ ص ـ د .

ـ تفسير ابن تيمية بين النظرية والتطبيق، صبرى المتولى المتولى؛ إشراف يوسف خليف، ١٩٧٩ ، ٢٦٥ص ـ م .

ـ تفسير ابن جريج: جمع وتوثيق ودراسة، على حسن عبد الغنى إسماعيل؛ إشراف يوسف خليف، ١٩٨٩ ، ٣١٩ص ـ م .

ـ تفسير ابن القيم للقرآن الكريم: دراسة فى المصطلح والمنهج، صبرى المتولى المتولى؛ إشراف يوسف خليف، ١٩٨٤ ، ٣٧٢ص ـ د .

ـ تفسير ابن مسعود: جمع وتحقيق ودراسة، محمد أحمد عيسوى تركى؛ إشراف حسين نصار، ١٩٨٠ ، ٢ مج ـ م .

ـ تفسير تنوير المقباس المنسوب إلى ابن عباس: توثيق ودراسة، إبراهيم محمد عوض النجار؛ إشراف النعمان عبد المتعال القاضى، ١٩٨٠ ، ٣٣١ ص ـ د .

ـ تفسير السدى الكبير: جمع وتوثيق ودراسة، محمد عطا أحمد يوسف؛ إشراف يوسف خليف، ١٩٨٥ ـ ٤٤٩ ص ـ م .

- تفسير السدى الكبير : دراسة للمنهج ومقارنة بتفسير ابن مسعود ، محمد أحمد عيسوى تركى ؛ إشراف حسين نصار ، ١٩٨٨ ، ٢٣٠ص - د .

- تفسير سعيد بن جبير : جمع وتحقيق ودراسة ، إبراهيم محمد عوض النجار ؛ إشراف يوسف خليف ، ١٩٧٦ ، ٤٦٠ ص - م .

- تفسير السيدة عائشة - رضى الله عنها - : جمع وتحقيق ودراسة ، عبد الله أبو السعود بدر ؛ إشراف النعمان عبد المتعال القاضى ، ١٩٨١ ، ٢١٥ص - د .

- تفسير قتادة : جمع وتحقيق ودراسة من أول الفاتحة إلى آخر التوبة ، عبد الله أبو السعود بدر ؛ إشراف يوسف خليف ، ١٩٧٧ ، ٢مج - م .

- تفسير القرآن بالقرآن ؛ أصوله ومنهجه ، السيد عبد المقصود عبد الهادى جعفر ؛ إشراف يوسف خليف ، ١٩٨٥ ، ٢٥٦ص - د .

- تفسير القرطبى : دراسة فى المصادر التفسيرية ، رشاد أحمد يوسف ؛ إشراف يوسف خليف ، ١٩٨٨ ، ٥٨٨ص - د .

- الجدل القرآنى ، محمد أحمد خلف الله ؛ إشراف أمين الخولى ، ١٩٤٢ - م .

- الرازى مفسراً ، محسن عبد الحميد أحمد ، إشراف يوسف خليف ، ١٩٧٢ ، ٤٠٥ص - د .

- الطبرى المفسر ، السيد أحمد خليل ؛ إشراف أمين الخولى ، ١٩٥٣ ، ٣١٣ص - د .

- قضية المحكم والمتشابه وأثرها فى التفسير القرآنى عند المعتزلة/ السيد عبدالمقصود عبد الهادى جعفر ؛ إشراف يوسف خليف ، ١٩٧٨ ، ٣٥٩ ص - م .

- منهج أبى حيان فى تفسيره البحر المحيط/ عبد المحسن عبد السلام المحتسب ؛ إشراف شوقى ضيف ، ١٩٦٨ ، ٣٧١ ص - د .

- منهج الطوسى فى تفسير القرآن الكريم/ قاصد ياسر حسين الزبدى ؛ إشراف شوقى ضيف ، ١٩٧٦ ، ٤٠٨ ص - د .

- من وصف القرآن : يوم الدين والحساب/ عبد الفتاح شكرى عياد ؛ إشراف أمين الخولى ، ١٩٤٨ - م .

خـــــاتمـة

منذ عـرف الإنسـان صناعـة الكتـابة، ومنذ اهتـدى إلى أدوات الكتـابة، وهو حريص على تسجيل ما يعرف ويعلم، وذلك تاريخ عريق يطول الحديث فيه.

يهمنا ما يتصل بالجذور، أى بجهود المسلمين من أجل صناعة الكتاب والمكتبة، منذ كتابة (المصحف)، وتدوين الحديث الشريف، ومنذ ظهور مهن مثل مهنة: الوراقة، والنساخة، والخط، والتدوين، حتى استقامت صناعة الكتاب الإسلامى، وأثرت فى الحضارة العالمية وأثرتها.

تبع ذلك اقتران شديد بين: صناعة الكتاب والمكتبة، حيث أولع بها المسلمون ولعًا شديدًا يدفع عنهم تهمة إحراق مكتبة الإسكندرية، كما يزعم الشانئون، ويثبت لهم دورهم الحضارى العالمى.

وبقى لنا إنتاج إسلامى على أوراق البردى، وغيره من أدوات الكتابة يندر وجود مثله لدى أية أمة.

كان التدوين قمة الاستخدامات الباكرة لهذا الحقل، وقمة التسجيل المعرفى، وكان العصر الأموى ثم العباسى قمة الإنجاز العلمى، وتعددت المراكز فى المشرق والمغرب، ومن بين ما لمع من مراكز: الأندلس، وصقلية.

وتعددت فيوض المعرفة فى مجالاتها المختلفة من علوم نظرية، وعلوم تطبيقية، وسجلت مصادر عديدة هذا الإنجاز، كما سجلته شهادات المعاصرين من العرب ومن المستشرقين.

ولما كان القرآن الكريم قمة المكتبة الإسلامية، وعلى رأس كتبها كان علينا أن نجعل هذا الكتاب خاصًا به، وبتاريخه، وبنماذج من صناعة الكتاب التى راجت ودارت حوله شاهدة بثراء النهضة المكتبية، هذا الثراءالنابع من عظمة القرآن الكريم وروحه الكريمة.

الفهـــرس

المقدمة المكتبة القرآنية :

مقـدمة: فى مجال صناعة الكتاب يأتى أعرق كتاب، وهو القرآن الكريم ـ الكتابة وأدواتها ـ المصاحف الأولى وكتابتها كباكورة صناعة الكتاب الإسلامى ـ جمع القرآن ـ رجال جمعه وتدوينه ونسخه ـ دراسات حوله أثرت المكتبة الإسلامية وصناعة الكتاب ـ نشأة علوم كثيرة حول القرآن ٥ـ٢١

الفصل الأول:

مصادر حية لصناعة الكتاب الإسلامى دارت حول القرآن الكريم ومنها :

١ ـ معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ٢٥

٢ ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ٣١

٣ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ٣٥

٤ ـ المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ٣٨

٥ ـ التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى ٤٢

٦ ـ درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٤٦

٧ ـ التبيان فى إعراب القرآن للعكبرى ٤٩

٨ ـ أحكام القرآن لابن العربى ٥٢

٩ ـ معانى القرآن للأخفش ٥٥

١٠ ـ البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ٥٨
١١ ـ التبيان فى أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية ٦٣
١٢ ـ ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، وهى لكل من:
الرمانى، والخطابى، وعبد القاهر الجرجانى، حققها وعلق عليها د. محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام. ٦٦
١٣ ـ الإبانة عن أصول الديانة لإمام المتكلمين أبى الحسن على بن إسماعيل ابن إسحاق. . الأشعرى ٧٠
١٤ ـ نكت الأعراب فى غريب الإعراب فى القرآن الكريم للإمام الزمخشرى ٧٣
١٥ ـ أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد النيسابورى ٧٦
١٦ ـ درة التنزيل وغرة التأويل فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافى ٧٩
١٧ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ٨١
١٨ ـ أسرار التكرار فى القرآن الكريم لتاج القراء محمود بن حمزة الكرمانى ٨٥
١٩ ـ تفسير ابن كثير لعماد الدين بن كثير ٨٨
٢٠ ـ نكت الانتصار لنقل القرآن للإمام أبى بكر الباقلانى ٩٠
٢١ ـ فهم القرآن ومعانيه أو العقل وفهم القرآن، للحارث بن أسد المحاسبى ٩٣
٢٢ ـ الأمثال فى القرآن الكريم لابن قيم الجوزية ٩٦

٢٣ ـ كتاب الغريبين : غريب القرآن والحديث ، لأبى عبيد الهروى أحمد بن
أحمد بن محمد ٩٩
٢٤ ـ حجة القراءات للإمام أبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ١٠٢
٢٥ ـ أسرار ترتيب القرآن ـ الحافظ جلال الدين السيوطى ١٠٥
٢٦ ـ مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى ١٠٨
٢٧ ـ معانى القرآن للفراء ١٠٩
٢٨ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١١٠
الفصل الثانى: الدراسات الحديثة ١١١
١ ـ الفلسفة القرآنية عباس محمود العقاد ١١٣
٢ ـ القرآن والفلسفة د. محمد يوسف موسى ١١٥
٣ ـ القرآن وعلومه فى مصر د. عبد الله خورشيد البرى ١١٨
٤ ـ القرآن والمجتمع الحديث د. عبد الرزاق نوفل ١٢٠
٥ ، ٦ ـ تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) للشيخ محمود
شلتوت .... ١٢٢، ١٢٥
٧ ـ القرآن فى شهر القرآن الدكتور عبد الحليم محمود ١٢٨
٨ ـ دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، د . محمد بيومى مهران ١٣٠
٩ ـ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية محمد إسماعيل إبراهيم ١٣٣
١٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقى ١٣٦
١١ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم ، وضعه بالفرنسية :
چول لا بوم ، ويليه المستدرك وهو فهرس مواد القرآن الكريم الذى
وضعه إدوارد مونتيه بترجمته الفرنسية للكتاب الكريم ، نقله إلى
العربية محمد فؤاد عبد الباقى ١٣٩

١٢ ـ مباحث علوم القرآن الكريم د. صبحى الصالح ١٤٢
١٣ ـ أخلاق القرآن د. أحمد الشرباصى ١٤٥
١٤ ـ منهج القرآن فى التربية ـ محمد شديد ١٤٧
١٥ ـ نظرات فى القرآن الكريم الشيخ محمد الغزالى ١٥٠
١٦ ـ القرآن والتفسير عبد الله شحاتة ١٥٤
١٧ ـ الظاهرة القرآنية مالك بن نبى ١٥٦
١٨ ـ دستور الأخلاق فى القرآن الكريم د. محمد عبدالله دراز ١٦٠
١٩ ـ الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم د. محمد محمود حجازى ١٦٢
٢٠ ـ المعجزة الكبرى: القرآن ـ نزوله ـ كتابته ـ جمعه ـ إعجازه ـ جدله ـ علومه ـ تفسيره ـ حكم الغناء به: للشيخ محمد أبو زهرة ١٦٥
٢١ ـ من أسرار التعبير القرآنى ـ دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ـ د. محمد أبو موسى ١٦٨
٢٢ ـ معجزات قلب القرآن ـ هاشم محمد سعيد دفتردار المدنى ١٧١
٢٣ ـ أساليب الاستفهام فى القرآن د. عبد العليم فودة ١٧٤
٢٤ ـ قصص القرآن ـ على محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وغيرهما ١٧٧
٢٥ ـ القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ـ عبد الكريم الخطيب ١٨٠
٢٦ ـ الدستور القرآنى فى شئون الحياة، محمد عزة دروزة ١٨٣
٢٧ ـ التصوير الفنى فى القرآن ـ سيد قطب ١٨٦
٢٨ ـ العلم والدين فى الفلسفة المعاصرة، إميل برترو، أحمد فؤاد الأهوانى ١٩٠
٢٩ ـ القرآن وتفسير الكون والحياة لمحمد العفيفى ١٩٨

٣٠ـ القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية ـ عبد العال سالم ٢٠٠

٣١ـ الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفاسير ـ محمد بن محمد أبو شهبة ٢٠٣

٣٢ـ بحوث فى قصص القرآن ـ السيد عبد الحافظ عبد ربه ٢٠٦

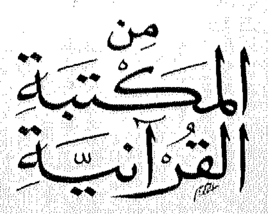
الفصل الثالث: ٢١١

الدراسات الحديثة حول القرآن بالجامعات ٢١١

خاتمة ٢١٥

رقم الإيداع ١٦٦٧١ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى 6 - 0759 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت: ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



فى مجال رصد باكورة المكتبة القرآنية، وقفنا على تدوين القرآن الكريم وجمعه ونسخه، وعن هذه الخطوة المباركة تعددت خطوات المكتبة العربية والإسلامية، حيث دارت دراسات عديدة حول القرآن الكريم، وشكلت مكتبة ضخمة زاخرة غنية بالمؤلفات والدراسات حتى يومنا هذا، دراسات شملت المجالات الإنسانية، على نحو يصعب حصره، بل تصنيفه.

لقد حُفظ القرآن الكريم فى الصدور، وفى شهر رمضان كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يراجعه فى معارضة جبريل -عليه السلام- كل عام ضماناً للتوثيق، وأمناً من وقوع نقص أو زيادة أو تحريف.

إن جمع المصحف هو باكورة صناعة المكتبة الإسلامية وفق منهج علمى سديد سبق منهج المعاصرين، بانتقال هذه المكتبة الإسلامية من الذاكرة الواعية الحافظة، إلى الصحيفة الخالدة.

ولم يقتصر مجال المكتبة القرآنية على البلاغة والفصاحة والإعجاز فحسب، بل شمل -أيضاً- تفسير القرآن الكريم حيث ضمت المكتبة مصنفات عدة تستمد مما أُثر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعن الصحابة.

دار الشروق